الأزمات في الفكر الفلسفي والدراسات الثقافية

د. حيدر علي الاسدي

دار أمجد للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الأزمات في الفكر الفلسفي والدراسات الثقافية

دراسات فكرية

الأزمات في الفكر الفلسفي والدراسات الثقافية

الدكتور

حيدر علي الاسدي

الطبعة الأولى

2024م

دار امجد للنشر والتوزيع

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (/ /2024)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب

عنوان الكتاب: الأزمات في الفكر الفلسفي والدراسات الثقافية

تأليف: الاسدي ، حيدر علي

بيانات النشر: عمان، دار أمجد للنشر والتوزيع ، 2024

رقم التصنيف:

الواصفات:

ردمك : - -ISBN:978-9923-25

Copyright ©

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. NO Part of this book may be reproduced, stored in aretrival system, or transmitted in any form or by any means, without prior permission in writing of the publisher.

دار أمجد للنشر والتوزيع

طباعة ◆ نشر ◆ توزيع

daramjadbooks amjadbooksdp daramjadbooks

dar.amjad2014dp@yahoo.com daramjadbooks@gmail.com

للتواصل و الإستفسار: Fax:+9624653372 Tel:+9624652272 +962796914632 +962799291702 +962796803670

إبصار ناشرون و موزعون

المحترفون الأردنيون لصناعة برايل

ibsarBraillejo ibsarbraillejordan@gmail.com

دار كفاءة المعرفة

طباعة ◆ نشر ◆ توزيع

kafaat.almaerifa kafaat.almaerifa@gmail.com

+962796803670 +962799291702 +962796914632

الإهداء:

الى أطفال بعمر الورد

يسكنون شمال البصرة (الهارثة)

كانوا عائدين من المدارس ولم يدركوا

ان هذا الدرس هو الأخير لهم.....

تعرضوا لحادث دهس مؤلم....

فبكت عليهم وقتها....

كل البصرة والعراق.....

والى.....

أسماء لم أستطع البوح عنها الان.....

.....

مع خالص وفائي....

المحتويات

المقدمة 9

جورج فيلهلم فريدريش هيغل 11

فريدريك نيتشه 20

إدموند هوسرل 21

بيرتراند أرثر ويليام راسل 23

جورج لوكاتش 26

هربرت ماركوز 33

أريك فروم 37

تيودر ادورنو 41

عمانوئيل مونييه 42

جان بول شارل ايمارد سارتر 45

لوسيان غولدمان 52

روجيه جارودي 54

هربرت شيلر 58

ادغار موران 59

زيجمونت باومان و كارلو بورودني 65

ميشال فوكو 67

صامويل فيليبس هنتنغتون 73

نعوم تشومسكي 78

آلفين توفلر 79

يورغن هابرماس 84

جاك دريدا 88

برونو لاتور 89

سلافوي جيجك 90

يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما 92

كزافييه بافي 98

جوديت بتلر 99

الفلسفة الغربية وأزمة نظامي الرأسمالية والاشتراكية 101

الفلسفة الغربية بين أزمتي الحروب والأنظمة الحاكمة 108

الدستوبيا (الازمة وتمثلها في الادب) 114
الفن والادب في إدارة الازمات: 118
أولا: الفن في مواجهة الازمات: 118
ثانيا: الادب في مواجهة الازمات: 124
الكتابة وأزمة الثورات في المجتمع الغربي: 130
التفكير والازمات: 147
كلمة الختام: 153

المقدمة:

يتمثل في التاريخ الانساني العديد من مشاهد الصراعات والتكالبات على مصادر السيادة والثروة، او من اجل تحقيق العديد من النزعات والرغبات الفردية، مما ولد العديد من الازمات على امتداد الوجود الإنساني منذ خلق البشرية وحتى عصرنا الحالي، ذلك ان الانسان ميال الى الاختلاف، وربما هذا الاختلاف في بعض الأحيان يتطور الى مشكلات تصبح حالات عامة في المجتمعات البشرية، ولعل الصورة الأهم في تاريخ الانسان هو قدرته الفائقة على التكيف والتحولات الكبرى التي أحدثها عبر مراحل التاريخ بتعاطيه مع الازمات التي تحيط به ذلك يمثل حالة السيرورة للبقاء والديمومة في معتركه الحياتي، فنشأت العديد من الازمات جراء تطور الفكر البشري وأزدياد احتياجاته وتطلعاته وتضخم موارد الثروة الطبيعية والصناعية، فبعد ان كانت الازمات تتسم بضرورة بقائه حياً، اصبحت الازمات تتعلق بمنظومة علاقته مع الاخر، مما يستدعي قراءة الخطاب الذي يفكك علاقة هذا الانسان بالأزمات عبر التاريخ وما قدمه النتاج الفلسفي والدراسات الثقافية بهذا الخصوص اذ كان للفلسفة دورها المهم عبر الفكر والكلمات بإدارة أزمات المجتمعات وتغيير حالهم الى الأفضل فان أعظم ما يمكن ان يخدم به الفيلسوف والمفكر نهضة مجتمعه هي الكلمات والفكر الذي يعطيهم جرعات الكفاح والحركة والوقوف إزاء المعضلات والمشكلات التي تواجه الانسان منفرداً وضمن بنية مجتمعه، لذا فقد الهم العديد من فلاسفة اوربا شعوبهم وصارت المجتمعات تقتدي بتلك المقولات الناتجة من أولئك الفلاسفة وتتبع مسارها واحكامها بخاصة تلك التي تدعو للخلاص من الازمات والتمسك بأمل الإنسانية والحرية والمساواة والكشف عن أهمية العقلانية والقدرة الذهنية البشرية على دحض الخرافات وركاكتها وفسادها لذا كانت كلمات الفلاسفة مصابيح ضوء وتنوير لهذه للمجتمعات الغربية التي كانت قد عاشت حقب مظلمة من الحروب والمأساة والتقاتل الداخلي، أي ان الفلسفة الغربية آنذاك ساهمت فعليا بتخليص الدولة والمجتمع من أزمات متعددة كانت جاثمة على

تفكير ووعي المواطن الغربي آنذاك ليس في مناطق نشوء الفلسفة وحسب كفرنسا وألمانيا بل ان هذا الوعي انسحب كذلك على البلدان الاوربية المجاورة، وهو يؤكد القيمة الحقيقية للفكر الفلسفي في ظل الازمات، فبعد ان كانت المجتمعات لا تكترث لكلمات وخطابات التثوير والتحريض اصبحت هذه الكلمات مدادها في الثورات والانطلاق نحو التغيير والحرية ومصدر الهام لإدارة الازمات التي تمر بهم وتقديم نظرة جديدة للحياة نحو الأفضل بالتأكيد، لذا اختار المؤلف مجموعة من الفلاسفة المتأخرين الذين عاصروا أكثر الازمات تعقيداً في المجتمع الأوربي.

جورج فيلهلم فريدريش هيغل

بادء ذي بدء مع الفكر الفلسفي للفيلسوف الألماني المثالي (**جورج فيلهلم فريدريش هيغل**) (1770- 1831) فهو اول الفلاسفة الذين شخصوا علاقة الانسان بالأزمات ومدى ارتباطها بوعي الانسان بذاته، ومحيطه فمثلا يرى هيغل ان ((الازمات هي التي تجعل الانسان على علم بظروفه))[1] أي من خلال تلمس تلك الازمات والعيش في كنفها يمكن ان يخرج الانسان بدروس ونتائج واضحة لحقبة مابعد الازمة، كنتيجة وحصيلة معرفية لما يمكن ان يرسمه الانسان من خطوط لتلافي الازمة مستقبلاً عبر الادراك الدقيق للنقاط التي من خلالها تتفاعل الازمة او تنطفئ، رغم ان هيغل يمتلك رؤية مغايرة في بعض الازمات فهو كان ينظر الى الدولة بتأكيده لحكم الاستبداد والرجعية في الداخل وانتهى الى تبرير الحروب بين الدول بعضها مع البعض الاخر، فالحرب في رأيه ((ليست حادثا استثنائيا او عرضية ولكنها ضرورية لتنظيم علاقات الدول مع بعضها، ذلك لان النزاع بين الدول لا تحسمه الا الحروب وقانون الطبيعة يقضي بهذا سواء بين الافراد او بين الدول لان حالة الطبيعة تقضي بوجود هذا الصراع ولما كان ليس هناك سلطة تحسم الصراع فلا سبيل اذن الا بالحروب))[2] وهي نظرة تشبه الى حد ما رؤية ارسطو بأزمة الحرب بوصفها من خيارات إحلال السلام، والتي قد تكون المرتكز الأساس لما بعدها من أزمات عصرية تتمثل في ثقافة الحرب من اجل إحلال الاستقرار والسلام او التحرير او غيرها من المفاهيم التي تشاع في أنظمة البلدان الامبريالية من اجل المزيد من التوسع والهيمنة على مصادر الثروات في البلدان المختلفة والتي بدورها لم تكن حلاً راديكالياً للتغيير بشكل الأنظمة الحاكمة وانما ازمة أخرى تضاف الى أزمات الشعوب المقهورة والتي يمارس بحقها الاستبداد جراء هذه الحروب وصناعها، مما يفضي الى بعض رؤى

---

[1] د.زهير الخويلدي، التفلسف في زمن الكورونا: حوارات فلسفية حول الجائحة، (ستوكهولم، دار نشر رقمنة الكتاب العربي، 2021)،ص89.

[2] د.اميرة علمي مطر، الفلسفة السياسية من افلاطون الى ماركس،ط5،(القاهرة: دار المعارف، 1995)،ص98.

الفلاسفة الى نزعات الازمات وان كانت ساعية لتفكيك علاقة الانسان بشكل السلطة او بالموارد المتاحة الا انها قد توسع من دائرة الازمات بحق الافراد والشعوب.

وتعد النقلة النوعية في مجال التأطير الفلسفي لعلاقة الازمات بالفرد والمجتمعات عبر ما جاء به الالماني (**كارل ماركس**) (1818-1883) فهو الفيلسوف الناقد للاقتصاد السياسي والثوري الاشتراكي الذي تفضي تنظيراته عن نزعة الصراع الطبقي بين البرجوازية والبروليتارية، والذي كان يتنبأ بالأزمات التي تسببها الرأسمالية في النظامين الاجتماعي والاقتصادي، والتي يؤكد خلالها وصولها الى افراز ازمات عدم استقرارها وضغطها على الطبقة العمالية مما يوصلها لحالة من الوعي الطبقي ومن ثم الاستيلاء على السلطة وانشاء المجتمع الشيوعي، مركزاً في كل طروحاته على اهمية الثورة البروليتارية لأسقاط الرأسمالية، ويمكن ملاحظة حضور الفلسفة الماركسية بوضوح من خلال التركيز على بنية الازمة الاقتصادية واثرها على طبيعة المجتمعات والافراد، والتي تقوم على المقولة الماركسية المهمة بان ((العلاقات الاقتصادية هي وحدها التي تحدد النهج الذي به يتطور المجتمع))[1] من خلال هذه العلاقات الاقتصادية تتصدر المهيمنة اللازمة لشكل الاقتصاد وفقاً للفهم الماركسي الخاص بالهيمنة على وسائل الإنتاج ومشاعيتها ومدى تأثير ذلك على وعي الافراد وثقافتهم إزاء ما ينتجون من افكار، لذلك يرى ماركس بان ((القاعدة الاقتصادية للمجتمع هي التي تهيء او تحدد عالم الثقافة بأكمله))[2] أي بمعنى ان المتغير الاقتصادي سواء أكان يمثل حالة رخاء او ازمة، انما ينعكس على المنتج الثقافي والفكري للأفراد والمجتمعات على حد سواء، فان كانت الازمة الاقتصادية فاعلة ومستمرة هذا يعني مؤثراً فاعلاً على النسق الثقافي الذي ينتجه المجتمع او حتى الافراد، مما يولد علاقة تلازمية بين الامرين، الازمة او الرخاء الاقتصادي مع ما ينتج من صور

---

[1] ارثر ايزابرجر،النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية،ترجمة:وفاء ابراهيم،رمضان بسطاويسي،ط1،(القاهرة: المشروع القومي للترجمة،2003)،ص83.

[2] ت.ز.لافين،من سقراط الى سارتر:البحث الفلسفي،ترجمة:اشرف محمد كيلاني،ط1،(القاهرة:المركز القومي للترجمة،2012)،ص336.

ثقافية في الحياة، وبهذه الصورة المتعلقة بالأزمة الاقتصادية ومديات تأثيرها يذهب ماركس الى سلطة الاقتصاد في بناء وترميم او تهشيم منظومة العلاقات المجتمعية، فهو يرى بان ((ظهور الاقتصاد القائم على المال يؤدي الى تحلل الصلات والعلاقات التي تؤلف الجماعات التقليدية بحيث يصبح المال هو المجتمع الجديد الواقعي))[1] أي ان سلطة المال وفقا لهذا المفهوم قد تكون ذات صلة بأبعاد الازمة التي تسهم بالهيمنة على المجتمعات وخلق ازمة مركزية جديدة فمدار الازمات الرئيسة يكون عبر ما ينتجه المجال الاقتصادي من معطيات، اذ ان الاصل في النزاعات الحربية المسلحة يكمن في الخلافات الاقتصادية التي ترجع الى كسب المصالح الاقتصادية [2] حسبما يرى كارل ماركس، وهذا يعني ان جل الازمات الدولية او الحربية او السياسية التي قد تجري بين البلدان انما مكمنها واحد يرتكز على اختلاف المصالح الاقتصادية، وهذا ما يمكن ان يسجل على اغلب الازمات التي تحدث في وقتنا المعاصر، بالعودة الى اصل الازمة ومركزيتها وتفكيكها انما يتحدد بالجانب الاقتصادي ذلك بوصفه العصب والمحرك الرئيس لمفاصل الحياة المختلفة، سواء كان ذلك حسب فهم فلسفة كارل ماركس او حتى في الحقب التي تلته في ظل صراعات كسب الموارد المتاحة والسيطرة عليها.

ان عملية انتاج الأفكار بوصفها (بنى فوقية) تنبع من المتغيرات التي تجري في (البناء التحتي) المتعلق بالحالة المادية للمجتمع، أي ان ((العلاقات الاجتماعية التي تحكم المجال الاقتصادي لمجتمع ما، وهي تمثل وفقا لرايه-اعني ماركس -البناء التحتي الاجتماعي/الاقتصادي للمجتمع والذي يشكل طبيعة البناء الفوقي اي البنية الثقافية

---

[1] ديفيد هارفي،حالة ما بعد الحداثة:بحث في أصول التغيير الثقافي،ترجمة: د.محمد شيا،ط1،(بيروت: المنظمة العربية للترجمة،2005)،ص130.

[2] ينظر: سيار الجميل،الحرب ظاهرة تاريخية،مجلة عالم الفكر، المجلد 36، العدد 2،(الكويت)،لسنة 2007،ص21.

للمجتمع))[1] وهذا ما يعزز الرؤية التي تذهب الى تأثير الازمات الاقتصادية على منظومة الإنتاج الفكري والثقافي والذي يعكس او يتماشى مع البنى التحتية المتأزمة او المنفرجة وفقاً للمتغير الاقتصادي وما يمكن ان يحدثه على منظومة العلاقات الفوقية (البنى الفوقية) التي ترتكز على معطيات بنى عميقة تمثل الحالة المادية الدقيقة لطبيعة المجتمعات وبخاصة ان كانت تلك المجتمعات مهدمة البنى ومنهارة على المستوى الاقتصادي، فحتماً هذا الانكسار والتهديم سينعكس بصورة بناء فوقي يهيمن على ماهية انتاج النص الفكري والثقافي، ليس هذا وحسب بل حددت الفلسفة الماركسية اهم مسببات الازمة في الحقب الأخيرة وبخاصة مع نهايات القرن التاسع عشر، بعد وصول التطورات الحديثة الى مرحلة متقدمة، وأنعكاس هذه التطورات على حياة الافراد (البروليتارية) اذ عكست الفلسفة الماركسية خصائص الفلسفة الحديثة في نهاية القرن التاسع عشر فقد عنيت في المقام الأول ((بالمشكلات الاجتماعية التي نجمت عن الثورة الصناعية فقد كان من أهم اثار هذه الثورة الصناعية ان هجرت الجماهير الفقيرة ونزحت الى المدن بعد ان تطورت اساليب الانتاج اليدوي الريفي الى الانتاج الالي، وقد ادى تكدس الجماهير في المدن الى الانخفاض في الاجور وانتشار حالات من البطالة والبؤس كانت اوربا في الغالب تستجيب لها بأساليب القمع))[2] وهذه ازمة مهمة تم تأشيرها عبر معطيات الفلسفة الماركسية، بعد ان سادت الماكينة على حقل العمل وتم تسريح الالاف من الطبقة البروليتارية والتي تحولت فيما بعد الى حالة من حالات البؤس والبطالة على المدن المختلفة في اوربا، مما ولد أزمات عدة تتعلق بالاحتجاجات والمشكلات التي انتجتها هذه الجماعات الغفيرة المنتقلة من الريف الى المدن تارة وتارة أخرى تقليل حجم الأجور جراء زيارة الاعداد من هؤلاء المنتقلين ديموغرافياً من الريف الى المدينة مما غير من

[1] قصي الحسين، سيسيولوجيا الادب،دراسة الواقعة الادبية على ضوء علم الاجتماع،(بيروت: دار البحار، 2010)،ص24.

[2] د.اميرة علمي مطر، مصدر سابق، ص107.

صورة واقع الاقتصاد وبخاصة من مسألة تقليل الأجور وتوليد ازمة أخرى هي عدم كفاية الأجور الممنوحة للعمال، مما جعل بعض الحكومات تقاوم مثل هذه الاحتجاجات بشيء من القوة لكبح جماحها، اذ ان كارل ماركس ركز على النتائج الاجتماعية للرأسمالية، بخاصة مع صعود الثورة الصناعية ونتائجها الأولى التي برزت في اوربا الغربية والتي أدت الى ظهور الطبقة العمالية البروليتارية وهو الامر الذي جعلها ميزة ذلك العصر بخاصة في المناطق التي راج فيها الجانب الصناعي وعلى هذا فان ظروف تلك الحقبة لم تكن تدعو ماركس الى ((تحديد رأس المال من حيث هو الة اجتماعية وانما من حيث هو الة سياسية بين يدي طبقة معينة هي البرجوازية لاضطهاد طبقة أخرى هي البروليتارية فهو قد نظر الى رأس المال من هذه الزاوية لان أوضاع المجتمع وظروفه قد حتما عليه النظر))[1] لذا فان رأس المال خلق ظاهرة في اوربا هي الطبقة العمالية المتمخضة عن سيادة الثورة الصناعية وتطوراتها التقنية ناهيك عن أساليب الاستعمار الاقتصادي الناتج من التفكير المادي بكل الابعاد والخطوات التي تتخذها البلدان على المستوى الثقافي والسياسي والاجتماعي. وعلى وفق هذا الامر فقد تدخلت فلسفة كارل ماركس برفض ان يتحول الانسان الى مجرد الة كماكينات الثورة الصناعية، فهذا يولد حالة من ضياع هوية الانسان واغترابه مما يولد ازمة اخطر من الجانب الاقتصادي تتعلق أولا بأزمة الانسان ذاته والأخرى بقوة تأثير هذه الازمة الاقتصادية على الانسان وجرفه الى منحدرات اخطر من سابقاتها، لذا مثلت ((فلسفة ماركس كحال معظم الانتاج الفكري الوجودي احتجاجا ضد اغتراب الانسان ضياعه عن نفسه وتحوله الى شيء كما انها حركة تقف في وجه عملية تشويه انسانية الانسان وتحوله الى الة، هذا الامر الذي رافق وتأصل خلال عملية تطور الثورة الصناعية الغربية))[2] فالثورة الصناعية بدلاً من ان

---

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة،ترجمة: عبدالصبور شاهين،(دمشق:دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر،1986)،ص109.

[2] اريك فروم،مفهوم الانسان عند ماركس،ترجمة:محمد سيد رصاص،ط1،(دمشق:دار الحصاد للنشر والتوزيع،1998)،ص9.

تتحول الى ديناميكية لتطوير الاقتصاد ونزع فتيل ازماته، فاقمت بعض الشيء من حالة الفقر الاقتصادي للعمال بعد ان سرحت الالاف بل الملايين من العمال في معظم مدن اوربا، بعد ان تحولت المصانع والمعامل الى إدارة أوتوماتيكية او الكترونية تدار من شخص او اشخاص عدة حصراً، مما نجم عن ذلك جيوش من العاطلين عن العمل الذين يجوبون الشوارع احتجاجا وتظاهراً، مما ولد أزمات أخرى تقع على كاهل الحكومات آنذاك.

لذلك كان كارل ماركس وعبر فلسفته الماركسية يعتقد بان ظروف التغيير وفقا لهذه الازمات مواتية للطبقة البروليتارية، فان الاغتراب او الاستلاب الاقتصادي لحقوق الطبقة العمالية يمثل ازمة تتطلب معها ثورة بروليتارية من اجل استعادة الحقوق ومن اجل الإحساس بهوية الوعي الطبقي للوصول الى مرحلة التشارك في الموارد، اذ ان ماركس يرى في ((الطبقة العاملة الوارث الحقيقي لقوى التغيير الاجتماعي في عالمنا، وان هذه الطبقة لكي تحرر نفسها،لن تلتزم اهدافا طبقية خاصة بها...بل ستكون رسالتها تحت تأثير ظروف تاريخية معينة، تحرير المجتمع كله من الاستغلال والاضطهاد ومن صراع الطبقات ذاته))[1] أي ان ماركس يعتقد بان التغيير الحقيقي من اجل استرداد مشاعية الموارد المتاحة ومشاركتها بين الطبقة العمالية يكمن في قوة ثورة وردات فعل هذه الطبقة، فمن خلالها يمكن ان تزال كل الازمات التي تتعلق باضطهاد هذه الطبقة والهيمنة على الموارد الاقتصادية المتاحة، وهو ما يمنح الطبقة البروليتارية قوة وطاقة كبرى لأحداث عملية التغيير، أي ان مسببات الثورة والتغيير كامنة في هذه الطبقة وظروفها التي تحيط بها على المستوى الاقتصادي والمجتمعي، ذلك بالارتكاز على مقولة مهمة وعلى الفكرة القائلة بان ((الفقر ينبغي ان يساعد الناس على كسر اغلال الاضطهاد وذلك لان الفقراء ليس لديهم ما يخسرونه سوى اصفادهم، هي فكرة غدت مألوفة من

[1] خالد محمد خالد، ازمة الحرية في عالمنا، (القاهرة: دار المقطم للنشر والتوزيع، 2009)،ص177.

خلال كتابات كارل ماركس"[1] فحاول التركيز على هذا الامر من اجل إعادة رسم صورة جديدة لأدوات الإنتاج ومن إشاعة مفاهيمه الناقدة للرأسمالية التي يرى بانها الازمة الحقيقية التي كانت تسيطر على الانسان والمجتمعات على حد سواء، والتي ولدت العديد من الازمات المتوالية اللاحقة بفعل هذا الاحتقان والصراع بين الطبقتين، فها هو مرة أخرى يؤكد كارل ماركس على ان "الديمقراطية في الولايات المتحدة الامريكية يمزقها الصراع بين الاقطاعيين الزراعيين في الجنوب، والرأسماليين في الشمال- ذلك الصراع الذي افضى عام 1860 الى حرب اهلية مدمرة بين الشمال والجنوب دار فيها اكثر من مائة معركة وقتل فيها اكثر من ستمائة الف عدا المشوهين والجرحى، وانفق عليها اكثر من عشرة مليارات من الدولارات"[2] ولهذا يركز ماركس على نقد الرأسمالية بوصفها الأساس لكل تلك الاحترابات بين الطبقات سواء بصورتها السابقة او حتى ما ينتج ويتوالى من افرازات بعد ذلك على طول امتداد هيمنة الفكر الرأسمالي على الأنظمة الاقتصادية في البلدان الاوربية، اذ ان الكثير من مفاهيم ماركس باتت تنطبق على الازمات الراهنة لاسيما في العمل من خلال "الاستلاب والاستغلال والبطالة وعدم توفر فرص عمل، عدم التوازن بين العرض والطلب،الفقر والمجامعة، الاغتراب وعدم المساواة في توزيع الثروات وموارد الارض،....الفئة العاملة في النظام الرأسمالي فئة مهمشة من حيث تعذر امتلاكها لرؤوس الاموال وادوات الانتاج واقتصارها بيد الطبقة البرجوازية فتصبح حينئذ الطبقة العاملة طبقة ضعيفة لا دور لها سوى انها اداة من ادوات العمل، الانتاج، لذلك تشعر بانها الطبقة الاكثر اغتراباً"[3] ان ازمة الاغتراب هي من اعظم الازمات التي سببتها ازمة كبرى تتعلق بالجانب الاقتصادي الا وهي هيمنة الرأسمالية، والتي همشت كثيراً الطبقة

---

[1] حنة ارندت، في الثورة، ترجمة: عطا عبد الوهاب، ط1، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2008)،ص91.

[2] خالد محمد خالد، مصدر سابق، ص182.

[3] ا.م.د.غادة عبدالستار مهدي، ازمة النظام الرأسمالي العالمي واثارها العلمية والاقتصادية المعاصرة - من وجهة نظر الفلسفة،مجلة العلوم التربوية والنفسية،الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية،(بغداد)،العدد 101،لسنة 2013،ص313-316.

العمالية وجعلتها تعيش أزمات روحية تتعلق بضياع هويتها الاجتماعية والاقتصادية وتهميش أدوارها الاقتصادية في الحياة، وتحويلها الى مجرد الات عاملة لتسهم بتعزيز أرباح الرأسمالية، وتخدم الطبقة البرجوازية وبهذا تزداد مكامن ضعفها واغترابها كلما تقدمت عمليات الإنتاج وتحركت عجلة الاقتصاد وفقاً لهذا المفهوم، ولهذا وفي ظل عدم وجود أصوات للدفاع عن البروليتارية أنبرى ماركس واخرين للاهتمام بتطلعات الطبقة العمالية وفقاً لمعادلة امتلاك أدوات الإنتاج، لأنهاء الازمات التي عاشتها هذه الطبقة على امتداد حياتها والتعسف والظلم الذي يمارس بحق هذه الطبقة من كل البلدان الاوربية التي كانت ذات طابع رأسمالي تهيمن فيه الطبقة البرجوازية، لذلك فقد اشارت الماركسية الى ان ((الدولة هي أداة قهر طبقي، حيث تعبر عن مصالح الطبقة المسيطرة التي هي الطبقة التي تملك الثروة وهي تمارس القهر من اجل تحقيق مصالح هذه الطبقة، هنا الدولة ليست حيادية على العكس هي أداة الطبقة المسيطرة ضد باقي الطبقات))[1] فمنظومة الدولة الاوربية ذات الطابع الرأسمالي كانت رابطاً مساهماً وعامل هيمنة اخر بحق الافراد من الطبقة العمالية مما يزيد من ازمة اغترابهم داخل هذه المجتمعات والدول، فما كان من الماركسية وفلسفتها الا التأكيد الدائم على أهمية الثورة البروليتارية للخلاص من هذه الازمة اذ ان ((الماركسية تنطلق من ضرورة التفسير الثوري عبر الإضرابات والانتفاضة والثورة))[2] فعبر هذه الحركات الاحتجاجية ممكن ان تطيح الثورة العمالية بالفكر الرأسمالي والطبقة البرجوازية ولفت انظار الاخر ولاسيما الدول المتحكمة على أهمية اشراك هذه الطبقة في عملية تحريك عجلة الاقتصاد من اجل وجودها الاجتماعي الراهن، اذ أصبحت هذه الاحتجاجات بما تمثله من ازمة للبلدان والطبقة البرجوازية أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حراك الطبقة العمالية ونضالها ضد

[1] سلامة كيلة،الماركسية الجديدة:العودة الى ماركس من اجل تخطي الماركسية الرائجة،ط1،(القاهرة:افاق للنشر والتوزيع،2017)،ص263.

[2] سلامة كيلة، الماركسية اليوم: منظورات لماركسية جديدة، ط1،(دمشق: خطوات للنشر والتوزيع،2013)،ص128.

المتحكمين برؤوس الأموال، ففي ((الماركسية كانت الثورات الشعبية وكل اشكال الاضراب والاحتجاج هي شكل ممارسة الصراع الطبقي مع عدم تجاهل دور العنف الذي هو قاطرة التاريخ، هذا ما اشتغل لينين على أساسه، حيث دفع نحو تطور كل اشكال الاحتجاج والاضراب والتظاهر))[1] ولذا تولدت من الازمة الاقتصادية لامتلاك أدوات الإنتاج والصراع الطبقي بين البروليتارية والبرجوازية وعبر صورتي (الرأسمالية المتحكمة، ومشاعية الماركسية) لذا جاءت صور التغيير والاحتجاج ليست على مستوى الحراك المادي وانما محاولة اثارة الجدل وفقاً لكل ما تقدم عبر خلق وعي جديد لهذه الطبقة وعي معرفي قائم على محاولة احداث التغيير ومسك زمام الأمور بدلاً من الطبقة المناوئة للأخر، فماركس وانجلز ذهبا الى ان مهمة ((المعرفة برأيهما ليست فقط تفسير العالم وانما أيضا تغييره تغييرا ثوريا وقد نظرا الى الفن أيضا كسلاح لمعرفة وتغيير العالم))[2] فمن خلال المعرفة ممكن ان تسهم هذه الطبقة بإحداث التغيير النوعي واسترداد مكانة الطبقة العمالية ومحاولة اجراء التغيرات التي تنهي طبيعة الازمة الاقتصادية الى صالح الطبقة العمالية (البروليتارية).

وعلى صعيد ينبأ بانبثاق الازمة الامبريالية وتأثيراتها على البلدان النامية فان الماركسية وبصورة واضحة تبرر الاستعمار ضمن مراحل قيادة المجتمع نحو الاشتراكية فالشيوعية، وذلك لا يتم الا بتدخل الانسان لخلق الظروف المناسبة بهذا التقدم في خلق ظروف تحول حقيقية في المجتمعات ذات البنيات الإنتاجية المتخلفة، فالاستعمار هنا هو إعادة خلق لظروف التحولات الاقتصادية التي تقودها قوانين المادية التاريخية ولذلك رأت الماركسية بان مجتمعات العالم الثالث هي اما بدائية او ذات نمط انتاج متخلف، عبودي او اقطاعي ومن هنا يأتي دور الانسان المتحضر الأوربي في تسريع التحول من

[1] سلامة كيلة، الماركسية الجديدة:العودة الى ماركس من اجل تخطي الماركسية الرائجة، مصدر سابق،ص71.

[2] جماعة من الأساتذة السوفييت،أسس علم الجمال الماركسي اللينيني،تعريب:فؤاد مرعي،ج2،(بيروت:دار الفارابي،1978)،ص197.

النمط المتخلف الى النمط الأكثر تقدما عن طريق الاستعمار أي من نمط الإنتاج الاقطاعي الى نمط الإنتاج الرأسمالي وهو تأمل بالتحول اللاحق الى النمط الاشتراكي هذا هو مصدر تبرير الماركسية للاستعمار ماركس واتباعه سوغوا (الاستعمار) ضد البلدان النامية، فيرى ماركس في الاستعمار العصا السحرية التي سوف تنقل المجتمعات المتخلفة الى عصر الحداثة الرأسمالية وهي نظرة تسوق ازمة الاستعمار والامبريالية إزاء بلدان العالم الثالث او البلدان النامية التي تمتلك الثروات ولكنها متخلفة على مستوى الوعي والأنظمة والثقافة [1]

فريدريك نيتشه

(**فريدريك نيتشه**) (1844-1900) هو الاخر كان يشخص أزمات الانسان والمجتمع الأوربي فقد كان يرى ان اخلاق العبيد هي مصدر العدمية في اوربا، وكان يرى ان اوربا تمثل حالة من الخلاف والنفاق، بين اخلاق العبيد والسادة، والتناقض الذي يحملان، انتقد خلالها اخلاق العبيد، مركزاً على ارتباط اخلاق العبيد يتمثل في سيادة العدمية، وعدم جدوى ومعنى الحياة اذ ان مفهوم العدمية ((مفهوم جوهري في كتابات نيتشه استعمله ليدل على الازمة التي اجتازها العالم الحديث حينما اخذ يفقد قيمه الراسخة ومثله العليا السامية، ولقد تولد عن فقدان العالم لمعناه بفقد هذه القيم لمدلولاتها واعدام هذه المثل لمفهومها،احساس الناس بالعبث الذي بدت معه الحياة لا معقولة والوجود غير ذي معنى))[2] ان سيادة العدمية انما يولد حالة من الازمة التي تعبث بإرادة الانسان في هذا الوجود بعد ان يتوصل من خلال مفهوم العدمية الى عدم جدوى كل شيء في الحياة، مما يولد حالات من البؤس ذلك يُخلق من حالات تساوي الشر والخير

---

[1] ينظر: د.صلاح الجابري، الاستشراق:قراءة نقدية،ط1،(دمشق:دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية،2009)،ص47-52.

[2] مجموعة مؤلفين،مقاربات في الحداثة ومابعد الحداثة:حوارات منتقاة من الفكر الالماني المعاصر،ترجمة: محمد الشيخ،ياسر الطائي،(بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر،1996)،ص181.

وعدم وجود معنى ودلالة لكل شيء، ان نيتشه شخص ما يسمى بالقيم الارتكاسية القائمة على عدمية الغرب ونفي الحال، وهي تتمثل في علاقات السيطرة والتبعية، متهما طبيعة المجتمعات والمؤسسات بإخراج هذا النمط من العلاقات القائم على القوة الفاعلة وهيمنتها،لذا ان احد اهم الازمات التي تحدث عنها نيتشه هي "ازمة موت الاله التي تجر خلفها قضية نهاية الخط الانساني الذي ابدع هو الجوهر هو الموت الذي اعلن عنه نيتشه بشكل جذري في عصرنا،فلم يعد الانسان سيد الوجود ولا مركزه، بذلك تكون الميتافيزيقيا في مرحلة افولها، الذي يعني كذلك كفاية الخط الانساني في الان معا، مما تتهاوى معه الحقيقة التي كان يضعها تارة هنا وتارة اخرى هناك،وبسبب ضياع الميكانيزمات الموضوعية العلمية والتكنولوجية فانتصار التقنية عجل بأفول الانسانية والميتافيزيقيا"[1] هذا يعني موت طبيعة الانسان بكل ما تمثله من معاني الى صالح الموضوعية العلمية والتطورات التكنولوجية التي تسيطر على كل ملامح القيم المثلى، وإنتاج ازمة جديدة ازمة روحية تتعلق بوجود الفرد ذاته، وجود هوية اجتماعية بدأت تتلاشى وتضيع في اتون هذ التطورات الافتراضية.

إدموند هوسرل

اما الفيلسوف الالماني (**إدموند هوسرل**) (1859-1938) كان ينبه الحضارة الغربية الى الازمات المحدقة بها، وبخاصة في أواخر حياته وذلك عبر اغراق الفلسفة العقلية او حتى التجريبية لمواطن الحياة الإنسانية للمواطن الأوربي والتي افقدته طبيعة حياته التلقائية، لتشكل بطبيعتها ازمة مباشرة على حياة الافراد في هذه البلدان "فأزمة العلم الأوروبي هي في النهاية أزمة الإنسان الأوروبي نفسه، ولا سبيل للنجاة إلا بإعادة بناء شعوره، الذي فقد عالم الحياة وأضاع الحقيقة عندما استسلم للنزعات العقلية الصورية من ناحية،

[1] عطار احمد، تجديد العقل الانواري عند يورغن هابرماس: قراءة نقدية للايدلوجية الليبرالية المعاصرة،أطروحة دكتوراه غير منشورة،بأشراف الدكتور محمدي رياحي رشيدة،(الجزائر:جامعة وهران: كلية العلوم الاجتماعية،قسم الفلسفة،2011)،ص82.

وأغرق في التيارات التجريبية والمادية من ناحية أخرى. بَيدَ أن هذا الشعور الحي المتعالي، الذي أقام عليه هوسرل العلم والتجربة معًا، يظل أمرًا محيّرًا))[1] اذ ان دعوات هوسرل الجديدة هذه تتقارب مع النزعة الصوفية، او المثالية الجديدة (الإنسانية الجديدة) التي تنكفئ على مكامن الشعور الداخلي بعيداً عن الازمات التاريخية او التراثية التي تحيط به من الخارج، ومحاولة هروب صريحة من عصور الازمات والمتاهات السياسية والثورات الاجتماعية اذ وفقاً لهذا المنظور تكون الازمة الحقيقية التي أشار لها هوسرل تتعلق بالأزمة العقلانية وهي محور أزمات الإنسانية بصورة عامة، وهذه الازمة التي اتخذت طابعاً سياسية واحيانا أخلاقياً، وذلك بعد صعود الأنظمة الشمولية في القرن العشرين كالستالينية والفاشية والنازية، والتي سخرت المعارف بهدف الهيمنة على الافراد من خلال أنظمة الحكم، وهو ما جعل الإنسانية معرضة للتهديد جراء الحروب والصراعات الأيديولوجية، أي ان هوسرل يرى ان الازمتين الأخلاقية والسياسية انما عمقهم الراديكالي الاعمق يتمثل بالأزمة العقلانية ذاتها، وبالتالي فقدان المعنى وتوهانه في ظل هذه الازمة العقلانية، وهو ما تمثل بالفشل الظاهري للعقلانية عبر تلك الازمات، وهو لا يعد فشلا في ماهية وجوهر العقلانية بقدر ما هو فشل يؤشر اتخاذها طابعاً خارجيا سطحياً يتعلق بالنزعة الطبيعية والموضوعية [2] وواضح الإشارة من خلال رؤية هوسرل الى ان الأنظمة الديكتاتورية بما يشكله حضورها وقمعها من أزمات على المجتمعات والافراد انما سعت لتسخير المعرفة العقلانية لتتحول الى أداة فكرية مهيمنة للإطاحة بالأخرين (وبخاصة المجتمعات) في ظل سيادة الأنظمة الفاشستية بكل قوتها على أنظمة الحكم في العالم الأوربي، وتحول هذه السيادة الى ازمة مستدامة بحق الافراد والمجتمعات المحكومة بوصفها أنظمة تحكم بالنار والحديد وتصادر الحريات والهويات والثقافات الخاصة،ففي

[1] عبد الغفار مكاوي، تجارب فلسفية، (لندن: مؤسسة هنداوي،2020)،ص69-70.

[2] ينظر: إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية و الفنومنولوجيا الترنسندنتالية، ترجمة: إسماعيل مصدق، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة،2008)،ص558.

ظل الأنظمة الشمولية يجد الافراد انفسهم امام أزمات مختلفة على الصعيد الاجتماعي والسياسي وحتى الاقتصادي المتمثل بوضعهم المعيشي في ظل تحكم النظام الشمولي بكل الموارد المتاحة ومصادر القرار.

بيرتراند أرثر ويليام راسل

اما الفيلسوف البريطاني (**بيرتراند أرثر ويليام راسل**) (1872-1970) فقد كان هو الاخر من دعاة الاشتراكية، واحد اهم المناهضين لازمات الحرب ومناهضة الامبريالية بكل صورها القبيحة، وكان يدعو للسلام خلال الحرب العالمية الاولى مما عرضه الى السجن وخسارة عمله كأستاذ جامعي، حتى انه انتقد الشمولية الستالينية وهاجم هتلر بقوة، وانتقد تورط الولايات المتحدة في حرب فيتنام، فقد كان يكترث جدا لما يدور حول العالم من ازمات كبرى او داخلية، ويشخصها ويبدي موقفا واضحا ازاء تلك الازمات، فمثلا يرى الفيلسوف بيرتراند راسل بان ((الحرب هي صراع بين مجموعتين تحاول كل منها ان تقضي على اكبر عدد من المجموعة الاخرى او اصابتها بالعجز، بقصد تحقيق هدف معين ترغب في تحقيقه وعادة ما يكون هذا الهدف هو القوة او الثروة))[1] وهو بهذا المفهوم يحاول ان يعود بالتشخيص الى المعنى الذي يقترب من الفهم الماركسي لتشخيص أسباب الازمات والصراعات وهو الحصول على المكامن الاقتصادية، بالقوة والثروة التي تمكن الجماعات من السيطرة على الاخرين، وفقا لراسل فانه يفضح تلك النوايا باتجاه افتعال وصناعة الحروب على أساس نفعي خالص، وقد يقترب معنى انتاج الحرب وصناعته بالفكر من حيث ان ((الأدب والحرب كلاهما نشاط وعمل ينجزه الإنسان سواء كان بشكل فردي أو جماعي، وهو لا يقوم بذلك عشوائيا أو من غير هدف، ولأن الانسان كائن عاقل ومفكر، لذا نرى أن إنجازه لهذه الأعمال سيكون، إما للتعبير عن ذاته وحاجاته وأحاسيسه، وإما

[1] كامل محمد عويضة، بيرتراند راسل فيلسوف الاخلاق والسياسة، ط1،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1993)،ص74.

للدفاع عن نفسه وممتلكاته ووجوده))[1] أي ان ازمة الحروب من حيث هي ازمة كبرى تنتج بناء على رغبات نفعية واضحة سواء من الافراد او حتى الجماعات وتأت وفقا لاحتياج نفعي يكمن في السيطرة على مصادر القوة والثروة (أي السيادة / والمجال الاقتصادي) وهي ذاتها التي تتسق مع هدف انتاج الفكر القصدي عبر انتاج نص ثقافي يعبر عن تطلعات الانسان بصورة هادفة وواضحة، وما يمكن ان يوطد من علاقة انتاج الفكر عبر قراءة الازمة، بالأزمات المتعددة الصور في الحياة. ويمكن النظر الى ذلك عبر التجارب الإنسانية على امتداد التاريخين، فكلا الامرين يؤثران بالغ التأثير في حياة الافراد والمجتمعات ومنحى معيشتهم اليومية، بل حتى في أنساقهم الثقافية والمجتمعية اذ ان الأدب تأثر أيما تأثير بالحرب وانعكاساتها الازموية بحيث ظهرت أنواع وطرق جديدة للتعبير في المجال الادبي والفني مما يعرف ((بأدب الحرب، وفي المقابل أثرت الأعمال الأدبية في الحرب من خلال تأثيرها في الإنسان وتحريك مشاعره وتحريضه وإلهاب حماسته للمشاركة في المعارك، مما أدى إلى إطالة أمد الحروب وإبقاء ويلاتها وبطولاتها في ذاكرة الفرد والشعوب. وتأتى العلاقة بين الأدب والحرب من كونهما مرتبطين بالإنسان ومحاولاته للبقاء والتعبير عن نفسه والحفاظ على ما يملك. وهذه كلها أمور مرتبطة بأنانية الإنسان، والعلاقة بين هذين المفهومين تتمثل في عدد من المواضيع والنقاط))[2] أي ان معطيات التفاعل مع الازمات سواء كانت على مستوى الواقع الخارجي وما ينتجه من تأثير او حتى على مستوى الشعور الداخلي للأفراد وما ينتجه من ردات فعل إنسانية تقوم على علاقة انتاج الفكر للتعاطي مع هذه الازمات التي تمس وجود الانسان ومفاصل حياته (السياسية، المجتمعية، الاقتصادية) فعملية تلازمهما هي محاولة من اجل البقاء والتعبير عن الذات إزاء ما يجري في الخارج الموضوعي، لذا ذهب الفيلسوف برترند راسل

[1] سركوت حمه حسين، ازمة حيادية الادب في زمن الحرب،مجلة الانساني،(القاهرة)، تصدر عن اللجنة الدولية للصليب الاحمر،العدد الرابع والخمسون، صيف2012،ص42.

[2] المصدر نفسه،ص42.

الى طرح مفاهيم مناقضة وضدية الى هذه الازمات تتمثل بإشاعة ثقافة السلام من اجل وئد مثل هذه الازمات، فيرى بيرتراند رسل بخصوص حديثه عن الازمات في الحروب بانه من ((اليسر كبح جماح القوى الاقتصادية والسياسية التي تعمل على اثارة الحروب اذا تأصلت الرغبة في السلام تأصلاً قويا في جميع الامم المتمدنة الا انه مادامت الشعوب قابلة لحمى الحرب فان كل عمل في سبيل السلام لابد ان يبقى مزعزعا، وإذا لم يكن في الامكان اثارة حمى الحرب كان في المستطاع شل العوامل السياسية والاقتصادية فلا تؤدي الى اية حرب طويلة الاجل او شامل التدمير، والمشكلة الاساسية امام رجل السلام هي كبح جماح النزعات التي تقود الى الحرب، تلك النزعات التي تستولي على مشاعر مجتمعات باسرها من وقت الى اخر وهذا لا يمكن القيام به الا اذا احدثنا تغييرات بعيدة المدى في اساليب التعليم وفي البناء الاقتصادي للمجتمع))[1] ان تأثيرات ازمة الحرب بعيدة المدى على سلوكيات الافراد والمجتمعات انما تمس بنية تلك المجتمعات في صميم تمثلاتها الحياتية اليومية، مما ينتج عن هذه الازمة (ازمة الحروب) أزمات أخرى تتعلق بسلوكيات الافراد وبنائهم المجتمعي، ناهيك عن انتاج ازمة الحرب التي تقوم على مبدأ النفعية الاقتصادية الواضحة من خلال (محاولة الحصول على المكسب الاقتصادي) بحيث تمتلك مكامن القوة والتحكم والنزعة الى الهيمنة والسيطرة مما يعوق عمليات السلام اذ لم تكن هناك بوادر حقيقية من المجتمعات قائمة على الوعي بهذا السلام وما يمكن ان ينتجه من إيقاف تام للازمات.

وفي الفلسفة الوجودية كذلك هناك تمثل اخر يفصح عن عمق الازمات التي يعانيها الانسان اذ تبرز ازمة الانسان في فلسفة الروسي نيقولاى ألكسندروفيتش برديائيف [*]

---

[1] برتراند رسل،نحو عالم افضل،ترجمة:دريني خشية،عبدالكريم احمد،(القاهرة:المركز القومي للترجمة،2007)،ص75-76.

[*] نيقولاى ألكسندروفيتش بِرديائف (18 مارس،1874 – 24 مارس، 1948)، فيلسوف ديني وسياسي روسي،ولد بمدينة كييف، لعائلة أرستقراطية، ويعد أحد أهم رواد الفلسفة الوجودية المسيحية. طرد من روسيا في عام 1922 بوصفه (عدوًا أيديولوجيًا للشيوعية)، فلجأ في إلى برلين، حيث عاش فيها من الفترة بين 1922- 1924. ثم

وذلك من خلال مناقشته ((لمفهوم العزلة التي يعيشها الكائن البشري اذ ان العزلة تبين كيف تموت وظيفة الانسان المنعزل في المجتمع حتى يصبح مغرقا ضمن أجواء توحي بوصوله الى حالة من التشيؤ))[1]أي ان الروسي برديائيف ينظر الى ان ازمة الانسان ناجمة عن التطور السريع للتقنية والتي أصبحت عاملا يحد من النشاط البشري وان المصير الإنساني اصبح عبدا للزمن الرياضي، والحياة الروحية هي وحدها قادرة على ان تجعل الفرد يتحرر من الزمان[2] برديائيف ينتقد المجتمعات الرأسمالية والتي تكترث للظروف الاقتصادية اكثر من الروحية للإنسان وتجعل الانسان مجرد رقم كبقية الأشياء، ما يجعل الانسان حبيس أزمات متعددة تفرغه من طاقاته الروحية الخلاقة وتحوله لكيان مادي متصلب يعمل كالألة، ان تأثير التقنية على الوجود والمستقبل البشري يقدم نظرةً مأساويّة للإنسان ولاسيما في ظل انعكاس تطور العلم والتكنولوجيا كسببٍ للاغتراب للأفراد، وبالتالي نظروا إلى التطورات التقنية على أنّها تحدٍّ لحرية الإنسان واستقلاله او ممارساته الشخصية.

جورج لوكاتش

(**جورج لوكاتش**) (1885-1971) فيلسوف وناقد ماركسي مجري كان من ابرز المنظرين عن موضوعات (التشيؤ) و(الوعي الطبقي) بوصف التشيؤ احد العوامل المثبطة للوعي، وكان ميالاً الى واقعية الادب بصورة واضحة، وبخاصة المسرحيات التي يكتبها اتباع المدرسة الواقعية، وكان يركز كثيراً على مسالة وعي الطبقة العمالية والذي يرى انه احيل

انتقل إلى باريس عام 1924 حتى وفاته في 22 مارس 1948، ومن مؤلفاته: (مصير الانسان في العالم الحديث) وكتاب (العزلة والمجتمع) و(العبودية والحرية) و (الغيب والانسان) وغيرها. ينظر: صابرين زغلول السيد،التقنية والعزلة: دراسة في الأنثروبولوجية الفلسفية عند برديائيف، مجلة الاستغراب، (بيروت)، العدد 15،ص186.

[1] د.يحيى البشتاوي، ازمة الانسان في الادب المعاصر،(عمان: دار الكندي للنشر والتوزيع،2006)،ص34.

[2] نيقولاي برديائيف، العزلة والمجتمع،ترجمة فؤاد كامل، (القاهرة: دار النهضة المصرية، سلسلة الألف كتاب، ب ت)،ص182.

الى بضاعة وفقا للرأسمالية لتشكل بذلك ازمة كبرى في مسالة الوعي، تكمن في تحويل الانسان الى سلعة، ومحاولة الخروج والرفض الكامل لهذا التشيؤ،عبر الثورة والنضال من اجل تحرير هذه الطبقة من ازمة العبودية الاقتصادية التي تضرب هذه الطبقة،وكان يرى ان الوعي الحقيقي للطبقة العاملة لا يشكل ردات فعل واشتراكات أوتوماتيكية للازمات الاقتصادية،فهو يرى ان استمرار الرأسمالية وزحفها من دون رادع او حدود انما يخلق ازمات اخرى تتمثل بالحروب الاهلية والعالمية والامبريالية وانحطاط بالطبقات المتصارعة التي قد توصلها الى حالة من البربرية، وهنا تكمن مخاطر ازمة الهيمنة الرأسمالية التي كان يحذر منها لوكاتش، الوعي الذي كان يطلبه لوكاش من الطبقة العمالية هو الأدراك والاستيعاب الكلي لتناقضات المجتمع الرأسمالي والاحاطة بكل عناصر تركيبه، وأنتاج وعي جديد للطبقة البروليتارية يحدد من خلالها الدور التاريخي والاجتماعي للثورة العمالية وتجاوز الرأسمالية، وكان لوكاتش من ابرز المنتقدين والمناهضين للفاشية الالمانية وهذا ما يتوضح في النسخة الفرنسية من كتاب لوكاتش (تقويض الفاشية في الأدب) فأبان حقبة ما بعد الحربين العالميتين وفي اوساط الاشتراكيين برز موضوع بناء خطوط فكرية لمناهضة الفاشية والنازية ولمع نجوم عدد من الفلاسفة والمفكرين بهذا الشأن ومنهم جورج لوكاتش [1] ويرى لوكاتش في معرض تفكيكه ازمات الفاشية ان من الاهواء التي شكلت الفكر الفاشي هو الشعور بوجود ازمة معقدة للغاية ولا يمكن معالجتها بواسطة الحلول التقليدية، وفاعلية الاعتماد وتسخيره لصالح الجماعة، والخوف من تفكك وانحلال الجماعة بفعل تأثيرات الليبرالية والشيوعية، وقد تميزت بقناعة فكرية استعلائية قوامها المناداة بالقومية الالمانية وتعزيز مكانتها بين

[1] حسام الدين علي مجيد،الفاشية و كيفية اجتثاثها في ألمانيا من منظور جورج لوكاش، مجلة تكريت للعلوم السياسية،(جامعة تكريت)، العدد 18، شهر كانون الأول لعام 2019،ص62.

القوميات الاوربية، ومن جانب اخر ايمان النازية بأهمية التصنيع واشتراكية الدولة والتدخل الحكومي المباشر لمعالجة الازمات [1]

ان الازمات التي سببتها الفاشية في الحرب العالمية الاولى تكفي وحدها لتفسير مأساة هذا النظام الحاكم الذي افرز الشعور العام بالهزيمة والاحباط وتولد الازمات الاجتماعية الحادة وتفكيك اقتصاديات البلد وموجات هجرة، وبطالة مستفحلة وكساد كبير وبالأخير خروج التضخم الاقتصادي عن سيطرة الدولة وجميع مؤسساتها، وفي ظل هذا الياس والتشاؤم عمدت النازية الى نقله للأوساط الالمانية الشعبية والبحث عن مخلص للمجتمع من ازماته الاجتماعية والاقتصادية عبر النموذج النازي من خلال النظرة المتطرفة على الجانب القومي الالماني، لذا كان لوكاتش يعتقد بأهمية التخلص من الفاشية الالمانية عبر مشروع فكري سياسي ما يسمى بالديمقراطية الثورية التي تجمع القوة مع اللين، اذ ان لوكاتش يتفق مع مدرسة فرانكفورت في عملية النقد المشترك لصناعة الثقافة النازية، وحاولا الاطاحة بهذا النظام عبر نقد التفكير الساري ابان الحكم النازي، وطريقة وصولهم الى دفة الحكم وبسط سيطرتهم على المجتمع الألماني، فراح لوكاتش يدعو الى قراءة التاريخ الالماني قراءة واقعية نقدية واكد على ان من واجبات ادب الحركة المناهضة للفاشية تحطيم الخرافات التاريخية ومحاولة اجتراح مصطلح التغلب على الماضي واعادة المناداة بصناعة المستقبل، ذلك ان مفهوم الديمقراطية الثورية لدى لوكاتش هو محاولة ازالة التراث من خلال تضمين مشروعه ((معرفة الطريق التي تبين كيف يمكن ان يصبح المثقفون، ان يصبح الادب، مرة ثانية ممثلا لحياة الجماهير، وكيف يستطيع ان يلعب دوراً تثقيفياً وقيادياً في حياة الشعب))[2] أي من خلال محاولة استخدام الادب يمكن من خلالها ضرب النموذج السلبي عبر تسويق الادب

---

[1] المصدر نفسه، ص73-74.

[2] جورج لوكاش،دراسات في الواقعية،ترجمة:د.نايف بلوز،ط4،(بيروت:المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،2006)،ص115-116.

كأسلوب حياة في الثقافة الألمانية وإعادة ترميم الهوية الألمانية التي تأثرت بفعل الأفكار النازية التي كانت توحي للشعب الألماني على انها النظام المخلص لهم من حياة البؤس والاغتراب التي عاشها الفرد الألماني وقد عول لوكاتش كثيراً على روحية المواطن الألماني في إعادة ترتيب أوراقه من خلال خطاب الوعي عبر ما ينتج من أفكار وادب، اذ ان ((الروح عند الالمان تتكشف في الازمات...المراحل المتلاحقة من الازمات التي عاشها الشعب الالماني فقد عاشها دون ان يفقد روحه فالروح الحية تستمر والازمات تمضي...هذه الروح التي اجتازت كل الازمات وحاولت التنقل من فلسفة الى اخرى من المثالية الى الواقعية الى الاشتراكية ولكنها ظلت دائما الروح الباحثة عن حل تتجاوز به ازمتها ومشكلاتها لكي تحيا وتستمر وتنتح ذلك الانتاج يتجلى في الفكر وفي الصناعة وفي القانون والموسيقى والفنون))[1] وعلى وفق ما تقدم فان الادب الواقعي الذي نادى به وطالب بحضوره بقوة لوكاتش لإعادة ترميم بنية المجتمع الألماني للخلاص من الأنظمة التسلطية التي باتت تسهم بقوة بإعادة ترسيخ هوية جديدة للألمان قوامها البحث عن مخلصين حتى وان كان هذا المخلص (هتلر) والنظام النازي، ولا يكون ذلك الا عبر ادب يلتزم تماماً بالأزمة الموضوعية الخارجية التي تحيط بالفرد وتضرب بنية اقتصاده وسياسته ومجتمعه، لذا اصبح ((الادب والفن من اهم الاسلحة الفكرية التي يلزم للبروليتارية ان تكون على اتصال وثيق بها، حتى في ظل الهيمنة الديكتاتورية والفاشية،يتماسك الفن والادب بنزعة الانسانية داعما بها عملية الكفاح الثوري الا ان لوكاتش فرض شرطا مهما لان يكون الادب على مساره الصحيح مع الثورة وهو ان يكون واقعيا شديد الترابط مع الواقع الخارجي وذلك ليتمكن من تخطي حالة الشيئية السائدة على الحياة الانسانية))[2] فكان

---

[1] جورج كتورة،الروح الالمانية:تجاوز الماضي الاليم،(الامارات: مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2015)،ص23-24.

[2] ندى محمد كمال عبدالتواب، محمد امين شاهين،اليات الوعي الانساني الموجه بين كارل ماركس وجورج لوكاتش،مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية،جامعة قناة السويس، (مصر) المجلد 5،العدد41، يونيو 2022،ص221.

من مجمل ما يبحث عنه لوكاتش في صيغ الادب الجديدة هي محاولة تخليص الفرد الألماني من صورة السلعية التي التصقت به وحولته الى انسان متشيء تماماً، فكان على الادب ان يعيد ترميم الجانب الإنساني الروحي لدى هذا الفرد لكي يتصل من جديد بهويته الألماني الحقيقية بعيداً عن صور العبودية والطاعة العمياء وفروض الاتباع والرضوخ للأنظمة التي حطمته بالكامل واحالته الى مجرد سلعة، ولهذا نرى ان ((لوكاتش ينتقد كل مقولات علم الجمال القديم التي تبرر لنا عرض العالم كما هو معطى، دون ادنى محاولة لتجاوزه او نقده من اجل استشراق عالم جديد للإنسان يحفل بقيم جديدة))[1] اي ان فهمه لعلم الجمال بوصفه عملية خلق فني مناهض للظروف اللا انسانية التي يعانيها الافراد في حياتهم الواقعية اليومية، لذا الانسجام الفني وسيلة لتجاوز أزمات الانسان وليس تصويرها وحسب بل وسيلة كفاح للإنسان من اجل استعادة كرامته وانسانيته، وهذا ما كان يركز عليه في ظل حقبة النظام النازي وما فعله من أزمات في المجتمع الألماني في محاولة لتجاوز أزمات هذا النظام عبر ما يتج من ادب مناهض يخلق عالماً جديداً خال من الازمات ويقدم لنا رؤية مستقبلية للإنسان والمجتمع على حد سواء وهو ما كان يعنيه بعملية الاتصال الوثيق ما بين الانسان وازماته الخارجية ((فالجمال لدى لوكاتش قيمة معرفية ايضا لأنه يضحى وسيلة لأدراك العالم المحيط بالإنسان))[2] ولابد من الإشارة الى ان ثمة وظيفة مهمة للفن حسب لوكاتش وهي ((قدرة الفن على استشراف المستقبل والتنبؤ به من خلال منظور الفنان الذي يلتقط ماهو جوهري وعام))[3] وهو ما يقترب تماماً من عملية قراءة الازمة واداراتها بطريقة تجعل رؤية الفيلسوف ومن بعدها الفنان تقدمية بعض الشيء للخلاص من الازمات وتقديم صورة مابعدية عن عالم خال من هذه الازمات، او على الأقل تقديم قراءة تتصل بالمتوقع

[1] د.رمضان بسطاويسي محمد غانم، علم الجمال عن لوكاتش،ط1،(القاهرة: مكتبة الاسرة، 1991)،ص105.

[2] المصدر نفسه،ص107.

[3] المصدر نفسه،ص130.

والناتج جراء معطيات الازمة وما يمر به الانسان من مشكلات عدة، ان الفكر الثقافي الذي يتبلور عبر النص انما هو يمثل خلاصة ما يتمخض من الازمات التي تعطل مسارات الانسان في المجتمع، وتتبلور عبر علاقات واقعية ضمن مفهوم النص الذي يمثل حالة من حالات أزمات المجتمع بصورة عامة وليس ازمة المؤلف او منتج النص وحسب، اذ حسب (لوكاتش) فان ((البنية الثقافية سلسة متداخلة من علاقات عدة سياسية واقتصادية ومرجعيات دينية واعراف اجتماعية مخزونة في اللا وعي الجمعي لكل مجتمع من المجتمعات المنتجة للأدب فضلا عن كل المتغيرات التي تطرا على تلك البنى التحتية ويكون لها انعكاسها من خلخلة للنظم الاجتماعية المترتبة عليها التي تظهر غالبا في النتاج الادبي للأمم التي مرت بها))[1]

ان فيلسوف الواقعية جورج لوكاتش يعد الاهم في النصف الأول من القرن العشرين والمنظر الأساس لمبادئ المدرسة الجدلية التي ترجع إلى الفيلسوف الألماني هيجل ورأيه الذى بلوره فيما بعد كارل ماركس عن العلاقة بين البنى التحتية (علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج) والبنى الفوقية (الثقافة والفنون والفلسفة)، فقد أوضح أن هذه العلاقة متبادلة ومتفاعلة مما يجعلها علاقة جدلية قائمة على التأثير والتأثر، أي بمعنى اخر أن أي تغيير في البناء الاقتصادي والاجتماعي يؤدى إلى تغيير في شكل الوعى أو مجمل البناء الفوقي الذى يعود فيؤثر في البناء التحتي من خلال تثبيته أو تعديله أو تغييره، فالواقع المادي في تفاعل مستمر مع الأفكار، والتغيرات التي تحدث في المجتمع نتيجة للتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كلها تؤثر في الوضع الإنساني ومن ثم في شكل الدراما ومضمونها، وهذا يعنى أن الأدب انعكاسٌ للواقع الاجتماعي فالظروف الخارجية اذ

[1] ا.م.د.اريج كنعان حمودي، تمثلات الواقع ومشاكله في الرواية: قراءة في المنجز العراقي بعد عام 2003، مجلة الآداب،(بغداد)،العدد 117 لسنة 2016، ص108.

تغيرات بناها او أصابها الخلل والانتكاسة حتماً ستعود على بنية الثقافة وصناعة الكلمة عبر النص المسرحي مثلا او غيره ([1])

كما ان جورج لوكاتش في كتابه (التاريخ والصراع الطبقي) اكد على تبني نظرة الطبقة العاملة التي تمكن المرء من ان يرى كيف ان ((المجتمع الرأسمالي ينتج التشيؤ الذي يعني تحويل البشر الى اشياء على جميع مستويات الحياة الاجتماعية في عملية العمل والانتاج الثقافي وحتى العلاقات الحميمية تم اختراقها بالضرورات الاقتصادية وامست موضوعا للقوانين الاقتصادية))[(2)] وهي رؤية تمثل الازمات التي باتت تنفذ الى خصوصية الفرد، وبالتالي لا يمكن الخلاص من هذه الازمات الا عبر التخلص من المجتمع الرأسمالي الذي يمثل الازمة الحقيقية التي تضرب الطبقات العمالية وتحيلها الى مجرد أشياء سلعية وفقاً للمفهوم الاقتصادي لهذا النظام الرأسمالي الذي يتحول فيه البشر الى كائنات مغتربة لا تملك هويتها المستقلة او خصوصيتها الاجتماعية، ولا يمكن لهم الخلاص من هذه الازمات الا عبر ما ينتجوه من ثورة مدادها الوعي الطبقي، ان التشيؤ عند لوكاتش يعني تحول العلاقات الانسانية في ظل هيمنة النظام الاقتصادي الرأسمالي الى اشياء جامدة وخاضعة لمنطق التبادل التجاري بالشكل الذي يتحول البشر الى سلع او بضائع وبالتالي يخضعون الى قوى واشياء خارجة عن ارادتهم ويظهر العالم الاجتماعي الانساني على هيئة عالم من الاشياء بحيث كأنه مستقل عن الفعل الانساني والتشيؤ هنا يجعل البشر كأنهم دمى[(3)] غير ناطقة، وهي مجرد أدوات تنفيذ في ظل الأنظمة الرأسمالية، ويمكن تأشير هذه الازمة بالمزدوجة ما بين المجال الاقتصادي والاجتماعي وحتى السياسي الذي يتصل بمفاهيم المادية البحتة ومفاهيم انعدام الجانب الإنساني والروحي للأفراد بعد ان

---

[1] ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1996)،ص43.

[2] اياد كاظم طه، اسيل عبد الخالق، التشيؤ وتمثلاته في العرض المسرحي العراقي، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية،(بابل)، مجلد 26، عدد 7، لسنة 2018، ص227.

[3] ينظر:آلن هاو،النظرية النقدية:مدرسة فرانكفورت،ترجمة:ثائر ديب،(القاهرة: المركز القومي للترجمة،2010)،ص105.

تحولت خدمتهم (العمالية) الى مجرد سلع اقتصادية يتعامل معها وفقا لمفاهيم الربح والخسارة بالمجال الاقتصادي مما فاقم من ازماتهم الروحية وساهم بسحق هوياتهم الإنسانية وترحيلها الى تسليع مادي وفقا لمتطلبات السوق.

هربرت ماركوز

(هربرت ماركوز) (1898- 1979) لعل احد أهم الفلاسفة الذين شخصوا الازمات ومسبباتها هو (الفيلسوف والمفكر الامريكي الالماني هربرت ماركوز) والذي تحدث في كتابه (الانسان ذو البعد الواحد) عن ازمة شيوع ظاهرة الثقافة الاستهلاكية عن طريق خلق الحاجات الزائفة من قبل المجتمع الصناعي بوسائل الاعلام والاعلان وانماط التفكير المعاصر، وتحدث كذلك عن حتمية الازمة الرأسمالية وتعددها والتي تبين مدى تفكك الأنظمة إزاء تعاملها مع الانسان المعاصر، فضلاً عن هيمنة التكنولوجية واستعبادها للإنسان واسماها بالنزعة الاستبدادية في المجتمعات الصناعية [1] فمن اجلى الازمات التي يمر بها الانسان المعاصر والعالم اجمع حسب رؤية ماركوز هي الجدلية القائمة بين الفرد كانسان يمتلك المشاعر والاحاسيس والعلاقات الاجتماعية المتبادلة مع المحيط وبين الالة الصناعية حينما تنوب عن هذا الفرد ومحاولة الزج بهذه الالة ضمن بنية المجتمع البشري عبر محاولات جادة من العالم والمؤسسات لمنح هذه الالة (الشيء) صفات تقترب من الفرد وتنافسه في سلوكياته اليومية، مما يولد القلق والمخاوف الكبيرة لإحلال الالة محل الانسان بصور اكبر وأماكن اكبر بعد ان ازاحت هذه الالة الالاف والملايين من امكنتهم وحلت محلهم في بيئات العمل والمصانع والمعامل وأماكن أخرى، فقد خلقت الثورة الصناعية ازمة قلق كونية كبرى لدى الفرد وبخاصة في اوربا، اذ تم تقليص الايدي العاملة والاستعاضة بالالة لتأدية اعمال العشرات والمئات من الافراد مما وسع من رقعة البطالة واوقات الفراغ لدى الشباب وبالتالي انحدار الشباب وازدياد حالات الاكتئاب

[1] ينظر: هربرت ماركوز، الانسان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، ط3، (بيروت: منشورات دار الاداب، 1988)،ص39.

والقلق والانتحار وتعاطي المخدرات والكحول وغيرها من السلبيات التي تركت اثرها على الفرد وخلقت أزمات كبرى في طبيعة تلك المجتمعات، ففي ظل ((حضارة التكنولوجيا المعاصرة تجسدت بشكل واضح عملية التركيز على الأشياء واغفال وظيفة الانسان الذي بات يعيش ازمة حقيقية في ظل الخواء الفكري والثقافي وظاهرة انتشار المسوخ))[1] ان الإنتاجية القائمة على المشاركة الفكرية، وانخراط روحية الانسان وكيانه في مكامن العمل لم تعد تغدو ذات أهمية في ظل المهيمنات التكنولوجية التي أصبحت تدير العمل منذ بدايته وحتى نهايته، فتحول الانسان معها الى مجرد من كل تفاصيله الإنسانية، ومتسقاً مع هذه التطورات التي باتت هي من تتحكم بالفعل الإنتاجي اليومي، حتى في ادق تفاصيل تتعلق بكيان وهوية الفرد،أي تحول الى مجرد الة انمسخ من انسانيته وبدأت مشاعره وذاتيته تنخرط في مادية التفكير المادي في الحياة، ولم يعد يكترث له الا بقدر ما يقدمه من إنتاجية، في ظل تنافس حقيقي لهذه الإنتاجية من قبل الماكنة وتطورات التكنولوجية، مما جعل تلك الالة تشكل قلق حقيقي للإنسان وتهدده بان تحل مكانه على مختلف الأصعدة ولاسيما في مجالات العمل الوظيفي والذي يرتبط بالجانب الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للإنسان وهو اهم عائق يرتبط بأزمات الفرد وتعميقها، فعقل الانسان خرج من ازمة سيطرة القوة الغيبية وتحرر من هذه القوة ليقع تحت جبروت السيطرة التكنولوجية فائقة القوة حسب تعبير ماركوز.

ان الثورة الصناعية الثانية في اوربا احدثت تحولات كبرى في الابنية الاقتصادية والمجتمعية، وغيرت من العلاقات بين قوى المجتمع وفئاته، فقد ((غرق الانسان الاوربي في العالم المعذب للبلدان الصناعية الكبرى والقي به في طرقات المنفى غير الأمنة والمحفوفة بالمخاطر، وعانى من الاقتلاع العميق لجذوره والانقطاع عن وسطه الاصلي وماضيه اللذين يؤثران بشدة في افكاره وتصرفاته، ادى ضعف او اختفاء ابنية اطار الهيكل

[1] د.يحيى البشتاوي،مصدر سابق،ص57.

الاجتماعي "مهنة، مجتمع قروي، العائلة الممتدة، الخ" الى تفتيته))[1] أي عاش الانسان متشظياً في ظل الشكل الجديد لاوربا ما بعد الثورة الصناعية، وبخاصة في مرحلتها الثانية، اذ تفاجئت الطبقة العمالية بحجم التطورات التكنولوجية ولم تكن تفكر يوماً انها ستحل محل خدماتها في الإنتاج، وبالتالي ازاحت هذه الالة الانسان وجعلته عاطلاً عن العمل والإنتاج، مما ولد ضغوطات كبرى على بنية المجتمع من حيث تقلص فرص العمل والحصول على الأجور التي قد تسد رمق هؤلاء الافراد واسرهم، مما شكل اكبر ازمة آنذاك لطبقة العمال، وهذه الطفرة المهمة في الثورة الصناعية قد خلقت أزمات من نوع اخر كما اشرنا، ومنا انزياح مكانة الانسان الاجتماعية والاقتصادية، وبالتالي دخول نوع غريب جديد في عملية الإنتاج يتمثل في الالة، بل ان الامر شكل ازمة حقيقية حينما باتت تلك الالة تتدخل حتى في المضامير الفكرية والعمليات التي تقترب من الذكاء الفكري الإنساني وتسرق هذه الوظيفة من الانسان ذاته وتحيله الى شيء خالٍ من الوظيفة بل الى موارد عاطلة عن تأدية أي خدمة لهذا المجتمع او الدورة الاقتصادية فقد شكلت ((الثورة الصناعية وظهور عصر الالة تحولاً اقتصادياً واجتماعياً في الزمن المعاصر، فاذا كانت الثورة التكنولوجية التي اتصف بها العصر الصناعي قد قضت على كثير من مساوئ احوال العمل فأنها قد ادت في الوقت نفسه الى ولادة مشكلات اجتماعية عديدة فقد انتزعت الالة الالكترونية الانسان من انسانيته وانزلته من مكانته الاجتماعية، وذلك حينما حلت كائنات الية مكانه واصبحت تنافسية في المهام والوظائف التي كان يقوم بها، ولم يتوقف الامر عند ذلك، بل امتد دور الآلات الالكترونية الى القيام ببعض الوظائف الفكرية))[2] ماركيوز أشار أيضا الى قضية مهمة تتعلق بعلاقة الانسان (بالقاهر) اذ اوضح ان القهر على الانسان كان يمارس في الماضي عن طريق طاغية او حاكم مستبد،

---

[1] بيبرا ميلزا، ما الثقافة؟،ترجمة: راوية صادق،ج6، ط1،(القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة،2006)،ص161.

[2] مينا سامي امين، اشرف عبدالفتاح محمد، عبد العليم ذكي، المعالجة التشكيلية لفكرة اليوتوبيا والديستوبيا في تصميم شخصيات الروبوت في افلام التحريك المعاصرة، مجلة الفنون والعمارة للدراسات البحثية، كلية الفنون الجميلة، (جامعة حلوان)، المجلد الثالث،العدد 5، يونيو 2022، ص173.

اما في المجتمع الصناعي المعاصر بشقيه الاشتراكي والرأسمالي فأننا نجد اعجب انواع القهر والازمات واقواها تسلطا فالقهر يمارس على اساس من المعقولية التامة فهو قهر عقلي منطقي يندمج تماما مع المقومات الرئيسة للمجتمع اذ ان المجتمع الصناعي الحديث بالغ التنظيم يسيطر على الانسان وتترتب على هذه السيطرة انواع من الاغتراب العقلي والثقافي، وهما دعامة مهمة واساس للسيطرة الاقتصادية،فالإنسان الحديث يستعبد باسم العقل، فالضحايا انفسهم هم من يستهلكون منتجات المجتمع الصناعي ويحافظون على ديمومته والواقع ان الادارة التي تتحكم في العمليات الاقتصادية اصبحت في عصرنا الحاضر اكثر وسائل السيطرة على البشر والتحكم فيهم بحيث غدت افضل المجتمعات ادارة هي اكثرها عبودية ([1]) ورغم ما تقدم فان ماركيوز كان يؤمن بالتغيير الذي يأت عبر الفعل الجانب الفكري، فكان يرى بان ((العمل الثقافي ومهما كان نوعه في المجتمعات الرأسمالية الحديثة، له غرض سياسي هدفه تقويض قوى المعارضة))([2]) أي ان الأهداف السياسية ممكن تحقيها من خلال إنتاجية العمل الثقافي للتأثير بالجماهير وبالتالي العمل على تقويض السلطات المجابهة التي تنتشر في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة، بحيث تكون ردات الفعل والمجابهة عبر الطرق والأساليب الباردة التي تمرر رسائلها في التقويض والنقد عبر ما ينتج من أفكار ونصوص ضمن زوايا المنتج الثقافي بعيداً عن صور ولغات العنف المباشرة، بل ان الفن ((في صميمه احتجاج على الواقع القائم، تلك هي ماهية الفن عند ماركيوز،ومعنى ذلك ان معارضة الاضطهاد هي المقياس الذي نميز به الفن الصحيح من الفن الزائف))([3]) أي ان الفن وفقا لماركيوز ممكن ان يكون في جوهره عملية تغيير لكل الازمات الواقعية بأشكالها المتنوعة، وما عداه لا يمكن ان يعد الفن فناً من دون هذه الهدفية التي يجب ان يتمتع بها، بسماته الفكرية

[1] فؤاد زكريا، هربرت ماركيوز، (لندن: مؤسسة هنداوي، 2020)،ص30.

[2] كحال ابو بكر، ازمة الثقافة في عصر الحداثة: لما تغدو الثقافة سلعة، مجلة التدوين، (الجزائر)،جامعة محمد بن أحمد وهران2-العدد10، لعام 2018، ص118.

[3] فؤاد زكريا، هربرت ماركيوز،مصدر سابق، ص49.

والجمالية، ومن ضمنها فاعليته إزاء ما يجري للإنسان من حالات اغتراب واضطهاد في الواقع، مما يتطلب الدور البناء الجاد للفن للثورة والتمرد على هذه القوانين والمظاهر ومحاولة تغييرها عن طريق وعي الفن وما ينتجه من خطاب فكري.

أريك فروم

(**أريك فروم**) (1900-1980) الفيلسوف الالماني الامريكي هو الاخر شخص أزمات الانسان في المجتمعات الرأسمالية، من حيث الاغتراب واستلاب هويته، ففي كتابه كتاب "الهروب من الحرية" فروم يرى ان العزوف عن الحرية يولد الازمة النفسية ويؤجج الصراعات الفردية،وفي فلسفته الانسانية أشار الى استلاب الانسان في المجتمع الاستهلاكي وهو استلاب تم على مستويات عدة وعلى رأسها وعي الانسان والزج به في عوالم استهلاكية، يكون خلالها مرغما على الاستهلاك الاعمى وتقيد الانسان بأصفاد غير مرئية وصولاً الى تحول الانسان نفسه الى بضاعة تباع وتشترى كبقية السلع [1] وهي ذات الطريقة التي تم تشخيصها من فلاسفة اخرين واعني هنا تسليع الانسان بوصفه (من الأشياء) السلعية التي تزج بهذا الانسان في فرضيات اقتصادية بحتة ويتم التعامل معه على أسس مادية بحتة خالية من الجوانب الروحية، فتمسخ هويته وفقاً لهذه الفرضية ويضيع الانسان في اتون الأشياء بمجتمع استهلاكي يفقده كيانه الإنساني ويجعله في أزمات مستدامة لا يخلص منها ابداً، ان ازمة الانسان في المجتمع الغربي داخل انظمة الحكم الرأسمالية والاشتراكية ذات منحى واحد يكون فيها الفرد ذا وجود مستلب او عدمي، اذ ان ازمة الانسان الغربي وفقا لتشخيصات فروم تعد ((ازمة ذات طابع شمولي بحيث اصبح الانسان ينحدر في اتجاه يكون موقفه فيه موقف القابل لا الفاعل، سلبيا لا ايجابيا، كانه سلعة فيسوق البضائع، وبذلك لا يمكن لمثل هذا الانسان ان يكون

[1] ينظر:ايريك فروم،الانسان المستلب وافاق تحرره،ترجمة:د.حميد لشهب،(الرياض: نداكوم للطباعة والنشر، 2003)،ص12-13.

منتجا، انه يفقد احساسه بذاته ويعتمد في حياته على رضا الناس في تصرفاته"[1] وتحدث اريك فروم كذلك عن تدهور المجتمع اقتصاديا ونفسيا والذي يولد الفروقات العظيمة في البنية النفسية لمختلفة الطبقات مما يولد للأفراد أزمات نفسية واضحة، اذ ان الاسرة الحديثة مثل الرأسمالية المتأخرة كانت في ازمة فالأفراد يخرجون من الاسر الحديثة مثل المصابين بشلل نفسي، بخاصة بتعاملهم مع السلطة ورموز السلطة، الطاعة العمياء لمجموعة متنوعة من رموز السلطة، هذه التبعية التي تفرض على الأشخاص فقدان هوياتهم وعيشهم بحالة اغتراب قاسي، اذ يشكل الاغتراب صورة من صور ازمات وتشوه الانسان المعاصر وهو المرض الذي قد يجعل الفرد مغترب الروح والعقد وفاسد القيم وتتحول حاجاته الى ضعف وتبعية ويتحول الى مجرد مستهلك يعيش على الهامش، ان فروم يرى ان البشر في ظل الرأسمالية بشر سلعيون حسب المفهوم الماركسي، وقد وصلوا الى درجة الامتثال المطلق وامتصت فرديتهم، واصبحوا عاجزين تسيطر عليهم الآلات ويحكمهم عامل الرغبة في الكسب المادي والتملك، وهو ما لم تقبل به الاشتراكية التي ترى في الانسان ساعياً للتحرر من ضغط الحاجة الاقتصادية بشكل يحقق معها إنسانيته بصورة كاملة ان فروم يرى ان الازمة الحالية الحقيقية انها ازمة الحياة نفسها لأننا نواجه احتمال توقف الحياة على هذه الارض بعد سنوات ليست بالكثيرة، ليس نتيجة حروب نووية او كيميائية او بيولوجية، رغم ان التقدم التقني سنويا يجعل الاسلحة الموجودة اكثر قوة وتدميراً، بل نتيجة مباشرة للتقدم التقني الذي سيجعل الارض والماء والهواء غير صالحين لاستمرار الحياة [2] ولم يشخص فروم الازمة على وفق الأنظمة الاستهلاكية او الشمولية وحسب بل وفقاً لطبيعة الانسان في هذا المجتمع الكبير، وهو انسان غير منتج يميل الى الجانب الاستهلاكي، مما يجعله اكبر عبء

[1] طاهر لقوامس علي، الحب كحل لازمة الانسان المعاصر عند اريك فروم،مجلة دراسات في التنمية والمجتمع،(الجزائر)، المجلد 7،العدد 3، لسنة 2022، ص80.

[2] أريك فروم،ازمة التحليل النفسي،ترجمة:د.طلال عتريسي،(بيروت:المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،1988)،ص183.

على الأنظمة الإنتاجية، بل يعيش في سجن استهلاكي كبير لا يمكنه من ان يكون رقماً فاعلاً في بنية طبيعة المجتمعات المنتجة، فقد تم سيرورته الى أداة استهلاك سلبي وحسب، ولذا يرى أريك فروم ان((الانسان المعاصر هو في غالب الاحيان خامل في اوقات فراغه، انه مستهلك ابدي: انه يتناول مشروبات، اكل، سجائر، مقروءات، زيارات، كتب، افلام، كل شيء يستهلك، يبلع، والعالم حقل كبير لشهواته، قارورة كبيرة، تفاحة كبيرة،صدر كبير، ان الانسان قد اصبح رضيعا ينتظر على الدوام، ويخيب ظنه على الدوام))[1] هذا العالم الفسيح وفقا لفروم يتحول لأكبر أزمات هذا الانسان المستهلك، وتضيع فيه كل رؤاه واحلامه ويبتعد كلياً عن مكامن الإنتاج فيغدو مجرداً من هويته الفكرية او الإنسانية، بحيث اصبح الاستهلاك ازمة حقيقية لا تقل خطورة عن الازمات الأخرى، فالإنسان يستهلك الاشياء طلبا للمتعة واصبح الاستهلاك هدفا بحد ذاته. وفقا لهذا فان المجتمع الصناعي اصبح يمثل ازمة حقيقية و ((خطراً كاسحاً مدمرا للمجتمع ايا كان ذلك المجتمع ولاسيما اذا خلا من القيم الثابتة والرصيد الثقافي والحضاري الراسخ، فلا يمكن ان يوجد مجتمع صناعي من غير وجود من يؤمن به ويعمل على وجوده لأنه استعمل جهد الانسان وسخره كسلعة بدلاً من توظيفه والاستفادة منه كنشاط اجتماعي واقتصادي يسهم بشكل او باخر في بناء المجتمع وتطوره، ومن هنا يمكن الافصاح عن ان تلك المجتمعات هي مجتمعات خالية من الحياة ولا روح فيها))[2] وكذلك تحدث فروم عن ازمة الخواء الديني التي خلفتها المجتمعات الصناعية وكنتيجة لافتقار ثقافتا المعاصرة للشعائرية، فالحياة تتحرك بين قطبي الاثارة والروتين، رغم ضرورة الروتين بوصفه يتعلق بإيقاع الحياة البشرية، المهم وغير المهم، ويضمن بقاء الافراد والمجتمعات، ولكنه ينطوي على خطر وازمة كبرى على الانسان لان في تجذر هذا الروتين

[1] ايريك فروم، الانسان المستلب وافاق تحرره،مصدر سابق، ص108.

[2] هبة الله جزار، مفهوم القيمة عند اريك فروم، رسالة ماجستير غير منشورة، بأشراف الدكتورة لميس بدوي، (جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم الفلسفة، 2019)،ص78.

يميل الى حجب وقتل الجانب الروحي فينا، وهو الاهم في الحياة، في التفكير والجمال، ففي كل ثقافة هناك نضال وصراع بين ذلك الجزء من الحياة وذلك الجزء من الثقافة التي هي الروتين وذلك الجزء الذي يلامس سطح التجربة الانسانية الاساسية، تفعل معظم الثقافات شيئا ما حيال ذلك الجزء الاخير، وتستخدمه بفاعلية مثيرة، وهو ما كان موجود في الدراما الاغريقية التي تختلف عن الدراما الحالية التي نشتري من اجلها البطاقات كمستهلكين، لكن الدراما الاغريقية كانت شعائرية طقسية دينية تعرض فيها التجارب لكل الناس بشكل مثير قادر على تفتيت الروتين، وكان الفرد حينها متفرجا وليس مستهلكا، بل مشاركا في الطقس التطهيري وهو ما يمكن ان يفتت تلك الطبقة من الروتين [1]

وعلى مستوى الازمات التي تتعلق بالحروب وصناعها ومالاتها، فقد انتقد فروم الحربين العالميتين وكذلك قدم نقده اللاذع لغزو امريكا لفيتنام، وحذر من خطر حروب نووية في زمن الحرب الباردة، وربما يعد البعض هذه امور بديهية، ولكن موقفه المميز من الصهيونية وانتقاده لممارساتها تجاه الفلسطينيين بدت موقفا غريبا عند البعض كونه يهودي الاصل، فهو كان يرفض كل هيمنة للإنسان على الانسان[2] ولا يؤمن بالحلول العسكرية التي كان يراها ضمن مسارات العنف التي لا تليق بالإنسان، فتصبح الحروب وفقاً لمفهوم فروم أزمات كبرى يدور الانسان في فلكها ضائعاً تائهاً غير مستقر ولا يمارس السلام او الطمأنينة في ظلها، فتحيله الى انسان مقهور يهيمن عليه الاخر ويطيح بكل تطلعاته، وهو ما جعله يتصدى دائماً بالنقد لمثل هذه الهيمنات الامبريالية على حياة الشعوب.

---

[1] ايريش فروم،مساهمة في علوم الانسان: الصحة النفسية للمجتمع المعاصر،ترجمة: محمد حبيب، ط1،(دمشق: دار الحوار للنشر والتوزيع،2013)،ص45-46.

[2] ينظر:ايريك فروم، الانسان المستلب وافاق تحرره، مصدر سابق،ص15.

تيودر ادورنو

اما الفيلسوف الألماني (**تيودر ادورنو**) (1903-1969) فقد تحدث عن انصهار الازمات المتنوعة ولاسيما الاقتصادية منها والسياسية وحتى الاجتماعية واظهارها عبر ما ينتج من مسارات الثقافة، فممكن من خلال تفكيك تلك النصوص المنتجة الفكرية والثقافية والابداعية استلهام ابرز الازمات التي يعاني منها المجتمع او الافراد على حد سواء ((فالثقافة لم تكن كما كانت في السابق، اي مستقلة عن النظام والسلطة، بل انصهرت وتماهت كلية فيه لأنها اصبحت وكما يقول تيودور ادورنو ترضع البنية الاقتصادية فغدت بذلك ثقافة جماهيرية))[1] لذلك ان الثقافة التي تصل للمتلقي بصورة تفاعلية كبيرة هي ثقافة تماس مع المجتمع والانسان وتحمل في طياتها أزماته الحقيقية لذلك تقدم معكوسة لإرهاصات الانسان ومشكلاته فيتفاعل معها وتغدو جماهيريا وفقا لهذه العلاقة المعكوسة بين المجتمع والمنتج الثقافي، وكان ادورنو مؤمنا جداً بالحل الثقافي لإدارة مفاصل الازمات المتنوعة للإنسان فهو يرى ان تحرر الانسان من الهيمنة بكل اشكالها لا يتم من خلال الاحتجاجات العامة او مطالبات التحرر او العمل الثوري وانما من خلال الفن الأصيل الذي يحمل بين طياته إمكانية هدم واقالة ما هو قائم ويرى ان المعرفة الحقة والمعرفة الأعظم هي الفن وليس العلم، ذلك لان العلم معرفة ناقصة ولا تعكس الا الحقائق القائمة والسائدة[2] أي انه يقدم الفن احد الحلول اللازمة للقضاء على أزمات الانسان ويؤمن بالحل الفكري الناعم بدلاً من الأساليب المادية المباشرة التي تبرز عبر الحلول السياسية والاجتماعية بهيئة احتجاجات ومظاهرات كما كان قائماً آنذاك بخاصة في ظل توسع أزمات الانسان في بنية المجتمع الأوربي.

---

[1] كحال ابو بكر،ازمة الثقافة في عصر الحداثة: لما تغدو الثقافة سلعة،مجلة التدوين،(الجزائر)،جامعة محمد بن أحمد وهران2-العدد10، لعام 2018،ص116.

[2] ينظر:حسن محمد حسن، النظرية النقدية عند هربرت ماركوز،ط1،(بيروت:دار التنوير للطباعة والنشر، 1993)،ص120.

الفن عند ادورنو بوصفه من رجال مدرسة فرانكفورت الالمانية يعالج أزمات الانسان ويحرره من جميع اشكال العبودية والتسلط،عبودية الحاجة وتسلطها ليكشف حقيقة المواجهة الشمولية المعاصرة بين هيمنة الكلي ايدولوجيا، سلطة دولة، شمولية، المتسلط على كل شيء، والفن الباحث عن فرصة للتعبير الحر وتحرير الانسان من هذه العبودية[1] أي ان الازمة الحقيقية التي يواجهه الافراد هي العبودية تحت السلطات المركزية سواء الفكرية او سلطات الدولة، ولا يمكن ان يتحرر الانسان ويتمتع بهذه الحرية الا عبر الخلاص من هذه الازمات المتنوعة التي تقيد حريته وتجعله اسير الفكر الشمولي.

عمانوئيل مونييه

اما الفيلسوف الفرنسي (**عمانوئيل مونييه**)(1905-1950) حاول من خلال مفهوم الشخصانية لفهم ازمة الانسان في القرن العشرين ومحاولة تجاوزها، ان ايمانويل موني بفلسفته عن الشخصانية وازمة الحضارة فقد امن بمفهوم الشخص بوصفه قطب الرحى في عملية تحويل للأفكار المحور التي تتصف بالتقليدية الى عناصر حضارة وثقافة جديدة وقد انبثقت اعمال موني ابان فترة حرجة من تاريخ ((المجتمعات الغربية سمتها البارزة الازمة التي مست كل المجالات فارتباطا بالأزمة ومواجهة لها شهد مفهوم الشخصانية ميلاده وتبعا لذلك فأنها اتخذت شكل فلسفة ملتزمة بخدمة فكرة الحضارة...يبدو جليا من منظور تاريخ الافكار ان ميلاد الشخصانية اقترن بالأزمة الاقتصادية لسنة 1929 وما تلاها من ازمات سياسية وروحية اصابت اوربا والتي تعود في اصلها الى الضمور المتصاعد او الاختفاء المتزايد لمفهوم الشخص من الانظمة الحضارية المسيطرة على المجتمعات الغربية وبمعنى اخر فأنها ترجع الى حدوث ازمة حضارية حالت دون أنسنة الشخص وما ينبغي تأكيده هو ان الظهور البدئي للشخصانية اتخذ شكل

[1] رمضان بسطاويسي،الاسس الفلسفية لنظرية ادورنو الجمالية،مجلة اوراق فلسفية،(القاهرة)،عدد 7، الجزء 2،لسنة 2022،ص225.

وعي بالأزمة واقترب برغبة الخروج منها وعبر عن ارادة تجاوزها وتجلى صدى ذلك الوعي والرغبة والارادة في مساهمة مونيي في الخروج من الازمة وتحقيق النهضة المنشودة من خلال مساءلة حركة تاريخ المجتمعات الغربية وما ترتب عنها من اضمحلال لمفهوم الشخص وتصدع لمنظومة القيم المستمدة من النهضة والانوار والاوربيين))([1]) ان مفهوم الشخصانية جاء استجابة للازمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي جرت في اوربا خلال الثلاثينات لمواجهة الاستبداد والفاشية والاهانة التي تعرضت لها كرامة الانسان، في محاولة تعزيز قيمة الانسان التي انحطت وانتزعت من الانظمة السياسية آنذاك. فهو حاول ان يسترشد بالقيم الروحية على حساب القيم التقنية المادية، اذ ان مونيي حاول ان يشخص الازمة من خلال محاولة التخلي عن الجوانب الروحية التي ممكن ان تعيد للإنسان توازنه من جديد، بوصف الثقافة التقنية تنسف ثقافة تقديس القيم الداخلية التي حاول ان يوازن بينها وبين القيم المادية، فالقيم التقنية وحدها جعلت الانسان يعاني ويعيش أزمات من نوع جديد ولاسيما حالات الاغتراب التي خلفتها التقنية لدى الفرد الغربي مما اثر على قيمة وطبيعة العصر، تلك النفعية الميكانيكية كان يصفها مونيي هي الازمة الكبرى للقرن العشرين من خلال ضعف النموذج الثقافي والقيم الروحية الداخلية، ووقوع العالم في اغراءات الرفاهية المادية.وكان مونيي يعول على الانسان ذاته بتطويق هذه الازمة ومختلف تجلياتها والخلاص منها، ويذهب معللا ذلك بالأزمة البيئية الراهنة التي يعيشها كوكب الارض وما خلف من خراب انما هو لا يعود الى الطبيعة ذاتها، فمن جعلها فاسدة ومسمومة وقاتلة وخرب اشكالها المتنوعة هو واقع تحت طائلة الكائن الانساني الذي يمكن ان يتجاوز هذه الازمة عبر التوعية، موني يرى في ((المجابهة والابداع والتقديم وهذه هي الطريق الوحيدة التي كانت منذ بدأ الحياة

[1] ابراهيم مجيديلة، بول ريكور قارئاً لشخصانية ايمانويل موني، مجلة (تبيُّن)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا، (الدوحة)،المجلد 6،العدد 23، شتاء 2018، ص90.

تضع حدا للازمات))([1]) اي الانسان ممكن ان يواجه بنفسه ازماته او حتى الازمات الخارجية، وهي موقف متفائلا كثيرا، رغم المخاوف والازمات الكبيرة التي يغط فيها العالم الغربي، أي ان التركيز على الشخصانية انما يمنحا الانسان حالة من حالات الوعي التي يمكن من خلالها حلحلت ما يواجه من أزمات، سواء تخصه كشخص او حتى أزمات تتعلق بظروفه الخارجية ومدى تعلقها بشخصيته من خلال طاقة البعد الميتافيزيقي واثرها العابر للماديات، مما يمنحه حالة من المرونة بحل هذه الازمات وذلك بوصفه القيمة العليا التي يرتكز عليها المجتمع في ظل التطورات وأساليب النهضة العلمية والحضارية وانعكاسها على الشخصيات، لذلك تبرز ((الشخصانية بحثا فلسفيا اساسه في الازمة التي اصابت المجتمعات الغربية او انها مجموعة من الابحاث النقدية للنماذج الحضارية المأزومة ورهانها المركزي هو بناء وعي سياسي لمواجهة ازمة حضارية في افق بعث النهضة او استعادتها وتجديد الانظمة الثقافية والعلمية والاجتماعية والفنية والروحية التي تسهم في جعل الانسان الحديث فاعلا وصانعا ومبدعا للواقع الذي يسمو بقيمته ويحقق فيه كرامته))([2]) أي محاولة تغيير او مجابهة كل تلك الانساق التي افقدت الانسان كرامته واعادتها وفقا لما يرفع من مستوى كرامة وإنسانية الفرد بوصفه المركزية الرئيسة لكل التحولات المجتمعية على المستويات كافة، فكانت الشخصانية أداة نقض ومجابهة لكل الأنظمة التي تحط من قدر الفرد، وكانت الشخصية تنتقد كل الأنظمة والأفكار التي تقف حائلاً دون تصدير شخصية الكائن الإنساني، فمثلا قد اسهمت ((البرجوازية في هذا التراجع لأنها من منظور موني ركزت على الفرد "العضوية الحية" واغفلت الشخص "الكائن البشري الواعي" واهتمت بالبعد المادي في الانسان بوصفه مستهلكا او كائنا تحركه غرائز التملك ولكنها اهملت بعده الروحي وضدا على هذا المنحى

[1] امانويل موني، الشخصانية، ترجمة: محمود جمول، ط2،(بيروت: المنشورات العربية، 1981)،ص123.

[2] ابراهيم مجيديلة، بول ريكور قارئاً لشخصانية ايمانويل موني،مصدر سابق، ص92.

فان الشخصانية عملت على اعادة الاعتبار الى ما هو روحي في الشخص))([1]) فكان موني في اغلب تنظيراته يركز على الجوانب الروحية بوصفها الطاقة الخلاقة التي اغفلتها الأنظمة المادية، وهي بهذا اعادت رد الاعتبار للذات الإنسانية التي اختزلتها الأنظمة المادية بحالة من التشيء والاغتراب على مدى سنوات طويلة وحاولت ان تركز جهدها للحفاظ على الأشخاص وحمايتهم من أي انتهاكات، وذلك بمعنى ان الشخصية هي المفهوم الرئيس الذي يمنح الواقع قيمته.اي ان الشخصانية باتت تقر بانها القيمة الاسمى للوجود، بحيث تصبح مهمة الفرد الاجتماعية تخليص نفسه وتغييرها، بعد ان طغى الجانب المادي على حياة المجتمعات والافراد بصورة اخص والتي بسببها (أي المادية) عانى الانسان أزمات لا نظير لها على امتداد الحقب الماضية.

جان بول شارل ايمارد سارتر

ويعد الفيلسوف الفرنسي (**جان بول شارل ايمارد سارتر**) (1905-1980) أهم الفلاسفة الذين شخصوا ازمات الانسان في اوربا خاصة بعد الحربين العالميتين، بوصفه فاعلاً في صفوف المقاومة الفرنسية ضد المانيا النازية آنذاك ابان الاحتلال الالماني لفرنسا وتميزت فلسفته الوجودية بانها نالت شعبية واسعة وقتذاك، فحاول ان يعكس فلسفته من خلال ادبه، متحدثاً عن ازمات الطاعون او السلطات المستبدة، او ازمة وجود الانسان ذاته في عالم يسحق هذا الوجود ويفقد الفرد هويته الانسانية، وكان سارتر يكمل مشوار مقاومته عبر الكتابة، وقد عاش سارتر في مرحلة عصيبة جداً سواء على اوربا او حتى فرنسا، فهو قد مر بحقبة الحرب مشاركاً ومساهماً فعلياً في المقاومة على المستوى العسكري او حتى على المستوى الفكري من خلال عمله بصحافة الحرب والتدوين اليومي لمأساة الحروب، وعلى وفق ما عاناه سارتر من مشاهداته فقد تغيرت بعض وجهات نظره الفلسفية والفكرية لتستقر مؤخراً على فلسفته الوجودية والتركيز

[1] المصدر نفسه،ص91.

على أزمات الانسان بوصفه ذاتا اجتماعية يمارس ضدها كل أوجه القهر والاستبداد والضياع، فحينما يمر ((مجتمع بأزمة طاحنة تزعزع اسسه وتدفعه الى مراجعة مواقفه من الجذور، واغلب الظن ان شيئا من ذلك قد حصل في فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة، واثنائها وبعدها، وكانت وجودية سارتر هي المظهر الفكري لعملية الانطواء على النفس وتأملها من الداخل في فترة المحنة هذه، ومما يدل على ان الازمة التي عانى منها المجتمع الاوربي والفرنسي بوجه خاص في تلك الفترة الحاسمة من تاريخه كانت وراء اتجاه سارتر الى تركيز فلسفته على الانسان وان محاسبة النفس في وقت المحنة كانت عاملا حاسما في تحديد معالم هذا الاتجاه))[1] ففي ظل الحروب والأزمات التي تخلفها يحتاج الانسان الى ملاذ امن على المستوى الفكري لكي يلتجأ له، فكانت الفلسفة الوجودية هي من وفرت هذا الملاذ الامن لكي يؤمن به الشباب الفرنسي، للخلاص من أزمات العالم الموضوعي التي خلفتها الحروب والصراعات المادية البحتة بين البلدان الاوربية والتي لم تكترث لتطلعات الذات الإنسانية او وجودها حتى، ان هذا الاتجاه الفلسفي لسارتر غاير من تطلع الانسان اذ ان المجتمع الاوربي نفسه قد عرف في اوقات ((التفاؤل والاحساس بالقدرة على اخضاع كل شيء للمنهج العلمي الدقيق فلسفات هامة ترتكز على مفاهيم مستمدة من العلوم الطبيعية او الرياضية وتدرس ذات الانسان من خلال هذه المفاهيم ولكن سارتر لم يكن يؤمن اصلا بهذا الاتجاه وكان من اولئك الذين ظلوا يعتقدون الى النهاية بان الانسان مختلف في جوهره عن العالم ومن ثم فان طريقة فهمه والنفاذ الى كيانه الباطني ينبغي ان تختلف عن تلك الطرق التي تصطنعها العلوم من اجل فهم الطبيعة))[2] أي ان سارتر حاول ان يمنح الانسان هوية ذات مداخل تختلف بعض الشيء عن وضع هذا الانسان تحت ماكينة التجريب للعلوم الطبيعية، بوصفه يمتلك ذاتاً متغيرة، ويحتاج الى طرق خاصة لمعرفة هذه الذات التي تمثل وجوده في هذا

[1] فؤاد زكريا، خطاب الى العقل العربي، (بريطانيا: مؤسسة هنداوي، 2018)، ص159-160.

[2] المصدر نفسه، ص160.

العالم، مما جعل العديد يعتنقون هذه الفلسفة التي حاولت ان تضمهم بعيداً عن أزمات العالم الموضوعي وماديته الساحقة، كما ان هذه الفلسفات لم تتوقف حتى خلال القرن العشرين وفي ظل الحروب التي سيطرت على المجتمعات كافة وجعلت الافراد يعيشون القلق المتواصل والأزمات المستمرة واحالت اوربا الى قارة عدمية، فكانت للفلسفة الوجودية آرائها بهذا الصدد اذ ان ((الوجودية بوصفها فلسفة للحياة قد اكدت على وظيفة الانسان ودوره في حركة الوجود، وكان التأزم العميق الذي عاشه الانسان المعاصر بكل مدركاته اثره في ظهور الأفكار الرئيسة التي دارت حولها الفلسفة الوجودية))[1] ان القيمة العليا لجوهر الانسان التي منحتها الوجودية في عالم الوجود انما ضاعف من ادراك الانسان لأهميته في هذا العالم، وانه لم يكن بعد الوجودية مجرد رقماً سلبياً في بنية المجتمع او مجرد جندي في اتون حرب لا ينتظر منها سوى الموت، هذه الرؤية الفلسفية الجديدة التي طرحها سارتر ومن معه جعلت العديد من الشباب الفرنسي يعد الوجودية ملجئهم من الخراب الذي أصاب العالم من اجل إعادة ترميم ذواتهم التي دمرتها الحرب، فقد دعت هذه الوجودية الى الفردية ومجابهة هذا العالم الموضوعي بانتقادية واضحة لترك الانسان وحيداً ضمن منطوق الحياة وقساوتها فتركزت فلسفتهم على أزمات الانسان جراء الحروب التي اهلكته وجعلته مصاب بأزمات متنوعة تبتدأ بأزماته الخاصة كالقلق والخوف ومجهولية المصير والعزلة، فضلاً عن ازماته بوصفه جزءاً من الجماعة كالأزمات المالية وفقدان الأمان والحروب المستدامة آنذاك، وهذا ما تمخض عن الايمان المطلق في الفلسفة الوجودية التي عبرت بشكل واضح وصريح عن ((الازمة العامة لمبادئ وقيم مرحلة ما بين الحربين العالميتين " التخوف من الانهيار الاقتصادي" وانطلاق الحركة الثورية بشكل كبير...لقد نشأت الوجودية في فرنسا بدون شك بسبب تلك التغيرات الاجتماعية التي وقعت في ذلك الوقت، فحدة الصراع الطبقي، وانخفاض مستوى الحياة وخطر الحرب الجديدة ضاعف من الخوف والقلق

[1] يحيى البشتاوي، ازمة الانسان في الادب المعاصر،(عمان: دار الكندي للنشر والتوزيع، 2006)،ص34.

لدى الجيل آنذاك،وكل هذا ادى الى العزوف عن تحليل الواقع الموضوعي وتحول اهتمام الانسان الى شخصيته، الذي ولد في نهاية الامر شعورا مأساوياً وفلسفة مطابقة تتسم بالحزن والتشاؤم))[1] ولذلك ساهمت الطبقة المثقفة الوجودية في فرنسا في النضال الثوري ومساندة الحركات الثورية ومحاولة تصدير وجود الانسان كقيمة فلسفية وفكرية في المجتمع، ومحاولة تشكيل ردات فعل مناهضة للمجتمع الرأسمالي ولحياة البرجوازية والأنظمة الشمولية التي ساهمت بصورة واضحة وجلية في هدم قيمة وجود الانسان في تلك الحقبة، ومحاولة إعادة ماهية الانسان له بوصفه كائنا تاريخيا وواقعيا له وجوده وحقوقه.

ان من اهم المشاكل التي أتت عليها الفلسفة السارترية بعد خلاصات الحروب ونتائجها، هي ما جناه الافراد من قلق كبير إزاء صور الحياة وتمظهراتها، قلق يرتبط بوجود هذا الفرد وطريقة حياته اليومية، فخلال القرن العشرين اصبحت ((مشكلة حياة الانسان ومصيره مجالا لتأمل الفلاسفة ومحاولات البحث عن حلول، لذلك تعرض الفلاسفة لمناقشة القلق المرتبط بهذه المسؤولية والذي ظهر في نفسية الاوربي المعاصر نتيجة الحرب والدمار، وهكذا نجد ان تلك الظروف ادت الى تحويل الفكر الاوربي عامة الى بحث مشكلات الانسان وخاصة الحرية والمسؤوليات في صورة جديدة تتناسق مع هذه الظروف وقد وجدوا في جان بول سارتر حلا لمشاكلهم بحيث عالج مشاكل الانسان ومشكلة الوجود عنده من حيث عدمه وحريته وقلقه))[2] ذلك ان القلق احد اهم المشكلات المنحدرة من الازمة النفسية التي خلفتها اثار الحروب على المواطن الأوربي آنذاك، وبخاصة الفرنسي،ولم يكن ثمة ملجأ سوى الى الفكر لتطبيب هذه الازمة النفسية التي

---

[1] ت.أ.ساخاروفا،من فلسفة الوجود الى البنيوية:دراسة نقدية للاتجاهات الرئيسية،ترجمة:احمد برقاوي،ط1،(بيروت:دار المسيرة،1984)، ص13-14.

[2] نزيهة حويلي، انطولوجيا الحرية في الفكر الغربي المعاصر: جون بول سارتر انموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، بأشراف الدكتور برواق مليكة،(الجزائر: جامعة محمد خيضر، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم العلوم الاجتماعية، 2022)،ص81.

تركت على حياة الفرد وباتت عامل معطل بصورة كبيرة في بنية المجتمع الغربي، إذ إن معاصرة الوجوديين لأحداث الحربين العالميتين الأولى والثانية وتبعات الحرب التي قسمت أوربا والأزمة الاقتصادية العالمية في ثلاثينات القرن العشرين رسخت شعورهم بالقلق والخوف على الإنسان ومصيره وفي الحرب العالمية الثانية كثر الموت وأصبح الفرد يعيش بالعبثية ويشعر بعدم وجود معنى للحياة فكانت هذه المعطيات الاجتماعية والسياسية هي التي ساهمت بظهور الوجودية ما قبل الحرب العالمية الثانية واثنائها فقد عبرت الوجودية بشكل صريح عن الازمة العامة لمبادئ وقيم ما بين الحربين العالميتين ومنها التخوف من الانهيار الاقتصادي وانطلاق الحركة الثورية بشكل كبير[1] فالأزمة النفسية عبر انتشار القلق لم تكن هي الوحيدة المتصدرة في بنية المجتمع الغربي وقتذاك بل القلق الناجم من شحة الموارد والانهيار الاقتصادي الكبير الذي تحول لشبح يخشاه كل مواطن غربي ويشكل العائق الأكبر للتنمية الحياتية على جميع مستوياتها، ان الفلسفة الوجودية تحدثت عن ازمات الانسان ازاء العالم اجمع فالإنسان لديهم يعاني اثناء ((تحقيق وجوده الذاتي من حتمية الاصطدام مع الذوات الاخرى ومع العالم المليء بالمأسي والعبث واللامعقول، الامر الذي يخلق عنده حالة من التمزق والقلق والضياع، تفضي به الى العيش في دومة من التناقضات والاضطرابات انعكست هذه الحالة بصدق وعمق مكثف في اعمال الوجوديين الادبية))[2] ان الفلاسفة عكسوا أزمات الانسان وبخاصة حالات القهر والقلق التي لاقاها إزاء ما يجري في العالم من حروب في نتاجاتهم الأدبية بوصفها الأكثر سلاسة من الوصول الى الافراد على عكس النسق الفلسفي للأفكار والذي يعد خطاباً عاليا ممكن تداوله بين الأوساط الثقافية آنذاك، ولا يمكن تمرير تطبيقات هذه الفلسفة الا عبر ما ينتج من ادب يكون قريب على حياة الافراد في المجتمع ممكن ان

[1] ينظر: ت.ا.ساخاروفا، مصدر سابق، ص13.

[2] اسماء بن عاشور، النقد الوجودي عند سارتر، مجلة الآداب، (الجزائر)، جامعة الاخوة منتوري قسطنطينية، كلية الآداب واللغات، المجلد 14، عدد 1، لسنة 2014، ص232.

تشخص أسباب صناعة تلك الازمة واليات التعامل معها ومجابهة الاخر الذي يريد ان يسلب الافراد خصوصية وجودهم في هذا العالم، اذن في فكر سارتر كانت ((عوامل الانحلال تسري في المجتمع الفرنسي منذ انتهت الحرب العالمية الاولى، ومع هذه العوامل التي تمثلت في الحالة السياسية والاقتصادية وظهرت في الحالة الاجتماعية والنفسية، كانت الحياة الفكرية تشيع النزعات الفردية وتدعو الى التحلل من القيم والتقاليد، فاذا كان الادب في اي امة انما هو مرآة تنعكس عليها سمات الحياة في هذه الامة، فهو كذلك وفي نفس الوقت عامل فعال في خلق هذه السمات، هكذا جاء الادب الفرنسي في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى وامتدت الى الحرب العالمية الثانية صورة صادقة للحياة الفرنسية وعاملا في الوقت ذاته على انحلال هذه الحياة))[1] ان المجتمع الأوربي بات متحللاًمن قيمه التي عرفت عنه، هذا التحلل أصاب جذوره الرئيسة، سواء الاجتماعية التي تتعلق بصلة رب الاسرة مع افراد اسرته وحالة الفقدان جراء الحروب وما سببته من عوائل دون معيل، او من خلال التحلل الاقتصادي وانهيار اقتصادات تلك البلدان المتحاربة وما تشكله هذه الازمة على حياة الناس اليومية من توفير اعمال او لقمة العيش الطبيعية، ناهيك عن الازمة السياسية والتوترات التي اصابت جسد المنطقة بأكملها، مما انعكس سلباً على تحلل كل الظروف المواتية في هذا المجتمع وتحويله الى ازمة كبرى تخيم على حياته اليومية.

سارتر كان يركز على الطبقة البروليتارية وتأثيراتها بالأزمات، ففي حالة ((اشتعال الحرب تقدم الطبقة الفلاحية المادة البشرية، وتستفيد بالمقابل من ارتفاع اسعار المنتجات الغذائية، وباختصار، تبتاع منها ليترات من الدم، اما وضع البروليتارية فعلى العكس تماما، فخسائرنا من الحيوات الانسانية اقل، ولكن اقتصاديا تتأثر، ليس في البداية بل فيما بعد، عندما يسبب التضخم المفرط للصناعة الثقيلة ومصاعب الانطلاق من جديد من مستوى بدائي الازمات والبطالة، ففي عام 1938 كان مجموع

[1] حبيب الشاروني، بين برجسون وسارتر : ازمة الحرية، (القاهرة:دار المعارف، 1963)،ص50.

الاجور يساوي ضعف مجموع الضرائب، وفي عام 1950 اصبح مجموع الضرائب معادلا لمجموع الاجور، وللعامل ملء الحق ان يصرح بان المعارك العسكرية تمسه في مصالحه المادية"[1] سارتر كان يشخص كثيراً اثر الحروب على عامة الناس ولاسيما الطبقات العمالية، وذلك ان الوضع العام الذي تخلفه الحرب يضرب اولاً البنية الاقتصادية للبلدان الداخلة في الحرب او المجاورة، مما يفاقم هذه الاقتصادية انعكاسها على دخل الفرد وكيفية التعاطي مع الموارد المتاحة خلال مدة الحرب، فضلاً عن انهيار الأسواق جراء تخلخل الوضع الاقتصادي وارتفاع الأسعار وإجراءات الدولة الخانقة في اغلب الظروف والاحيان بخاصة في حقب الحرب، مما يولد أزمات خطيرة تمس وجود الانسان اليومي والمخاطر التي قد تهدد هذا الوجود جراء تبعات الحرب ومخلفاتها. وعلى وفق رؤى سارتر بأهمية تحويل المعنى الفلسفي الى ادب فقد خرجت من معطف الفلسفة السارترية العديد من المفاهيم والتطبيقات الأدبية لتكتب نتاجاتها مستنداً الى مرجعية فكرية قوامها الفلسفة الوجودية، فقد "عبرت القرن العشرين ازمة متعددة الاشكال: انها مشكلة تمثل الانساني اذ بدا التصور التقليدي النابع من عصر النهضة والانوار لاغياً حيث تغلبت الحروب على الآمال المبنية على المذهب الانساني، وليس مصادفة ان تمارس حركة دادا ثم السرياليون اللامعنى، والسخرية الكاملة، وتحطيم اللغة والمؤلفات وقد رأى كثيرون ان كل ما يعطي العالم معنى يتهاوى بمقدار ما تفرض اللا انسانية حضورها"[2] هذا التفاعل الناقد والرافض الماس بالكيان الانساني جاء عبر تجارب عديدة انبثقت من المناداة الوجودية بأهمية الذات الإنسانية وسط هذا الدمار والخراب، لذلك كان يرى سارتر على الادباء والكتاب الاسهام الفعلي والمشاركة الجادة برفض القهر الاجتماعي فقد عد سارتر "فلوبير والاخوان جونكور مسؤولين عن حركة

[1] جون بول سارتر، قضايا الماركسية، ترجمة: جورج طرابيشي، (بيروت:دار الاداب،1965)،ص100.

[2] روجيه بول دورا،اساطين الفكر: عشرون فيلسوفا صنعوا القرن العشرين،ترجمة:د.علي نجيب ابراهيم، (بيروت: دار الكتاب العربي،2012)،ص214.

القمع التي تبعت حركة الكومون لانهم لم يكتبوا سطراً للحيلولة دونها))[1] فالكتابة لديه التزام بمعنى المناداة بحقوق الافراد، وأصبحت لديه الكتابة حركة فكرية يمرر من خلالها ما يريد من أفكار ورؤى تتسق مع فلسفته الوجودية، بحيث تكون الكتابة من اجل ابراز المفاهيم الفكرية الموضوعية التي ممكن ان تخفف من أزمات المجتمع،لذا ظهر مصطلح الادب الملتزم الذي يعد بمثل ((ظاهرة مموضع تاريخيا وترتبط عادة بوجه جان بول سارتر وبظهور عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة ادب شغوف بالقضايا السياسية والاجتماعية وراغب في المساهمة في تشييد عالم جديد اعلنت عنه الثورة الروسية منذ 1917 والمعنى الثاني يقترح قراءة اوسع فضفاضة للالتزام تستقبل تحت لوائها مجموعة من الكتاب تمتد من فولتير وهيجو الى زولا وبيغي ومالرو وكامي وهم الذين اهتموا بالحياة وبتنظيم المدينة ونصبوا انفسهم للدفاع عن القيم الكونية مثل العدالة والحرية وخاطروا نتيجة ذلك بمعارضة السلطة القائمة عن طريق الكتابة))[2] وكل هذه المظاهر اجترحت من المعاني الجوهرية التي طرحها سارتر في فلسفته ونظر لها من اجل اعلاء قيمة الانسان ومحاربة أزمات العالم الموضوعي المتعددة والتي باتت هي الخطر الأكبر على وجود الانسان.

لوسيان غولدمان

الفيلسوف الفرنسي (**لوسيان غولدمان**)(1913-1970) كان اشتراكياً انسانياً في تطلعاته وطروحاته، وكان مشخصاً لازمة الماركسية في ذلك الوقت، رغم ماركسيته، وقد عانى الازمات المختلفة ابان الحرب العالمية الثانية ومنها المطاردة والاحتجاز في مخيم اللاجئين، ومعاناته استمرت حتى مع النازية بوصفه من الجماعات اليهودية آنذاك، لوسيان غولدمان في ((منهجه من المادية التاريخية يجعل للوضع الاقتصادي اهمية كبيرة

[1] ألبيريس.ر.م، سارتر والوجودية، ترجمة: سهيل ادريس،ط2،(بيروت: دار الآداب، 1960)،ص152.

[2] بونوا دوني، الادب والالتزام: من باسكال الى سارتر، ترجمة:محمد برادة،ط1، (القاهرة:المجلس الاعلى للثقافة،2005)،ص19-20.

في الحياة الاجتماعية ويرى ان هذا الوضع وما يرتبط به هو الذي يكون الطبقات ويحدد العلاقات بعضها بالبعض الاخر بحيث تكون هذه العلاقات ما يسميه الواقع الاجتماعي))[1] أي ان الازمات الاقتصادية ممكن ان تحول من شكل بنية المجتمع بما فيه من تمظهرات إنتاجية (الاسرة، العلاقة مع الاخر، المؤسسات، الثقافة) فأي اختلال بالجانب الاقتصادي ممكن ان يربك تلك الخطوط الاجتماعية المتصلة بالإنسان وانتاجه للفكر، وهو ما يجعل حتمية تعاطي المفكرين والادباء مع تلك الازمات الضاربة لبنية الاقتصادات بوصفها عامل مؤثر كبير على الحياة اليومية وكل ما يرتبط بها، وهو ما يسهم بتكوين هذه العلاقات الطبقية القائمة على فرضيات الواقع الجديد المتأثر بالاختلال الاقتصادي والتغير المستمر لهذا العامل على حساب مسارات المجتمع المختلفة بما فيها المفصل الثقافي وعلاقته بالإنسان. ان هذه العوامل التي تتصل بالهيمنة المادية الاقتصادية (البنى التحتية) تخيم كمهيمنة فاعلة على الحياة الانسانية، وتؤثر حتى على تصورات الفكر الانسانية مما يولد تفاعلا حقيقيا بين البنيتين (التحتية، الفوقية) فتتصل الازمة التحتية (للعوامل الاقتصادية المادية البحتة) بما ينتج على مستوى البنى الفوقية (الثقافة والفكر بتمظهراتها كافة) وتحدث غولدمان عن مفهوم الطبقة انطلاقا من وظيفتها في الانتاج وعلاقاتها مع الطبقات الاخرى ومن الوعي برؤيتها للعالم، فقد برزت في فرنسان تحت حكم لويس الرابع عشر خمس طبقات على المستوى الفلسفي والادبي ومنهم كبار الاقطاعيين نبالة البلاط التي عبر عنه عبر المستوى الادبي لمسرحيات موليير، وهناك نبالة الرداء وهي طبقة تطورت في فرنسا عبر الرؤية التراجيديا في

[1] هومن ناظميان، الدستوبيا في الرواية العربية المعاصرة: قراءة في رواية يوتوبيا لاحمد خالد توفيق، المؤتمر الدولي الثامن للغة العربية، 11-13،،2019، ص 162.وينظر كذلك: جابر عصفور، قراءة في لوسيان غولدمان عن البنيوية التوليدية، مجلة فصول، المجلد الأول، يناير العدد2،(1981م)،ص84.

مسرحيات راسين وافكار باسكال وهناك طبقة الصاعدة وهي تتمثل في فلسفة ديكارت ومسرح كورني واخيرا صغار الشعب[1]

في دراسة غولدمان لمسرحية (السواتر، لجان جينيه) التي تتحدث عن الاحتلال الفرنسي للجزائر بين غولدمان كيف ان ((البروليتارية لم تعد تستطيع كطبقة قيادية الثورة، ولذلك فقد تخلت عنها لصالح بعض المجموعات الاجتماعية الهامشية التي تصارع ضد الهيمنة التكنوقراطية للمجتمع الرأسمالي، وهذه المجموعات الاجتماعية في تتشكل من الطلبة وبعض مثقفي اليسار المتطرف والمجرمين فهؤلاء هم الذين بلوروا في مسرح جونيه قيما جديدة على المستوى الاستطيقي))([2]) أي انه يربط الوقائع والازمات الخارجية بمجموعة من التعالقات مع الكتاب والمنتجين للغة الخطاب الثقافي.

روجيه جارودي

اما الفيلسوف الفرنسي (**روجيه جارودي**) (1913-2012) فقد عانى هو الاخر الازمات على المستوى الشخصي من خلال تعرضه للأسر خلال الحرب العالمية الثانية، وكانت له بعد ذلك مواقفا واضحة ازاء ازمة الحروب والمجازر التي ارتكبتها الصهيونية في المنطقة العربية وكان دوما ينادي بمفاهيم العدالة الاجتماعية، والعداء للإمبريالية والرأسمالية، وفي بداياته وفي ظل ازمات الجوع والكساد الاقتصادي الذي ضرب العالم تأثر بالفكر الماركسي وحاول ان ينفذ افكاره ورؤاه عبر الحزب الشيوعي الفرنسي،ومناهضا بذلك للنازية بعد احتلال المانيا لفرنسا وتفاقم الازمات في بلده، ان غارودي وجه نقده الى الفكر الحضاري والثقافي الغربي وعده من تشكلات الازمة هناك واستدامتها عبر تمسكه بظل انظمته التسلطية الامبريالية، فمن المقولات الأساسية التي تأسّس عليها المشروع الحداثي الغربي، وفق تصوّر روجيه غارودي للأفكار الناظمة للفكر الحداثي هناك، مقولة توماس

[1] ينظر:لوسيان غولدمان،العلوم الانسانية والفلسفية،ترجمة:د.يوسف الانطكي،(القاهرة:المجلس الاعلى للثقافة،1996)،ص7.

[2] المصدر نفسه، ص25.

هوبز التي تعد أن الإنسان ذئب للإنسان، ومن ثَمَّ فالعلاقات بين البشر هي علاقات تنافس على الأسواق، ومواجهات الغابة بين الأفراد والجماعات، وعلاقات السيد والعبد [1] ان التطورات التي خلقتها النهضة الغربية انما تحولت فيما بعد الى أزمات اذ ان هذه الأفكار قد قادت الحضارة الغربية نحو الاضمحلال وبروز الأزمات يمكن رصدها على وفق ما قرّره غارودي في الآتي: أضمحلال على المستوى الاقتصادي لما كانت الفكرة هي السيطرة وغزو العالم تعدّ أهم أفكار الحداثة الغربية، كان لا بد أن تفعّل تلك المسلّمات بأفكار أخرى تدعمها، منها فكرة ((النمو والزيادة، فهم يطلبون زيادة الإنتاج سواء كان مفيدًا أو ضارًّا أو حتى مميتًا))[2] ان تلك الزيادة في الإنتاج غالباً ما تنتج لنا أزمات اكبر، ولاسيما البيئية منها، فهيمنة الرأسمالية على مصادر الثروة النفطية واقهار الابار على زيارة الإنتاجية انما تخلق لنا ازمة بيئية ناتجة عن كمية السموم المصاحبة مع كل زيادة في هذا الإنتاج، فغارودي يرى في النهضة الاوربية ازمة اضمحلال وتحلل وذلك لأنها تعني مولد وحدانية السوق وعبادة المال وانقسام العالم من خلال النهب والاستعمار وتزايد القطبية وان النهضة هي مولد الذئاب وهو يستند الى مقولات من الادب المسرحي لشكسبير وسرفانتيس عن تحلل القيم في القرن العشرين شكسبير عبر نقده لنظام الحكم وسرفانتيس عبر اشارته الى تحكم الرأسمالية والسلطة المطلقة للمال [3] فان المادية الغربية بما تشمله من تطورات قد أخرجت الانسان من طبيعته وهويته الذاتية الى خلاصات مادية صرفة تخضع لعوامل الربحية التي تسيدها الفكر الرأسمالي في اوربا،فمن الناحية ((الابستمولوجية فان طغيان التصوير الوضعي /المادي على علوم الانسان جعل الانسان يدرس كما تدرس الاشياء الوضعية "الظواهر الطبيعية"

---

[1] ينظر: روجيه غارودي، حفارو القبور، ترجمة: عزة صبحي، ط3، (مصر: دار الشروق، 2002)،ص 94 - 95.

[2] روجيه غارودي، الإسلام هو الحل الوحيد للأزمات المتصاعدة في الغرب، (مصر: مطابع فتحي الصناعية، 1986)،ص12.

[3] روجيه غارودي،كيف صنعنا القرن العشرين،ترجمة: ليلى حافظ، ط2،(القاهرة: دار الشروق، 2001)،ص44-45.

فالإنسان طبقا للمنظور الابتسمولوجي الوضعي ليس الا جزءا من الطبيعة، وهو نوع من انواع المادة وبالتالي فلا فرق بين الظواهر الانسانية والظواهر الطبيعية والقوانين التي تسري على الطبيعة تسري بدورها الانسان وهكذا اصبحت هذه الرؤية الوضعية هي السائدة في علوم الانسان، واصبحت هذه الاخيرة تحاكي علوم المادة سواء من جهة الموضوع او من جهة المنهج او من جهة الهدف وصار العلم بشقيه الطبيعي والانساني له معنى واحد هو العلم الوضعي)) [1] وهكذا حسب فلسفة غارودي فقد فقدت علوم الانسان خصوصيتها الانسانية، وهو ما يمكن ان نصطلح عليه ((باغتراب العلم والتي تعبر عن ازمة العلم الحديث كما يصفها البعض وهي ازمة بمثل ما ساهمت في ازمة النموذج الحضاري الغربي بمثل ما تمثل مظهرا لازمة هذا النموذج الحضاري التي يلخصها غارودي في ازمة الانسان اي فقدان الانسان لإنسانيته وقد كرس غارودي مشروعه الفكري في نقد هذه الازمة التي تظهر في كل المستويات المعرفية والاقتصادية والسياسية والثقافية ومن ثم حاول تقديم مشروع حضاري بديل يستهدف استعادة انسانية الانسان وهو ما نصطلح عليه بمشروع أنسنة الحضارة))[2] أي لم تكن هناك بعد هذه الازمة ثمة علوم واقعية لدراسة الانسان، مما شكل عبء كبير في اوربا يتمثل بالانحياز الى حاجات الانسان الروحية والذاتية المتصلة بتطلعاته التي تبنى من خلالها الحضارة والنهضة، ولما كان الفكر الغربي لا يكترث الا الى المعاني المادية ومدى اتصالها بهذا الانسان فقد جانبوا ازماته الحقيقية وخلقوا أزمات أخرى تبعده عن مفهوم التطور والتنمية الجديدة، وهو ما يفقد العلوم الإنسانية خصوصيتها في قراءة تطلعات هذا الانسان وخلاصه من ازماته المحيطة، ولهذا فان غارودي يرى مثلما يفعل (هربرت ماركوز) ان هذا الواقع ((واقع مزيف غير حقيقي انه من نتاج العقل الأداتي الذي يجد تطبيقاته في المجتمع الصناعي، وبالتالي

---

[1] الشريف طوطاو، الفلسفة الوضعية وازمة علوم الانسان من منظور روجيه غارودي نحو افق فلسفي وابستمولوجي جديد، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة سطيف 2، (الجزائر)، المجلد 15، العدد 28، لسنة 2018،ص12.

[2] المصدر نفسه،ص12.

فهو محاولة لاحتواء الانسان واستلابه)) [1] أي ان مشروعات النهضة الغربية المتمظهرة عبر واقعهم المتعدد انما هي تجنح الى الأداتية النفعية الواضحة التي تحول الانسان الى مجرداً من كل معانيه الروحية والإنسانية في التعاطي مع قضايا او مجالات الحياة المتنوعة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

وعلى صعيد اخر يرى روجيه غارودي في كتابه (الإرهاب الغربي) بان بعض الثروات الاقتصادية بفعل ماكينة الإدارة الامبريالية السيئة فقد تحولت الى مصادر أزمات اذ يعتقد بان تلك الثروات تحولت الى نقم وازمات مستدامة تضر بمصالح البلدان النامية او حتى البلدان المنتجة لتلك الثروات فهو يقول ((اما البترول فكان دوره اشد اجراما وأكثر تخريبا للهيكليات على امتداد الكوكب الارضي قاطبة، فهو بداية قد رسخ الشرخ بين الغزاة والبلدان التي فاقموا تبعيتها وما ينجم عن تلك التبعية من تخلف. لقد عدل بادئ الامر العلاقات الدولية واسطع مثال على ذلك سياسة العولمة من طرف الولايات المتحدة، اي هيمنة القطب الواحد القائمة على التحكم بكل مخزونات ذلك البترول الذي اصبح محرك النمو على النمط الغربي اي نحو الارباح، ان جميع حروب الولايات المتحدة وسياستها الخارجية المولدة للحرب مستلهمة من ارادة الانقضاض على جميع المنابع الممكنة للبترول))[2] وهذا ما يحصل مع بلدان العالم الثالث التي تعاني من هيمنة الشركات متعددة الجنسيات التي تسيطر على هذه الثروات بطرق امبريالية او ما يسمى الاحتلال الاقتصادي الذي يفاقم من أزمات تلك البلدان ويعمقها وليس العكس، بل ان مثل هذا الاحتلال الاقتصادي يسعى لتدمير أي موارد اقتصادية محلية وطنية ضمن سياسات الاتباع والتجويع وفرض الهيمنة التي تتبعها هذه الشركات ومنها إيقاف المصانع والزراعة لإجبار تلك البلدان على الخضوع الاقتصادي لها، ففي ذات الكتاب يرى ان

---

[1] المصدر نفسه، ص17.

[2] روجيه غارودي،الإرهاب الغربي،ترجمة: سلمان حرفوش، ط1،(دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، 2007)،ص353.

البلدان التي تم استعمارها كانت ((الزراعات الغذائية توفر شيئا من الامن الغذائي ومن الاستقلال للسكان المحليين، لكن تلك الزراعات كنسها الاستعماريون الذين جعلوا من تلك البلدان ملحقات باقتصاد المراكز الاستعمارية))[1] لذا قدم غارودي رؤيته عن مستقبل هذا الاخضاع الاقتصادي واطلق عليه مصطلح ربوبية السوق والقائم على تسليع كل شيء في الحياة وهو ما يحول دون المشاعر الإنسانية ومفاهيم الاستقلال والحرية ويفرض مزيداً من أدوات ووسائل الهيمنة الى الرأسمالية المتوحشة التي تسعى للتحكم في كل شيء لذا حذر من ذلك في كتابه الإرهاب الغربي مبينا بانه سوف يكون ((القرن الحادي والعشرين مسرح أكثر الحروب الدينية حسماً والقضية مآلها "انتحار الكوكب الأرضي او انبعاث الإنسانية" فمع مطلع قرننا العشرين كانت الديانة السائدة في الغرب والمتجهة الى الانتشار على مستوى العالم "ربوبية السوق" كانت تتطلع الى قولبة الكون بحيث يكون كل شيء قابلاً للبيع والشراء، ولم تفتح أي منظور اخر للفرد سوى الاستهلاك وكنز المزيد من الأموال ما لم يكن ذلك الفرد عاطلا عن العمل او مستعمرا حتى حدود المجاعة))[2].

هربرت شيلر

اما المنظر الماركسي الأمريكي (**هربرت شيلر**) (1919- 2000) فيعد أحد المناصرين لفكرة سيطرة الرأسمالية العابرة للحدود لدمج كل الثقافات القومية في نظام اقتصادي رأسمالي عالمي، يرى ان القوة السياسية الاقتصادية للشركات العابرة للقوميات وانتشارها العالمي تصاحبه قوة ايدلوجية لتعريف الحقيقة الثقافية العالمية، وبهذا يتوسم الفعل الفكري مع النظام العالمي الرأسمالي ويكون له دورا وظيفيا في توسعته فان الرسمالية تعرف وتشكل الاقتصاد السياسي العالمي وتحدد الثقافة العالمية في توزيع المنتجات الفكرية الثقافية المسلعة التي تحتوي على روح وقيم رأسمالية الشركات والنزعة

[1] المصدر نفسه،ص294.

[2] المصدر نفسه، ص231-232.

الاستهلاكية ويدرك هذا كله في صورة كلية ثقافية اسلوب حياة ونهج تنموي يتبع من الدول النامية ([1]) التي لا تمتلك حصانة فكرية ووعي لازم بهذه الانظمة، وهو ما يمكن تلمسه بهيمنة الشركات متعددة الجنسيات او الحروب العسكرية التي تشنها البلدان الغربية على البلدان النامية، والعديد من مظاهر التسليع التي تقودها الأنظمة الامبريالية عبر صورتي (الاقتصاد، الثقافة) وهو ما اشاع ثقافة الاستهلاك في المجتمعات النامية، وأصبحت هذه الاستهلاكية العالية من صور الحياة اليومية وتحولت السلع الكمالية الى ضرورية بفعل السيطرة الفكرية للأنظمة الاقتصادية والتي يصاحبها هيمنة فكرية تعزز من قيم الرأسمالية باتجاه تصدير أساليب وانماط حياة جديدة لأفراد العالم الثالث والذين يغرقون بأزماتهم من حيث يشعرون او لا يشعرون جراء هذه السطوة والسيطرة الاقتصادية والثقافية.

ادغار موران

(**ادغار موران**) ([*]) (1921-) هو عالم وفيلسوف فرنسي معاصر عايش الحرب العالمية الثانية وعرف بتأييده للقضايا الانسانية ومن بينها القضية الفلسطينية، وبدء نشاطاته في اطار الحزب الشيوعي الفرنسي، موران يرى ان العديد من الأنظمة خاضعة لشكوك افرادها ومنحرفة عن الجادة مما يولد الازمات على الدوام ويخلق شيء من الاحتجاج او الارباك لتلك الانظمة، اذ ان ادغار موران يرى بانه كانت ولازالت الكثير من "قسمات وجه العالم مثقلة بالأزمات، ممتلئة بالتخلخل والهدم والبناء ومحاولة التنظيم الدائم رغم

[1] ينظر: د.جون تومليسون، العولمة والثقافة: تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان، ترجمة: د.ايهاب عبدالرحيم محمد، (الكويت: عالم المعرفة، 2008)،ص106.

[*] ادغار موران فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي ولد عام 1921 وهو مدير مركز ابحاث المركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا ولعد العديد من المؤلفات ومنها " الموت والانسان 1951" و"نجوم السينما 1857" واهم كتبه (المنهج) الذي ضم ستة اجزاء وكتاب (الارض-الوطن).ينظر: ا.م.د.علي عبود المحمداوي،الفكر المركب او مواجهة الازمات من الذات الى السياسات:دراسة فلسفية في طروحات ادغار موران،مجلة اداب الكوفة،(النجف)،مجلة 42،عدد2،كانون الثاني 2020،ص291.

توازي ذلك بالانحراف عن النظم، لذلك نجد موران يحدد مفهوم الازمة بانه اختلال التوزان وغياب اليقين والاخفاق في كبت الانحرافات وضبطها، وبذلك فهي تنامٍ للفوضى واقراراً منا بان عالمنا منخور بالأزمات فيجب في ذلك فهم مسارات هذه الازمات وما يمكن ان تخلفه))[1] ان موران يؤكد على أهمية فهم مسار الازمة لعدم الوقوع بها مجدداً، ولأنها تولد أزمات أخرى تؤثر على الصعيدين الاجتماعي والسياسي على الافراد والجماعات، مما يجعل صورة العالم مليء بهذه الازمات التي قوامها صورة الفوضى والشك والهدم والانحراف عن النظم القائمة او نظم الجادة السوية التي تحكم الانسان والمجتمعات، ان ادغار موران حدد مراحل الازمة بأنماط ثقافية تجلت على وجه وقسمات المجتمع الجديد، مثل ازمة الحياة البرجوازية والفردية وما يتجلى عنها من ازمات الشباب والتأنيث وازمات الايكولوجيا، ناهيك عن ازمات السياسة والتهديد بالحرب فكل ازمة مما سبق ترتبط بطريقة اعادة انتاج قيم المجتمع وافكاره ومواقفه وترسم معالم مستقبله الذي يبدو دوما مع هذه الفوضى غائما ولاجئا للتشتت والضياع [2] ان الازمات عملية نظمية مرتبطة بعضها ببعض، فالأزمة السياسية وما يتمظهر عنها من أزمات مرافقة (الإرهاب، الازمة الدولية، الدبلوماسية، الاحتجاجات، الفوضى، الحروب) انما ترتبط بكليتها بجزئيات أخرى تجمعها الازمة المجتمعية (الظروف المعيشية، تهديد السلم الأهلي والأمان الداخلي للأفراد وتهشيم بنية الاسرة والضياع) مما يسهم برسم معالم جديدة لقيم المجتمع قد لا تكون بصالح الافراد او الأنظمة الحاكمة بالتأكيد، ان ثمة مكونات رئيسية للازمات حسب (ادغار موران) تتمثل بفكرة الاضطراب، وازدياد الفوضى وغياب اليقين، والتعطيل (الشلل التي يرافقها اظهار المكبوتات والانحرافات) والحلول الاسطورية التي ترافق الازمة بعيدا عن البحث الموضوعي عن مصادر الازمة، ويرى موران ان هذه

[1] ا.م.د.علي عبود المحمداوي، مصدر سابق، ص271.

[2] ينظر: ادغار موران،روح الزمان،ترجمة: انطون حمصي،ج2،ط1،(دمشق:منشورات وزارة الثقافة، 1995)،ص427-428.

المكونات السابقة لا تعمل منعزلة بل وفقا لمجموعة من التفاعلات يحيل احداهما للأخر، والتي تكشف حقيقة تعمق الازمة وهيمنتها [1] ويسهم بصورة كبيرة بتفاقم هذه الازمة والصعوبات التي قد تعتري طريق حلها وتفكيكها،لأنها تراكمات تجتمع في بنية التفكير المجتمع للأفراد او الجماعات او حتى الأنظمة الحاكمة، تتفاعل برمتها لتفاقم من مستوى الازمة وعمقها، مما يجعلها الصفة العليا في حياة الافراد، وتكبر الازمة ويصعب حلها وفقاً لهذه التراتبية، التي تجتمع بالتأكيد لتكون ازمة من الصعوبة التماشي معها او تفتيت أسبابها الرئيسة لتفكيكها والخلاص منها نهائيا، ذلك يبرز في المجتمعات التي تقل عندها الحلول الواعية العقلانية وترتكز على حلول اسطورية غير مستندة لأدلة موضوعية واضحة، فتغيب الحقيقة وتستفحل الازمة وفقا لهذا السيناريو.

ويذهب إدغار موران إلى أن مفهوم الأزمة يتكون من مجموعة من المفاهيم ذات العلاقات البينية يحددها في عشرة مكونات ومنها ازدياد الفوضى وغياب اليقين أي إن كل نظام اجتماعي يحمل داخله نسبة من الفوضى متحكم فيها، والأزمة تظهر عندما تزداد الفوضى، ويتراجع الاستقرار والقيود الداخلية، كما تتراجع الحتميات والتوقعات، وهو ما يدخل النظام المتأثر بالأزمة ككل في مرحلة عشوائية، يسود فيها اللايقين أو غياب اليقين حول شكل النظام الذي سيكون عليه في المستقبل [2] ان بزوغ الازمة حالة من حالات حتمية الغموض الذي يصيب الأنظمة في المستقبل، وبخاصة اذا ما استدامت الازمات واثرت ايما تأثير في الأنظمة لأنها ستمنح افراد هذا النظام المزيد من حالات الشك مما يولد الفوضى الذي ترتد تبعاته على النظام ذاته، فتغيب كل صور التوقع وتستفحل العشوائية والارتجالية في التعاطي مع هذه الازمات، وكذلك احد اهم مكونات الازمة كما يرى موران هو (جدلنة كل هذه المكونات) فحسب ادغار موران إن الأزمة لا تتحدد فقط

[1] ينظر: ادغار موران، في مفهوم الازمة، ترجمة: بديعة بوليلة، (بيروت: دار الساقي، 2018)،ص53-68.

[2] المصدر نفسه،ص68-69، وينظر كذلك: محسن المحمدي،إدغار موران يوجه رسالة لقارئ عربي «يواجه أزمات عدة ومركّبة»، صحيفة الشرق الأوسط،(لندن)،الاثنين - 10 شهر ربيع الأول 1440 هـ - 19 نوفمبر 2018 رقم العدد 14601،ص18.

من خلال مكوناتها المجردة هذه، وإنما كذلك تتحدد من خلال ((تفاعل هذه المكونات وتركيبتها والتحرك المتنافس والمتضاد والمتكامل في الوقت نفسه؛ أي "جدلنتها"، وهو ما يعني أن مفهوم الأزمة مفهوم غني وأكبر من فكرة الاضطراب والفوضى؛ فـ"الأزمة هي في الوقت نفسه التعطل والتحرير، ولعبة الارتجاعات السلبية والإيجابية والتضاد والتضامن والمآزق المزدوجة، والأبحاث العملية والسحرية، والحلول على المستوى الفيزيائي والأسطوري))[1] فكل الاضطرابات والفوضى التي يمكن ان تحدث انما تندرج ضمن غطاء الازمة، والتي تسبب بتعطل كامل للنظام، وتوقعه بمشكلات كبرى، تغيب معها الحلول العملية وتتراكم المأزق التي قد تضاعف من مستوى الازمة اذا ما سمحت لعناصر الازمة بالتفاعل والتكامل مما يجعلها تعتري جميع المفاصل في النظام وتصبح اكبر من كونها تعطيل مؤقت او اضطراب عابر، لقد أصبح العالم حسب إدغار موران يعجّ بالأزمات في ظل التقدم والتطورات الصناعية التي شهدتها جميع البلدان ولاسيما الصناعية منها، فعصر التقنية هذا رغم أنه يحرز تقدماً غير مسبوق على جميع الأصعدة ويسهل من عمل الانسان بصورة كبيرة ويزيد من انتاجيته، إلا أن ذلك لا يعني أبدا أنه سليم معافى من أعراض الأزمة التي أصبحت حدث ملازم ومحايث لكل عملية تقدم؛ بل ينبغي ربط فكرة أن ((الأزمة قد أصبحت هي نمط وجود مجتمعاتنا، وفكرة كون التقدم يحمل في نفسه خاصية أزماتية: ففي ثنايا تصوره المغير أو المتسارع ينطوي تقدم الأمم على عمليات فك البنيات/وفساد اقتصادي، واجتماعي، وثقافي: فالتقدم لا يحدث فوق أساس ثقافي وحضاري ومجتمعي: إن التقدم غير منفصل عن عملية تحطيم أو تغيير لهذا الأساس، وهذا المجرى المنشئ للفساد، وإعادة بعث النظام هو خاصية هذا البعد الأزماتي))[2] ان كل عمليات التقدم التي نشهدها اليوم يصحبها تفكك من نوع خاص يخلق

[1] إدغار موران، في مفهوم الأزمة، ترجمة: بديعة بوليلة،ط1،(بيروت: دار الساقي،2018)،ص 68-69.

[2] إدغار موران، إلى أين يسير العالم؟، ترجمة أحمد العلمي، ط1،(بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009)،ص25.

لنا الازمات، فكلما زاد الإنتاج زادت معه مشكلاتنا وازماتنا الاقتصادية، وكلما تطورت التقنية اثر ذلك على الهوية الذاتية للأفراد وقربهم من التسريح والانضمام لجيوش العاطلين عن العمل، أي ان هذا التطور يحمل بذرة الازمة في ذاته، ما لم يحاط بصورة علمية موضوعية، بحيث تدار عملية التنمية والتطوير بعيداً عن أي مؤثرات سلبية بحق الافراد،وذلك يعني ان الازمة تتوسط العالم في ظل هذه التطورات، فكل تقدم يضمر بداخله مجموعة من الازمات والمعرقلات، فالتقنيات بما تحمل من بعد تطوري على المستوى السياسي والثقافي والاقتصادي الا انه لا يمكن ان ننسى ما يمكن ان تخلفه هذه التكنولوجية في الحاق الضرر بالإنسان وكوكب الأرض برمته، مما يدلل على عجز الأنسان في احايين كثيرة على مقاومة هذه الازمات والاخطار رغم كل ما بلغه من تطور، وممكن الإشارة على سبيل التنويه ما تخلفه الآلات الصناعية من ملوثات بحق البيئة والانسان والحياة البرية والحيوانية، فضلاً عن السيرورة التي احدثتها بحلولها مكان الانسان في صور الحياة كافة. الفيلسوف ادغار موران كذلك تحدث عن الازمة الصحية على البشر وارتباطاتها بأزمات أخرى سواء سياسية او اجتماعية او حتى اقتصادية، اذ اشار الى انها كأزمة كوكبية سلطت الضوء على مجتمع المصير لجميع البشر الذين لا ينفصلون عن المصير البيولوجي لكوكب الارض، وكأزمة اقتصادية فأنها تهز كل العقائد التي تحكم الاقتصاد وتهدد بتفاقم الفوضى والنقص في مستقبلنا، وكأزمة وطنية كشفت النقاب عن اوجه القصور في السياسات التي تفضل راس المال على العمل وتضحي بالوقاية والاحتياطات لزيادة الربحية، وكأزمة وجودية تجعلنا نتساءل عن اسلوب حياتنا واحتياجاتنا الحقيقية [1] ان هذه الازمة حسب موران انما كشفت لنا عن ضعف وهشاشة الأنظمة الإدارية والسياسية في التعاطي مع أزمات كبرى مثل الازمات البيئية والصحية، لكي تدرك الأنظمة حجم القصور والعجز امام هكذا أزمات، فضلاً عن عقم كل النظريات الاقتصادية بالتعاطي مع هذه الازمات مما ينبأ بمستقبل مخيف على هذا

[1] ينظر: د.زهير الخويلدي، مصدر سابق،ص34-35.

المستوى اذا ما تكررت الازمة في ظل تواجد ذات الأنظمة السياسية والاقتصادية المسيطرة على العالم والسوق، فضلاً عن اشارته الى حقيقة مهمة وهي اتصال المصير البشري الأحادي ككل، فكل بني البشر بمختلف مشاربهم وقومياتهم وجغرافيا مرجعياتهم انما يرتبطوا بمصير واحد خلال أي ازمة بيئية صحية، وهذا ما يمكن ان يوجه العالم والأنظمة لإعادة صورة الأنظمة الحاكمة وقوانينها في العالم الجديد بما يتماشى مع تلك الازمات وحجم تأثيراتها.

ان عملية الهيمنة التي تفرضها القوة الحاكمة في العالم ولاسيما في الحضارة الاوربية والسطوة التي حاولت نقلها عبر الفكر الامبريالية والعولمة الاقتصادية والثقافية، انما ساهم كثيراً في إيقاع العالم اجمع تحت طائلة الازمات المفاجئة في أي وقت واي زمن، فيرى موران بانه لقد تطورات ((النزعة الكوكبية بفضل نقل الحضارة الاوربية الى القارات الاخرى، وبفضل نقل اسلحتها وتقنياتها، وتصوراتها بصدد كل ما يدخل تحت تصرفها سواء تعلق الامر بما وصلت اليه من مراكز متقدمة او ما احلته من مناطق، هكذا شهد التصنيع والتقنية اقلاعا لم تشهده بعد اية حضارة على الاطلاق، ذلك ان الاقلاع الاقتصادي وتطور قنوات الاتصال وادماج القارات التابعة في السوق العالمية كل هذا ادى الى تدفقات هائلة من الهجرات،سيعمل النمو الديموغرافي المعمم على تضخيمها، لقد نجم عن هذه النزعة الكوكبية في القرن العشرين حربان عالميتان وازمتان اقتصاديتان عالميتان، كما سينجم بعد 1989 تعميم الاقتصاد الليبرالي المسمى بالعولمة....حيث اصبح الكل خاضعا للاختلالات وللمخاطر))[1] وهي تشبه التبعات التي دفعتها الدولة الاستعمارية حينما نقلت كل الاتها الحربية والاقتصادية باتجاه البلدان النامية او المحتلة، مما افاض بالعديد من الازمات سواء للبلدان التي وقعت عليها الاضرار او حتى تلك البلدان التي مارست الاستعمار على امتداد حقب متنوعة، فهي

[1] ادغار موران، النزعة الوحشية في العصر الكوكبي، ضمن كتاب العنف، اعداد و ترجمة: محمد الهلالي، وعزيز لزرق، ط1، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2009)،ص57.

دائمة الازمات لأنها أسست بنية مختلة وخطرة ابتدأت بالحربين العالميتين ولم تنته عند الأزمات الاقتصادية المفاجئة التي تحدث كل حين في البلدان الاوربية، ناهيك عن وفرة وسائل الاتصال الاقتصادي الحاكم بمظاهره وتطوره مما ولد الأحادية في السوق العالمية الجديدة وصار مفهوم السوق الواحد هو الحاكم في ظل هذه المتغيرات الجديدة، وتسلط وسائل العولمة على كل مظاهر الاقتصاد الجديد، وتحكم هذا الاقتصاد باقتصاد تلك البلدان بل واوجه ومظاهر الحياة فيها بما يولده من طرق وأساليب جديدة للمستهلكين (افراد القارات المختلفة).

زيجمونت باومان و كارلو بورودني

الفيلسوفان البولندي (**زيجمونت باومان**) (1925- 2017) والإيطالي (**كارلو بورودني**) تحدثا عن الازمة ومالاتها في المجتمع الأوربي من خلال كتابهم المشترك (حالة الازمة) واشاراً بوضوح الى ان ثمة ازمة كبرى وازمات فرعية تتناسل من هذه الازمة، بل ان الازمات تتوالد بنفس حجم التأثير وبصور مختلفة، فما ان ((تنتهي ازمة ما حتى تظهر ازمة أخرى او ربما تكون الازمة الكبيرة نفسها التي تتغذى على نفسها وتتغير عبر الزمن، وتحول نفسها وتولد نفسها من جديد مثل كيان فظيع ماسخ يلتهم ملايين البشر ويغير قدرهم ويجعل ذلك قاعدة الحياة لا استثناءها، ويصير عادة يومية لابد ان نتعامل معها وليس مجرد مشكلة مزعجة مؤقتة يمكن التخلص منها بأسرع طريقة ممكنة))[1] أي ان الحياة أصبحت معقدة الى درجة حضور الازمة في كل مفاصلها اليومية، وهو الامر الذي يستعدي الاستعداد الأمثل لتلك الازمات التي باتت تتشكل وتتداخل في ابسط جزئيات يومياتنا، وهما يؤكدان على جانب (الفرص) في الازمة وهو التعبير الذي ينبثق من المفهوم الثاني للازمة باستغلال الفرص المتاحة عبر هذه الازمة ومحاولة عبورها والإفادة من درسها ونتائجها، اذ ((اتسمت كل ازمة كبرى من أزمات التحول بانها فظيعة لمن مروا بها

[1] زيجمونت باومان،وكارلو بوردوني،حالة الازمة،ترجمة:حجاج أبو جبر،ط1،(بيروت:الشبكة العربية للأبحاث والنشر،2018)،ص15.

والامكانية الأخرى هي ملاحظتها باسترجاع الماضي، بعدما وقعت وانتهت ومحاولة فهمها وتقدير ايجابياتها في التطور المستقبلي، وتقييم مغزاها الثقافي والاعجاب بذكاء القادرين على فهمها"[1] ذلك لان الانسان الغربي على وجه المعمورة اصبح يواجه الازمات بصورها المختلفة ضمن حياته اليومية، أي أصبحت هذه الازمات تشكل استمرارية وحضور دائم في الحياة المعاصرة مما يتوجب على الفرد وحتى المؤسسة ان يحسنا التعامل مع تلك الازمات ويهيئون سيناريوهات التعامل مع هذه الازمات بغية الاستعداد الأمثل لمخاطرها او حتى لاستغلال فرصها اذ ان العيش في "حالة ازمة دائمة لا يبعث على السرور ولكن يمكن ان ينطوي على اثر إيجابي لأنه يوقظ الحواس ويجعلها على أهبة الاستعداد ويهيئنا نفسيا للأسوأ فلابد ان نتعلم العيش مع الازمة، كما تعودنا على العيش مع مشكلات عويصة فرضها علينا تطور الزمان: التلوث، الضواء،والفساد، والخوف"[2].

ان الفيلسوفين قدما من خلال كتابهما أطروحة تشيء بالخطورة وضرورة توفر الإداة الفاعلة للتعامل معها ومفادها بان "الازمة التي تواجه العالم ليست ازمة مؤقتة، بل هي علامة دالة على تغير عميق في المنظومة الاقتصادية والاجتماعية باسرها، كما ان اثارها ستدوم امداً طويلاً"[3] وهو الامر الذي يحتاج الى تطوير اليات مستدامة للتعامل مع هذه الازمة، لأنها تمثل حالة من حالات التغيرات التي باتت تتوسط عمق التجارب الإنسانية مما يحفز الديمومة لحين ورود التغيير الاخر حتى وان كان هذا التغير يقلل من حدة الازمة، فعمليات التغيير الجذرية التي تتشكل منها الازمة الجديدة تتطلب وعي كبير للتعاطي من هذه الحالة لحين استقرارها بالتعامل الأمثل مع كل حيثياتها، لان صفة الاستمرارية تعمق من حجم المعاناة من مراحل الازمة وهو الامر الذي يتطلب (التكيف) الجاد للتعامل مع ظروف الازمة، ولكن اهم ما في الامر انهما وبخاصة بومان كان يرى ان

---

[1] المصدر نفسه، ص78.

[2] المصدر نفسه، ص15.

[3] المصدر نفسه، ص7.

(إدارة الازمة/ من جنس الازمة) والحفاظ على عامل (الوقت) كأحد الحلول الناجعة في التعامل مع الازمات، وعن ضرورة التداخل (بالقرار/ والفعل) لمعالجة الازمة حتى لا يتعمق الشعور (بالمصير المجهول وانفلات لحظة إدارة الازمة من الفرد والمؤسسة) والخروج الى إجراءات غير دقيقة بالتعامل مع الازمات وبالتالي احداث الضرر بدلاً من (المعالجة لهذه الازمة) اذ ان زيجمونت باومان يرى ان ((فكرة الازمة تتجه اليوم الى العودة الى جذورها الطبية، حيث ظهر هذا المصطلح ليشير الى لحظة يكون فيه مستقبل المريض في يد قدر مجهول، حيث يحدد الطبيب التشخيص والعلاج لمساعدة هذا المريض على التعافي التدريجي، فاذا ما تحدثنا عن ازمة ما بما في ذلك الازمة الاقتصادية فأننا نعبر عن شعور باللايقين، عن شعور يجهلنا بمصير الأمور، كما نعبر عن رغبة شديدة في التدخل، بمعنى انتقاء الإجراءات الصحيحة واتخاذ قرار بتطبيقها على الفور، وعندما تشخص موقفاً على انه وضع حرج فأننا نعني اقتران التشخيص والدعوة للفعل))[1].

ميشال فوكو

الفيلسوف الفرنسي (**ميشال فوكو**) (1926-1984) أحد أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين الذين تحدثوا عن مختلف الازمات التي تصيب بنية المجتمع والافراد، فمع تقدم العصور وتزايد الرؤى الفلسفية في العالم اتخذت معظم ((النظريات الفلسفية المعاصرة من مقولة موت الانسان أساسا نظريا في تناولها لازمة الانسان واشكاليته الوظيفية في الوجود ولاسيما في ظل سيطرة السلطة واستحواذها على الانسان والمجتمع))[2] أي موت سلطة التغيير والتجديد وليست موت كوني او بيولوجي، فالإنسان ميت من حيث هو يعيش ازمة تتلخص بعدم قدرته على محاولة التغيير بشكل الأنظمة السائدة على مستوى السياسة والاجتماع والاقتصاد، وهذا ما يشكل الازمة الحقيقية لإنسان اليوم في ظل العديد من المرتكزات التي تخلق لنا هذا الانسان ويعني به الباحث

[1] المصدر نفسه، ص15.

[2] د.يحيى البشتاوي، مصدر سابق، ص44-45.

الانسان غير القادر على خلق حالات التغيير إزاء الأوضاع السائدة، ومن اهم تلك المرتكزات الأنظمة السياسية المستبدة وسلطاتها إزاء الافراد، مما يجعل الازمات تتناسل وتتناسخ في ظل غياب الحلول الناجعة، وهذه المرتكزات بالتأكيد تهشم معاني: الإرادة، الحرية، العقل، التقدم،لأنها تسمو فوق كل تلك الاعتبارات وتقدم الانسان على انه تابع او مهمش في ظل سيادة المركزيات الكبرى في العالم على المستوى السياسي والثقافي والفكري والاقتصادي، فأدوار الانسان شبه معدومة ان لم تكن متلاشية وقيادة الأمور في ظل المركزية من شأن المحاور القطبية التي تتحكم في مفاصل السياسة، والاقتصاد، والمفاصل الأخرى كافة، وهذا الملمح المهم نراه لدى الفرنسي ميشال فوكو فهو الاخر وبعد ثورة أيار مايو في فرنسا 1968 بدء بالتقليل من ضرورة الخطاب ((وبلور مفاهيمه حول السلطة واشكال السيطرة والاستحواذ على الجسد الذي غرق فعليا في الميدان السياسي ليعبر في النهاية عن ازمة الانسان في ظل سيطرة السلطة وعدم اتخاذه لوجود معين في العالم مما أدى الى انتفاء جوهره وصفاته الموضوعية))[1] أي عاش الانسان في كنف السلطة مقهوراً مستعبداً، فضلاً عن غرق الافراد في اتون السياسة والتي هي الأخرى تفقد هذا الانسان لجوهره في ظل المتغيرات الكبيرة التي تحدث من خلالها فضلاً عن تقديم الحاجات المادية والتناغم مع المتطلب المادي القائم على المصلحة وتجاهل مشاعر الافراد او ما يتصل بذاتهم وفكرهم وتطلعاتهم التي يتشكل من خلالها وجود الفرد الحقيقي في ظل هذه الحياة، اذ يرى فوكو ان الانسان في القرن العشرين يموت في اليوم الواحد عدة مرات، فهو يعاني من الانظمة السياسية الغربية والشرقية على حد سواء، والتي يحاول كل منها ان يمرر بضاعته الفاسدة تحت غطاء الانسانية مما يجعل هذا الانسان يعاني من ويلات الحروب ووسائل الابادة الجماعية في كل بقاع العالم، ناهيك عن سيطرة وهيمنة التكنولوجيا والتقدم الصناعية التي لم تكن مشاريع بريئة كما ان الازمات التي عرفها العالم خاصة ما بعد الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة والثورة

[1] المصدر نفسه،ص48.

الطلابية في فرنسا كل تلك الازمات لعبت دورا بارزا في صياغة التشكلات الفلسفية التي قتل الانسان واراقه دمه فقد كانت البنيوية تتغذى على واقع مأزوم بعدها اتجهت حدتها الى نسف الوجودية من جذورها حينما عدت الانسان ليس موضعاً على الاطلاق[1] أي ان صور الهيمنة على كيان الانسان وتلاشي هويته قد اتخذت صوراً متنوعة في القرن العشرين على مستوى التقدم التقني واحلال الالة مكان الافراد، وكذلك على مستوى اغترابه جراء أزمات الحروب وظروفها المعيشية التي القت بظلالها على جميع المجتمعات هناك، والتي جعلت الانسان يعيد التفكير بقيمته الاعتبارية إزاء ما يجري من ويلات، وبخاصة نظرة الأنظمة لهذا الفرد. ان فلسفة ازمة موت الانسان لدى فوكو قد بدأت مع ((الفكرة المادية في تحليله للعلاقة بين التصرف والعمل بحيث التمكن من الملكية الخاصة لوسائل الانتاج يؤدي حتما الى نزع ملكية العامل فالإنسان قد تحدد من خلال العمل، هذا الاخير عند فوكو معلم من مضامين نهاية الانسان، لقد غدا انسان ماركس غريب عن ماهيته وهو في العمل))[2] ان قولبة الانسان في اطار العمل ونزع الجوانب الروحية لهذا الكيان الاجتماعي فكرة انطلقت منها ازمة موت الانسان لدى فوكو، أي ان الانسان تشكل ضمن منطلقات العمل سواء مشاركاً في وسائل الإنتاج وفقا لماركس والاشتراكية، او حتى مالكاً لتلك الوسائل حسب الفهم الرأسمالية فلاكهما اوقعوه في ازمة الاطار الخاص باقتصاره على احد مكونات العمل المادية بحيث أصبحت محدداته تقاس بدرجة اشتراكه بالعمل وانتاجه.

كما عرف فوكو بدراساته الناقدة للازمات المؤسسية في اوربا ومنها المصحات، المشافي، السجون، المدارس وعلاقة السلطة بالمعرفة، وهو حاول ان يجذر ويكتشف ازمات

---

[1] ينظر: عبداللطيف قادم، موت الانسان في الفلسفة الغربية الحديثة: من نيتشه الى فوكو،مجلة ابوليوس،(الجزائر)، العدد السابع، جوان، 2017، ص145-146.

[2] زواوي رايس،اشكالية موت الانسان في خطاب العلوم الانسانية لدى ميشال فوكو،اطروحة دكتوراه غير منشورة،باشراف الاستاذ الدكتور محمد مولفي،(الجزائر: جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية،قسم الفلسفة،2011)،ص171.

الانتهاك وتجاوز الحدود المجتمعية التي غالبا ما يراها ترتبط بالقوة والمعرفة، ان لدى ميشيل فوكو ((اجهزة المعرفة واجهزة السلطة وجهان لعملية واحدة، يرجع احدهما الى الاخر، ويولده بالتبادل ويكشف تاريخهما الانكسارات والتحولات والانقطاعات ذاتها، وهذا ما سوف يثير اهتمام فوكو في اعماله كلها: لحظات الانقلاب، والعتبات، وخطوط الفصل))[1] أي ان المعرفة سلطة وفقاً لفوكو وقد تسهم هذه السلطة بممارسة ما تمارسه أجهزة السلطة الحاكمة بمعناها التقليدي، فالمعرفة في كل مفاصل وبنى المجتمع وعبر كل المؤسسات المعنية بالوعي او المؤسسات العامة (الإنسانية/ الاجتماعية) قد تمارس السلطة القهرية نفسها على الافراد وفقا لمداد المعرفة، فكان يرى ان النظام والضبط في المجتمعات المعاصرة لا يتم الا من خلال ممارسته بقوة سلطة الدولة الفظة، كما كان يمارس عبر الاعدامات بالساحة العامة والاستعراضات العسكرية المفرطة بإظهار مكامن السلطة، انما اصبح الان يمارس من خلال نظام انتاج المعرفة الجديد القائم على استخدام الفكر والوعي بطريقة تسلطية غير مباشرة ولكنها تقع ضمن نفس نطاق التأثير التسلطي. وبخصوص ازمة منظومة ادارة السجون في فرنسا انتقد فوكو طريقة التعذيب فهو يرى في ((التعذيب الجسماني كان الارهاب هو حامل المثال "العبرة" ترهيباً جسدياً، ترويحاً جماعياً، صور يجب ان تحفر في ذاكرة المشاهدين، كالوسمة على الخد او على كتف المحكوم، اما الان فدعامة العبرة هي الدرس والخطاب والعلامة المقروءة والاخراج المسرحي واللوحاتي للأخلاقيات العامة، ان الامر لم يعد هنا يتعلق بترميم مرعب يدعم الاحتفال بالعقوبة))[2] أي ان المعرفة بصورها الحديثة التي يشير لها فوكو انما تترك نفس الأثر الاعتباري في التهذيب ومحاولة المعالجة وإدارة الازمة لهذا الفرد (الذي يتم معاقبته/عبر التعذيب او السجن) فيمكن الاستعاضة عن صور الترهيب المتنوعة

[1] روجيه بول دورا، مصدر سابق، ص229.

[2] ميشيل فوكو، المراقبة والمعاقبة:ولادة السجن، ترجمة: د.علي مقلد، (بيروت: مركز الانماء القومي، 1990)، ص134.

بطرقها التقليدية الى صور داعمة لمعنى وقيمة العبرة (التهذيبية/للسجين) تكون عبر انتاج سلطة معرفة جديدة اكثر تأثيراً لتحقيق هذه العبرة.

ان فوكو في معرض نقده لهذه المؤسسات الاجتماعية انما كان يرى ان سبب مأسي وازمات الانسان وتعنيفه والتعدي عليه وعلى حقوقه تكمن في الانظمة ((البرجوازية والانضباطية والتي خلقت انسان الانحراف انسان اللافكر، انسان ارادته ان ينقلب عليها ويعايشها الخوف والحرب والصراع فيكثر فوكو كثيرا من تحميل البرجوازية تركة افعالها لإنتاج شواذ ومنحرفين بجعلها من نفسها اداة لسلطة تمارس على العزل من الناس فهي لم تحد من هذا الانسان كل هذا لمصالح تريد تحقيقها، وهو بداخل السجن قد تشكل من الخارج لممارسة الاعمال الشاقة للعمل لاستهلاك قدراته وكفاءته الروحية وعمله المتفاني...اضحى الاقتصاد المربح للبرجوازية وتخطيطاتها باستغلاله))[1] بمعنى ان النظام الرأسمالية وصورته الاجتماعية البرجوازية عبر الانضباطية في منظومة السجون او المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي تتوافر على طابع الانضباطية في المجتمعات الرأسمالية انما هي محاولة أخرى لاستغلال هذا الانسان واستهلاك طاقته وتحويله الى مغترب في ظل بيئة رأسمالية باحثة عن استغلاله بأبشع الصور وتحقيق أرباحها بوصفه غير قادر على الاحتجاج او التمرد على هذه الأنظمة التي تتحكم فيه تارة بصورة مباشرة عبر المجتمع وأخرى بطريقة انضباطية عبر مؤسساتها البرجوازية الحاكمة (المؤسسات الاجتماعية) وهو ما يشكل الازمة الحقيقية وغير المباشرة للإنسان بصورة عامة، ذلك يذهب الى حقيقة واضحة جدا ان الازمة الحقيقة للإنسان المعاصر ان الانضباط موجه لأجساد الافراد وليس لتفكيرهم، مما يحولهم الى تشيئات غير قادرة على ادراك وجودها الروحي الاعتباري في ظل هيمنة المنظومة الرأسمالية على اليات الانضباط المؤسسي.

وبوصف البرجوازية كانت الازمة الحقيقية للطبقات المسحوقة في اوربا فان ((فوكو الذي كان يدين الغرب الحديث لأنه حارب بوسائل اخرى انجذب نحو الماويين في اليسار

[1] زواوي رايس، مصدر سابق،ص122.

البروليتاري، وبالتحديد لانهم كانوا يؤيدون الارهاب ويعتبرونه عدالة الشعب، كان فوكو يحثهم على المشاركة في اعمال العنف العشوائي ضد مضطهديهم وظالميهم البرجوازيين سواء كانوا مذنبين او ابرياء))[1] أي ان فوكو كان محرضاً على اعتماد تحقيق العدالة على ايدي الطبقات المهمشة من البروليتارية، عن طريق استخدام العنف لاسترداد حقوقهم المسلوبة في ظل هيمنة المجتمع البرجوازي على كل صور الحياة هناك في الغرب بعد ان تحولت الطبقة العمالية الى مجرد هوامش على خارطة الحياة المجتمعية والسياسية والاقتصادي على حد سواء.

بقي ان نشير الى ان فوكو تحدث كذلك عن الازمة الوبائية (الصحية) وذلك في حديثه بكتابه (المجتمع والعقاب) اذ أشار الى الظاهرة البيولوجية ودراسته للطاعون، وكان يرى ان مكافحة هذه الازمة كانت مجرد اجراءات تتعلق بفكرة الانضباط والعقاب، ففي نهاية القرن التاسع عشر كانت الاجراءات لمجابهة هذه الازمة تشبه اجراءات مكافحة ازمة كورونا من اغلاق المدن والشوارع وحجر الافراد وفوكو يراها انها تمثل للأنظمة التسلطية وهو جزء من سلطة المجتمع التأديبي في ادارة الحياة الاجتماعية ازاء ما يجري من ازمات واضطرابات تتعلق بالقلق والذعر، والحكومة التسلطية وفقا لهذا تمنح لنفسها الذرائع لتقييد الحريات باسم الأمننة الصحية من ازمة الوباء [2] أي ان فوكو يرى في الإجراءات الصحية التي كانت معتمدة في السابق انما هي محاولة تسلط أخرى إزاء حريات المواطن حتى وان كان يمر بأزمة طارئة، وهو ينتقد بهذا نظام إدارة الازمة الصحية من قبل السلطات، وهو ذات الشيء ان لم يكن بدرجة اكبر قد اتبع خلال الازمات الصحية في المئة سنة الماضي على الأقل وفي جميع البلدان، مما يعني انه مصر على ان نظام إدارة

[1] ارثر هيرمان، فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي، ط1،ترجمة: طلعت الشايب، (القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة،2000)،ص429.

[2] ينظر: ميشيل فوكو،المراقبة والمعاقبة:ولادة السجن،ترجمة:د.علي المقلد، (بيروت:منشورات مركز الانماء القومي،1990)،ص206-207.

الازمة بهذه الشاكلة انما هو نظام تسلطي يتعلق بتقييد حريات الافراد، وهو جزء من الرؤية الشمولية التسلطية بهذه الحكومات منذ القرن التاسع عشر وحتى اللحظة.

صامويل فيليبس هنتنغتون

اما الفيلسوف الامريكي (**صامويل فيليبس هنتنغتون**) (1927-2008) فكانت الازمة لديه تشكل رؤية خاصة تتعلق بصراع الحضارات والثقافات والتي نظر لها ودافع عنها وكان يرى ان الصدع الحضاري يمثل لحظة الشروع بالأزمة ومنها ازمة الحرب، فلو نظرنا الى احصائية حروب ونزاعات عام 1996 لمعهد هايدلبرغ لأبحاث النزاعات وهو احد المنشآت التي تسجل المنازعات العنيفة احصائيا بشكل منتظم لوجدنا ان هذه المؤسسة احصت ما مجموعه (27) حربا وازمة عنيفة سببت الموت للناس من خلال الاستعمال المنظم للعنف، تسع منها في خطوط الصدع الحضارية التي تحدث عنها هنتنغتون والذي كان يحاول ان يربط كل الحروب والصراعات الدولية بنتيجة الاختلاف الحضاري، وهو الذي كان يتنبأ لأمريكا بان ازماتها القادمة بسبب الهجرة بما تحمله من تعددية ثقافية وحضارية وتأثيراتها على الوضع الداخلي لأمريكا بخاصة فيما يتعلق بهوية المواطن الأمريكي الأصلي[1] وأعاد هنتنغتون التذكير بمخاطر الهجرة والتنوع الثقافي في المجتمعات الليبرالية، فالتهديد في اعتقاده لم يكن من الحضارات المنافسة للحضارة الغربية أمريكا بالخصوص، التهديد هذه المرة والخطورة تكمن في الخط الداخلي، أي فيما تحتفظ به حدود الولايات المتحدة، وليس فيما يرد الى حدودها من الخارج. إن ما يمس ثوابت ومستقبل إمبراطورية القرن الواحد والعشرين هو "التهديد اللاتيني" الذي هو نسق جديد رافض لمنظومة القيم الأنجلو بروتستنتية التي بنت الحلم الأمريكي الحالي، وتجاهل هذا التحدي من طرف أميركا يشكل مخاطرة بالنسبة إليها، خصوصا أن هذه الفئات القادمة إلى أمريكا تشكل نمطا لغويا هجينا وهو الإسبنجليزية مزيج من الإنجليزية والإسبانية لذا

[1] هارالد موللر، تعايش الثقافات: مشروع مضاد لهنتنغتون، ترجمة: د.ابراهيم ابو هشهش، ط1،(بيروت: دار كتاب الجديد المتحدة، 2005)،ص.104-105

فقد وجه النقد على موجة الهجرة من امريكا اللاتينية واسيا، والذين تختلف ثقافة بلادهم ويرى انهم يسببوا ازمة للهوية الثقافية الامريكية، وان امريكا يمكن ان تفقد ثقافتها الاساسية جراء هذا التعدد بالثقافات [1] ان هنتغتون كان يتغنى بالنظام الليبرالي الغربي بوصفه الاجدر على البقاء بين كل الأنظمة متجاوزاً حجم الازمات التي خلفتها الرأسمالية في المجتمعات الاوربية، ويبرر بعض تناقضات هذا النظام وهو يركز على مسألة خلق الازمات عبر الصدام الديني والثقافي الحضاري وهو نتاج ازمة فكرية ما بين الثقافات المتناقضة في مرجعياتها الحضارية، لذا فلقد عمل ((هنتنغتون على ان يوجد صياغات جديدة اقتصادية وجيوبوليتيكة مهمتها ردم هوة التناقضات الداخلية للمنظومة الرأسمالية بالعمل على تكييف قوانينها وفرزها وضغط انزياحاتها، وابتكار وسائل احتوائها، لان الرسمالية طبقا لقوانين الجدلية في صراع دائم، هذا التضاد يولد الازمة للرأسمالية، وبحسب ما يعتقد وجيه كوثراني في معرض رده على مقال هنتنغتون ان ما يحصل الان في الغرب ما هو الا ترتيب وادارة ازمات كجزء من استراتيجية التوازن الجديدة اقرب منه الى ما يمكن ان يسمى صدام حضارات ومعروفة لدى الجميع قدرة الرأسمالية على معالجة ازماتها عبر التاريخ))[2] لذا طروحاته بخصوص خلق الازمة للمجتمع الأمريكي جراء هذا التناقض بالإرث الحضاري واجهت انتقادات كبيرة بخاصة نظرته الى الحضارات الأخرى سواء الإسلامية او اللاتينية او الصينية، والتي تشكل رؤى أزموية واضحة بصورتها العصرية لتعاطي أمريكا مع تلك الحضارات (الشعوب) فهو تحدث عن ان الصراعات ليست ضمن اطر مصالح اقتصادية او ايدولوجية، بل الصراعات وتأجج الازمات تكون ثقافية وحضارية تتعلق بمفردات (الايمان،الاسرة، الدم،العقيدة) وأزمة صراع الحضارات تتشكل بين الكيانات الثقافية التي تقوم على

---

[1] صمويبل، ب، هنتنجتون، من نحن ؟ المناظرة الكبرى حول امريكا، ترجمة: احمد مختار الجمال، ط1، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009)، ص51-52.

[2] د.محمد عطوان، الاستعمال الأيديولوجي للثقافة: صدام الحضارات انموذجاً، (البصرة: منشورات اتحاد الادباء والكتاب في البصرة، 2017)،ص156.

العرق والدين واللغة والتراث والعادات والتقاليد والتاريخ،اذ ان الدكتور (صلاح قنصوه) في مقدمته لكتاب هنتنغتون عن صدام الحضارات يعتقد ان نظريته اشبه بخريطة جديدة لإدارة الازمات، ولكن نظريته ترسخ مشروعية العدوان والازمة وليس العكس، اذ يرى هنتنغتون ان ازمة الحروب والصراعات بين الدول بعد نهاية الحرب الباردة يحتمه الاختلاف الحضاري، ذلك ان الثقافة والهويات الثقافة هي على المستوى العام هويات حضارية وهي التي تشكل انماط التماسك والتفسخ والازمات في عالم ما بعد الحرب الباردة [1] هذا الرؤية تدعو صراحة الى رؤية ازموية تتقاطع مع الحضارات المختلفة مع المجتمع الأمريكي، بل وتشدد على استخدام القطيعة التي قد تصل الى مفاهيم العنف والحرب وسياسة فرق تسد وعدم الركون الى المنطق المعاصر لتحقيق السلم عبر (التعايش) بين الثقافات، وهو ما يؤكد في بعض الأحيان اتخاذ أمريكا لسياسات الحرب وخلق الازمات في البلدان التي تتقاطع معها حضارياً، فهذه الرؤية وان كانت ضمن مخططات فلسفة هنتنغتون عملية عصرية لأبعاد المجتمع الأمريكي عن الازمات المتعلقة بالهوية وثقافة البلد عبر تشكل حدود من القطيعة مع الحضارات المتناقضة ولكنها على ارض الواقع السياسي لم تدر الامر بقدر ما شكلت عبء على مجتمع الحضارات المختلفة (البلدان النامية، أمريكا اللاتينية، الحضارة الافريقية)، لذلك تحدث عن البلدان النامية التي تعيش ازماتها بصورة متواصلة، في ظل الأنظمة الاستبدادية الفاسدة في تلك البلدان،فيؤكد هنتنغتون على العلاقة بين النمو الاقتصادي والتحول الديمقراطي وتوصل الى نتيجة في عموميتها على النقلة الديمقراطية حسب هذا التطور توحي بنوع من العلاقة التلازمية بين ما هو اقتصادي متغير مستقل وبين ما هو ديمقراطي كمتغير تابع ويبقى من غير الممكن تصور تحول ديمقراطي في الدولة الفقيرة المتخلفة التي تعاني الازمات والتي تعرف بهشاشتها الاقتصادية وازماتها الاقتصادية المستمرة، هنتنغون يرى

[1] ينظر: صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات: اعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، ط2،(القاهرة: سطور للتوزيع والنشر،1999)،ص37.

ان هناك اسباب للتحول الديمقراطي والخلاص من ازمات عدة تهيمن على البلدان اول هذه الاسباب نتائج العدوى من دول الجوار والمطالبة بالإصلاح المشابهة، وانهيار الحكومة الاستبدادية بعد ان يعاني هذا النظام من ازمات لا تمكنه من صون النظام او توفير احتياجات المواطنين عبر المطالبات بالإصلاح او الثورة ومنها ما حصل من انهيار الاتحاد السوفيتي جراء ازمة الركود الاقتصادي،وكذلك النمو الاقتصادي الذي يخلق الطبقة المتوسطة، وخلق القادة السياسيين وبخاصة الذين يؤمنون بان التحول الديمقراطي العلاج الوحيد للنظام، واختيار تأثير الجهات الفاعلة من خارج الدولة اي اجراءات المنظمات الدولية والدول الخارجية جراء ما تعانيه الشعوب من ازمة استبداد الأنظمة [1]

وفي معرض حديثه في كتابه (صدام الحضارات) عن الازمة السياسية التي تتكون جراء الاختلاف الحضاري، كان قد تطرق الى مثل هذا الاختلاف الحضاري في تجربة ازمة الحرب الأوكرانية الروسية، اذ ناقش هنتنغتون تنبؤ الامريكي (جون ميرشيمر) لاحتمال قيام حرب روسية اوكرانية واحتلال روسيا لأوكرانيا مستقبلاً بوصف الموقف بين البلدين ناضجاً لنشوب ازمة حرب ولابد من البلدين ان تتغلب على هذه العوامل المحركة للازمة وان يعيشا بوفاق، وهو يؤكد على اهمية الحفاظ على الوحدة الاوكرانية واستقلالها وان تكفل تخطيطا لمواجهة الطوارئ المحتملة لتفكك البلاد وبناء عليه يقترح هنتنغتون منذ العام 1996، لحل هذه الازمة بالقيام بتقسيم أوكرانيا إلى اثنتين روسيا الأوكرانية الشرقية الأرثوذكسية، وأوكرانيا الغربية المنتمية إلى الكنيسة الشرقية ووصفها بانها حقيقة تاريخية يتجاهلها ميرشيمر بمعرض تنبؤه الاستباقي لإدارة الازمة بين البلدين [2]

أي ان أوكرانيا بلد متصدع بين حضارتين مختلفين ما بين الروس وامريكا من جانب اذ يقع غرب أوكرانيا في الزاوية الأوروبية وشرق أوكرانيا والقرم في مدار روسيا الأرثوذكسية،

[1] د.علي مصباح محمد الوحيشي،دراسة نظرية في التحول الديمقراطي،مجلة كلية الاقتصاد للبحوث العلمية،جامعة الزاوية،(ليبيا)،المجلد 1، العدد 2، اكتوبر 2015،ص57.

[2] ينظر: صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات،مصدر سابق،ص62.

ولبيان مدى تأثير رؤية هنتنغتون على السياسة الامريكية فلابد من الإشارة الى ان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب كان في بعض خطاباته خلال الازمات يستخدم نفس نسق افكار هنتغتون، من حيث حث الأوربيين والأمريكيين على الدفاع عن الحضارة الغربية ضد المتطرفين العنيفين وجحافل البرابرة، ويدعو الى استجماع القوة والشجاعة للدفاع عن حضارتهم وان لا يقبلوا المهاجرين الا من يتشاركون معهم قيم شعبهم حاثاً الحلفاء عبر الاطلس بعدم نسيان من هم فيما يتعلق بأوامر التاريخ والثقافة والذاكرة، فهذا الخطاب الحضاري هو صدى يتردد لخطاب هنتغتون في صدام الحضارات [1] ان الفيلسوف والمفكر الأمريكي هنتنغتون على وفق ما تقدم من أفكاره كان يركز على ما يتعلق (بالأزمة الحضارية او الازمة الثقافية) التي تتصل بطبيعة هيمنة ثقافات أخرى على الهوية الامريكية وتأثيرات الصدع الحضاري بين الثقافات المختلفة ما بين أمريكا وبلدان الحضارات الأخرى المختلفة، نسبياً بعض تلك الرؤى في قراءة طبيعة الازمة الثقافية بانت معالمها في المجتمع الغربي وبعضها فاقم من طبيعة الازمة لانه خلق رؤية عدوانية إزاء (الاغيار/ الاخرين) ممن يختلفون مع الحضارة الثقافية لامريكا، وهو ما أنتج المزيد من الازمات في عالمنا العربي والمجتمعات الافريقية وحتى مجتمع المهاجرين والملونين القاطنين كمهاجرين في أمريكا، وربما فاقم كذلك من ازمة العنصرية واستفحال النظام الليبرالي الأمريكي إزاء البلدان النامية والشعوب التي لا تتمتع كثيراً بمفاهيم الحرية والديمقراطية، بدلاً من إيجاد حلول موضوعية تم توريط العديد من هذه الشعوب بحلول فضفاضة تحت مسميات التحرير والدمقرطة والتي لم تشكل لهم سوى المزيد من الازمات في ظل عملية الصراع المستمر على الثروات الاقتصادية في تلك البلدان، اذ بين صاموئيل هنتنغتون بان العالم ((يتعرض لازمة هوية عالمية، حيث كل الناس وتسعى الدولة للإجابة على السؤال: من نحن ؟ ويردون بالإشارة الى كل ما هو عزيز عليهم،

[1] كارلوس لوزادا،صموئيل هنتنغتون نبيا لعصر ترامب،ترجمة:احمد عيشة،(قطر:مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2017)،ص3.

اسلافهم، دينهم، ولغتهم، وتاريخهم، وقيمهم، وعاداتهم، ومؤسساتهم، وترابطهم في مجموعات ثقافية على شكل عشيرة، جماعة عرقية، جماعة دينية، امة، وأخيرا على شكل حضارة))[1]

نعوم تشومسكي

اما الفيلسوف والمفكر الاكاديمي الامريكي (**نعوم تشومسكي**) (1928-) فكان من أشد المناهضين للسياسات الليبرالية المتوحشة والازمات التي خلقتها حكومته الامريكية في الخارج وبخاصة ازمات حروبها في الثلث الاخير من القرن المنصرم، وهو من اشد المعارضين للاحتلال الامريكي البريطاني للعراق 2003، ووصفه بانه الذي مهد لازمة التنظيمات الارهابية فيما بعد وتدمير بنية المجتمع العراقي وارساء ازمة الطائفية فيه،كما يعدد الفيلسوف الامريكي نعوم تشومسكي ((ثلاث ازمات معاصرة تهدد مستقبل الجنس البشري، تلوح اولى هذه الازمات في شبح حرب نووية عالمية، اما الثانية فتتصل بأزمة الاحتباس الحرار المتزايدة، اذ على الرغم من التغطية الاعلامية الكبيرة لهذه الرزيئة فأنها لا تنال اهتمام صانعي السيارات الجاد والكافي حول العالم، اما الازمة الثالثة وهي اشدها خطرا فهي تقهقر المنظومة الديمقراطية عالميا بسبب تصاعد حركات اليمين الشعبوي من جهة وتعاظم الهيمنة النيوليبرالية من جهة اخرى، ذلك ان الديمقراطية هي المقدمة الضرورية للتقدم في حل جميع هذه الازمات فمن دون انخراط المجتمع في العملية السياسية ومن دون شفافية المعلومة لا يمكن تصحيح الوضعية القائمة))([2]) ان تشومسكي وفي اطار تنظيراته الفكرية انما ينشغل بالأزمات الدولية التي تسببها الليبرالية او حتى النيوليبرالية التي تعد فكر أيديولوجي يبنى على اساس الليبرالية الاقتصادية

---

[1] صاموئيل هنتنغتون، الغرب وصدام الحضارات،ترجمة: محمد سعدي، جريدة انوال،(المغرب)، العدد 10يوليو،ص10.

[2] عمر المغربي، ماذا قال الفلاسفة حول جائحة فيروس كورونا، مجلة (تبيُّن)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا، (الدوحة)، المجلد التاسع، العدد 35، شتاء 2021، ص169.

بوصفها المكوّن الاقتصادي لليبرالية الكلاسيكية والذي يعد تأييد الرأسمالية المطلقة وعدم تدخل الدولة في الاقتصاد وتقليل دور الدولة بالمرة، وهي محاولة سيطرة أصحاب رؤوس الأموال (القطاع الخاص) وتحكمها بالسوق مما يولد العديد من الازمات ليست على المستوى الاقتصادي وحسب بل وما يتمخض عن هذه الازمة من (أزمات سياسية، اجتماعية، وغيرها)، فضلا عن ازمة الحروب النووية التي تلوح في الأفق الدولي بين فينة وأخرى،أي الحرب الذرية او الحرب النووية الحرارية، والتي تمثل صراع عسكري باستراتيجية ورؤية سياسية ضاغطة باتجاه استخدام هذه الأسلحة ضد البلدان الأخرى التي تختلف معها، كما استخدمت هذه الازمة لاختلال العراق وفرض العقوبات الاقتصادية من الهيمنة الغربية على بعض البلدان الشرقية او تلك البلدان النامية التي تتمتع بالثروة النفطية.

آلفين توفلر

الفيلسوف والمفكر الامريكي (**آلفين توفلر**) (1928-2016) مختص في مجال المستقبليات،تحدث عن الازمات المستقبلية مطلقا عليها الموجة الثالثة بعد موجة الثورة الزراعية التي استغرقت الاف السنين والموجة الصناعية التي استغرقت ثلاثمائة عام، ان توفلر وقف عند الازمات الاجتماعية التي شهدتها البلدان وذلك نتيجة التحول التكنولوجي والذي صاحبه تحول على مستوى الحياة الفكرية والاجتماعية لكل المجتمعات الانسانية،وهو يحاول ان يضع تنبؤات واستشراف مستقبلي للازمات القادمة من خلال هذه التحولات المؤثرة والتي باتت تفكك القيم السابقة السائدة، وتضرب صميم الأنظمة وتعيد رسم صورة قوى المستقبل الجديدة والتي تتماشى مع كل تلك التطورات وتتجاوز ما هو قار وثابت من الأسس التي شكلت نظام الحياة الإنسانية والاقتصادية والسياسية، حتى ان توفلر يرى ان هذا الصراعات او أزالة السائد فعل كثيراً صراع الطبقات منذ القدم، اذ اصبح هناك صراعات وتضاربات بين الموجة الاولى (الزراعية) والثانية (الصناعية) بين ممالك القنانة والاقطاعية والتصنيع، فقد "اندلعت

هذه التصادمات من بلد الى اخر مسببة موجات من الازمات السياسية والثورات والاضطرابات والانقلابات والحروب، حتى تحطمت قوى الموجة الاولى وسادت حضارة الموجة الثانية من حوالي منتصف القرن العشرين"[1]. ان هذه التطورات وان القت بظلالها الإيجابية على مستوى حياة البشرية الا انها في الوقت ذاتها أسست لمشكلات جديدة وازمات من نوع جديدة لم يكن بالحسبان ففي ظل التنوع والانفتاح المعرفي التكنولوجي الكبير والمتسارع بات الفرد يفقد خصوصياته المعرفية وحتى المتعلقة بهوياته ورغباته، بعد ان هيمنت عوالم الافتراض واساليبها على عوالم الواقع وتفصيلاتها، فاصبح الفرد محتلاً من وسائل موجهة، مما يولد المزيد من الازمات على مستوى قدرة الفرد للتواصل مع هذه المتغيرات ومستجداتها، بخاصة ان لم يتقبل الافراد تلك التغيرات ويتكيفوا معها وفقاً لحتمية السيرورة التي تقود الانسان الى البحث عن المعرفة واثبات الذات، فيقول الفن توفلر "الجدة التي تغزو حياتنا سوف تدفع بالأفراد مستقبلا الى موجة ازمات شخصية من انواع جديدة ونظرا لان المجتمع يتجه مسرعا نحو التنوع فستزداد بالتالي المشكلات تنوعا، ففي المجتمعات الجامدة والبطيئة التغير تتماثل طرز الازمات التي تواجه الافراد، ومن السهل ادراك المصدر الذي تستمد منه النصيحة بشأنها"[2] ان كل هذه الموجة المتسارعة انما انتجت المزيد من الرؤى والاهداف وتعددت أغراض انتاج الرسائل وتضاعفت الوسائل التي تنتج تلك الرسائل مما جعلت الفرد بحيرة من امره في ظل كل هذه القفزات المتسارعة في انتاج علاقات جديدة تهدف لتمكين الفرد او السيطرة على قرارته، مما جعله في حالة من الازمات المستدامة التي تعيشه حالة من الاضطرابات المتعددة جراء هذه السيولة والتشظي الكبير في لغة الخطاب الموجهة لهؤلاء الافراد فكلما أضحت هذه التطورات والقفزات ترسم أهدافها الربحية والقيمية بعيداً

---

[1] الفن توفلر، حضارة الموجة الثالثة، ترجمة: عصام الشيخ قاسم، ط1،(بنغازي: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان،1990)،ص34.

[2] الفين توفلر،صدمة المستقبل: المتغيرات في عالم الغد، ترجمة: محمد علي ناصف،ط2،(القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 1990)،ص405.

عن أي اعتبارات للأفراد، أضحت الازمات حاضرة على مستوى الافراد بخاصة اذا ما كان ثمة بون واسع بين تلك التطورات المتسارعة وتلقي هؤلاء الافراد لموجات التغيير المتواصلة. كما ان الفن توفلر يرى ان ادوات الازمة ستختلف مع تقدم الانسان وبخاصة خلال القرن الحادي والعشرين، اذ ان السلطة او القوة لن تكن المال او السلاح، بل ستتحول الى المعرفة والمعلوماتية، وهي مرتكزات مهمة للتقدم، حتى التقدم الاقتصادي وازماته لن يكون رهينا بامتلاك المواد الخام والمال والقوى، وانما سيكون رهين المعرفة الانسانية والذكاء البشري، وتوفلر بهذا يشخص شكل ازمات متعلقة بالتطورات الاقتصادية والتكنولوجية ونمو ظواهر جديدة سببتها هذه التطورات من ضمنها ازمة العزلة الاجتماعية وأزمة انهيار الاسرة البيولوجية وأزمة زيادة معدلات الجريمة، والاستخدام المفرط للمخدرات وتغيير القيم الاجتماعية والاخلاقية السائدة،كل تلك الازمات كانت نتيجة للتغيرات التي طرأت على الحياة الجديدة نتيجة التطورات التكنولوجية ورؤاها الجديدة إزاء العالم والانسان على حد سواء [1] وهذا ما ساهم بتغيير شكل السلطة الجديدة والتحولات الضخمة للبلدان الصناعية التي استعمرت وسيطرت بطرق جديدة ومنها الحروب الاقتصادية والاستثمارات والامبريالية ودعاوى العولمة والتحرير وغيرها، والذي يتسم مع السياسات التوسعية الاستيطانية الامبريالية لبعض البلدان ومنها النظام السياسي الأمريكي إزاء البلدان النامية من اجل الحصول على ثرواتها سواء كان بالقوة الناعمة او حتى العسكرية بطرق اوربا الاستعمارية المتعارف عليها والتي تمثل قمة الازمات للشعوب.

حسب توفلر فان هذه القفزات النوعية على مستوى شكل الحياة الجديد ادت الى ازمات من نوع اخر فقد تحول ((الاف الفلاحين الى عمال يعيشون في المدن يعملون في خدمة اصحاب عمل خاص او عام، وذلك بعد ان تحرروا من شبه العبودية في الحقول

[1] علي اسهد وطفة،من صدمة المستقبل الى الموجة الثالثة:التربية في المجتمع مابعد الصناعي من منظور الفين توفلر،(الرباط: مؤمنون بلا حدود،2019)،ص7.

والمزارع، وقد ادى هذا التحول الى تحول اخر في علاقات السلطة على صعيد المنزل فمن قبل كان اجيال يعيشون تحت سقف واحد تحت سلطة رب عائلة ذي لحية طويلة، ولكن سرعان ما وجدوا الشيوخ انفسهم مطرودين او على الاقل فقدوا هيبتهم او تأثيرهم في الاسر الجديدة ذات الحجم الصغير، وشهدت المؤسسة الاسرية سلطاتهم الاجتماعية تنكمش كلما انتقل عدد من وظائفها الى مؤسسات اخرى مثل اسناد وظيفة التعليم الى المدرسة))([1]) ان الخلاص من ازمة العبودية الاقتصادية والإنسانية انما ولد أزمات أخرى شهدتها البنية المجتمعية واهمها تفكك منظومة الاسرة وبدأت تنحسر هذه المنظومة، كما ان هذه الموجات المتصارعة وفقا لسياق التطور الحتمي للطبيعة الإنسانية، انما أسهمت بتوليد المزيد من الازمات على المستوى السياسي او حتى على مستوى إدارة الأنظمة المجتمعية، وهو ما يعد حضور فاعل للازمات في ظل هذه التطورات المستمرة، وبخاصة مع صعود التطورات الاقتصادية للثورة الصناعية ومالاتها على الأنظمة، والمجتمعات الإنسانية كافة، ولكن توفلر شخص أيضا ارهاصات تلك التطورات وما تنتجه من أزمات بنيوية تتعلق (ببنى المجتمع/ والأنظمة/ الافراد) وتأثير هذه الموجة الكبيرة من التطورات التي صاحبها أزمات اخرى تضرب الافراد ومصادر بناء قراراتهم واراءهم وافكارهم وتوجهاتهم، والتنازل الكبير على ما يوجه له، اذ ان هذا ((التسارع ينتج معدلات اسرع لتغيير الاهداف وزوالا اكبر للأغراض والتنوع يقود الى تضاعف لا يتوقف للأهداف، ونحن وقد اخذت بخناقنا هذه البيئة المضطربة وما تراكم فيها من اهداف، واصابتنا صدمة المستقبل، نترنح من ازمة الى ازمة وراء مضطرب من الاغراض المتصادمة والمبطلة لذاتها))([2]) ذلك ان ((الاستعمار يعني اكثر من مجرد نظام للاستغلال السياسي او الاقتصادي انه يمثل غريزة طواف من اجل النهب واستجابة شريرة للعالم الخارجي،

---

[1] الفين توفيلر، تحول السلطة، ترجمة: لبنى الريدي، ج1، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995)،ص26.

[2] المصدر نفسه، ص497.

الذي يتخلل كل جانب من جوانب الثقافة الغربية))([1]) وهو الامر الذي سبب توليد العديد من الازمات الداخلية والتي قد تحدث اثراً على شعوب تلك البلدان ومنها ما جرى مع السياسات الامريكية على وجه التحديد.ان توفلر يؤكد وجود ازمة عميقة في المجتمع الغربي ولكنه لا يرى ان هذه الازمة دلالة الانهيار او افول الغرب بل هي ميلاد حاضرة جديدة بزغت من هشيم الحضارة الصناعية اذ يرى في أمريكا (رمز الغرب) بانها ((تجمع ازمات لم يسبق له مثيل منذ ايامها الاولى: نظامها الاسري في ازمة، وكذا نظام الرعاية الصحية، ونظمها المدنية،ونظام القيم، اما نظامها السياسي فهو اشدها تأزماً وهو الذي فقد من كافة الوجوه العملية ثقة الشعب))([2]).لكن المثير في الامر ان توفلر يرى ان كل تلك الازمات الحالية من حروب وتمزقات وصراعات وانهيارات اقتصادية والتخلف والهيمنة الامريكية والتسلح النووي وتفشي القيم الاستهلاكية لا تعد الا بوصفها مخاضاً لوضع الجنين القادم أي ان كل ما تقدم هو نتائج للعلم والتقدم على حياة الانسان المعاصر.وفقا لذلك فان ثمة من تنبأ بان تسهم هذه الازمات في اضمحلال المجتمع الغربي ومنها حرمان المجتمع الصناعي الناس من استقلالهم الشخصي وما يربط بينهما، والازمة الروحية والهوية الجماعية في الحضارة الغربية الحديثة بسبب غياب الهدف الروحي، فقد بدأت الانظمة باللجوء الى الحلول الصناعية في ازماتها الطبيعية حتى على مستوى نقص الاوزون، تدمير الغابات، انقراض السلالات، تلوث الهواء والماء اذ ينجر الغربي الى الادوات والتكنولوجية التي جاءت بها الحضارة الغربية مما يخلق ازمة جديدة تجعلنا منعزلين عن بعضنا ومنفصلين عن جذورنا، فالمجتمعات اصبحت تنظر الى الكسب الرأسمالي الذي يعمي ما يسببه الانسان من دمار للبيئة، فقد اضحت الثورة الصناعية وما خلفته من ثار كارثة على الجنس البشري وافقدت المجتمع توازنه واخضعت البشر

---

[1] ارثر هيرمان،مصدر سابق،ص256.

[2] الفن توفلر،بناء حضارة جديدة،ترجمة:سعد زهران،(القاهرة: مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، 1996)،ص1.

لأوضاع مهينة ودمار نفسي ان الكساد الاقتصادي والبطالة والحروب العالمية والصراعات والكوارث البيئية كلها مؤشرات تعجل بالدمار النهائي للحضارة الغربية [1] اذ ان العمليات الحربية والتجارية التي تحدث عبر الآلات وثورة التصنيع وما تنتجه من أدوات اصبحت تشل البيئة وتسبب الدمار لها مما يسبب اخطاراً وازمات حقيقية على الانسان والنبات والحيوان أي الحياة الطبيعة برمتها من انتشار السموم والاوبئة والسرطانات المتنوعة جراء هذا الدمار الذي يسببه الانسان وبفعل سطوة الآلات الصناعية بحق الطبيعة التي تنبأ بكوارث وازمات قادمة الأشد فتكاً بالجنس البشري قبل غيره.

يورغن هابرماس

(**يورغن هابرماس**) (1929-) فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر كان من اشد المنتقدين للنظام الرأسمالي وخطورته على الانسان والمجتمعات ذلك بوصف هذا النظام كان الصورة العاكسة لجميع الازمات في المجتمع الأوربي المعاصر، بحيث أن الرأسمالية لم يعد مرتكزها الأساس جانب احادي اقتصادي وحسب بل ان النظام الرأسمالي بما يضمه من تبعات ممكن ان يخلق أزمات أخرى وربما يؤثر على خلق تقاليد جديدة في أجهزة الدولة والنظم المجتمعية على حد سواء اذ انه يمكن النظر الى ((الازمات على انها ذلك الشيء الدراماتيكي، ذلك الشيء الذي يمكن ان يؤدي الى ثورة او حرب، لكن تناول هابرماس يثير انتباهنا الى تلك التوترات الدائمة التي ينطوي عليها نظام ديناميكي مثل الرأسمالية، فالأزمة يمكن ان تنشأ كأزمة اقتصادية ولكنها ان لم تحل على نطاق السوق قد تنزاح باتجاه جهاز الدولة لتظهر بوصفها عقلانية))[2] ان الحريات العامة تصاب بالخلل البنيوي إزاء الازمة الرأسمالية الخانقة التي تسبب للفرد بشتى صور التضييق

[1] ارثر هيرمان، فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي،مصدر سابق،ص39-44.

[2] آلن هاو،النظرية النقدية:مدرسة فرانكفورت،ترجمة: ثائر ديب،ط1،(القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010)،ص192.

والحد من تطلعاته الإنتاجية التي تثبت وجوده، وكذلك ضغط كبير على الافراد وتحويلهم الى مجرد متفرجين في هذه الحياة او مجرد تشيؤات مكملة في البنية المجتمعية بتمظهراتها كافة، ففي ظل سيادة ((الرأسمالية الجديدة وجد هبرماس تراجع حرية الافراد بسبب تدخل الدول الرأسمالية بدواعي الازمات الاقتصادية العالمية، حتى زاد تدخلها في شؤون الافراد الداخلية وتخويفهم والتنصت على هواتفهم ومراقبة حياتهم الداخلية وصولا الى غرف نومهم وبريدهم كما يهيمن الاعلام والدعاية والاعلان على حياة الناس بهدف التلاعب بالعقول والامزجة بعد ان اقتصر نشاط الانسان على التصويت والتصفير والتهليل او المقاطعة والصمت))[1]

هامبرماس اشار الى أن القرن العشرين لم يذكر شيء يدعو للتفاؤل وان مقولات عصر الانوار عن العدالة والمساواة تلاشت وذهبت ادراج الرياح، فالتقدم العلمي لم يؤد الى العدالة وتعزيز حرية الانسان والمساواة بل ادى الى استعباد الانسان وتحويله الى خادم وتابع للآلات والشركات والحكومات، حتى الديمقراطية والانتخابات العامة التي تجري في البلدان لم تستطع تحرير الانسان من اليات الاستغلال ولم تمنحه الحرية العدالة التي يسعى لها ذلك ان السيادة السياسية والاقتصادية لألية الاستغلال الاقتصادي هي من تفرض شروطها وهيمنتها في النهاية، وان حرية الانسان وحقوقه لن يكون لها اي دور في حسابات المجتمع الرأسمالي وهذا يهدد بانفجارات تدفع الفئات المهضومة للمطالبة بحقوقها بالقوة عبر الثورات [2] وهو بهذا يشير الى الحل المتعلق بالثورة البروليتارية إزاء ما ينتجه النظام الرأسمالي من تبعات قاهرة تشكل جل أزمات الافراد العاملين في هذا النظام، ابتداء من الأجور وانتهاء بسلوب هوية الفرد العامل، ولا يمكن استرجاع هذا

---

[1] اشرف منصور،مدرسة فرانكفورت،مجلة اوراق فلسفية،(مصر)،العدد7، الجزء 2،ص260.نقلا عن علي حسين الجابري،الانسان المعاصر بين غروب الحضارة واغترابه: دراسة في جدلية الخوف،ط1،(عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2005)،ص209.

[2] ينظر:هابر ماس يورغن،الحداثة مشروع ناقص، ترجمة: بسام بركة،مجلة الفكر المعاصر،(بيروت)،منشورات مركز الانماء القومي، العدد 39، لسنة 1986،ص46-96.

الحق والحرية والاستقلال للأفراد العاملين الا عبر الثورة ضد هذا النظام الذي يمارس سطوته على الافراد على المستوى المعيشي (الاقتصادي) والانسان من خلال فرضه لسيادته على علاقات المجتمع البروليتاري مع منظومة العمل، اذ ان الازمات المالية تركت تبعاتها بصورة جوهرية على الطبقات المسحوقة بصورة اكثر تجذراً وعمقاً لمفهوم الازمة، ناهيكً عن تحمل هذه الطبقة لكل الازمات التي تنتجها أنظمة الدولة والمجتمع على المستوى الاقتصادي والاجتماعي وحتى السياسي،لذا يقول هابرماس ((اكثر ما يؤرقني في الازمة المالية هو الظلم الاجتماعي الجائر الذي يتجلى في ان المجتمعات الاضعف والاكثر حماسة للأضرار في المجتمع هي التي تتحمل العبء الاكبر من التكاليف الاجتماعية لخيبات النظام واخطائه))[1]

كما تحدث هابرماس عن الازمات في الدولة الرأسمالية الحديثة معللا ان الشرعية في هذه الدولة نتجت كأزمة سياسية من خلال أزمات اقتصادية واجتماعية تراتبية سبقت ازمة المشروعية السياسية ومن هذه الازمات ميز بين ثلاث أزمات رئيسية اولها الازمة الاقتصادية التي تؤدي الى الصراع بين العمل وراس المال وهي أزمات في صلب النظام وما ازدياد قوة الدولة وتدخلها الا استجابة لهذه الازمات ومحاولة السيطرة عليها...ازمة العقلانية: وهي الازمة الناتجة عن زيادة تدخل الدولة من اجل حل الازمات الاقتصادية وذلك عبر الاقتراض الدائم من اجل تأدية وظائفها...وبكلمة أخرى يقصد بالعقلانية كأزمة عدم قدرة التخطيط والضبط والترشيد في حل الازمات الاقتصادية. ازمة الشرعية: تنبثق من عجز الدولة عن إيجاد السبل الكفيلة للتوفيق بين المصالح المتضاربة بين مواطنيها الذين تحكمهم والتي بموجبها تفقد الدولة مشروعيتها في اعينهم....ازمة الدافعية: اذ امكن احتواء ازمة العقلانية على مستوى النظام السياسي الفرعي حينئذ يتغير مشهد الازمة وينتقل الى النسق الثقافي والاجتماعي ليظهر بشكل

[1] اسهوير توماس،يورغن هابرماس لمحة موجزة مختصرات من رسالة الدكتوراه، مجلة دوتشلند،(المانيا)، العدد4، اغسطس-ايلول،2009،ص23.

جديد يتمثل في ازمة الدافعية والتي هي نتيجة لازمة الشرعية اذ يصبح المواطنون غير مقتنعين بالنظام وعليه يتضاءل الدافع للمشاركة السياسية مما يشكل ازمة بنظر النسقين الاجتماعي والسياسي [1] ان الازمة التي تنتج عن تخلخل الوضع الاقتصادي ليست بأكثر حدية من تلك الازمات التي تتعلق بالتدخل الذي تجريه الدولة لتلافي تلك الازمات عبر نظمها المالية حسب مفهوم الاقتراض لإطفاء الازمات المالية والذي قد يوقعها مرة أخرى بأزمة المديونية، والتي تشيء بالفوضى بالتخطيط وحسن إدارة ملف الازمة الاقتصادية، وهو ما قد يوصل الدولة الى فقدان توازنها ووجودها بعد ان تضعف ثقة مواطنيها بهذه الدولة التي لم تعد قادرة على تلبية متطلبات أبنائها، وهو الامر الذي ينعكس بصورة مباشرة على الوعي الجماهيري بشكل النظام هذا وقدراته على إدارة ملف ازماتهم مما يولد القطيعة او حتى الثورة والتمرد الاجتماعي والسياسي والثقافي على شكل هذا النظام.

وكانت لهابرماس أراء صريحة عبر تصريحات اعلامية ومقالات نشرها مؤخراً تتعلق بأزمة الهجرة من الشرق الى اوربا ولاسيما المانيا، واشار ان اللجوء حق من حقوق الانسان، وينبغي ان يتم التعامل مع اللاجئين السياسيين بأنصاف، كما لم تغب عنه الازمات السياسية المعاصرة ومنها الازمة الأوكرانية على الرغم ميله الى الجانب الاوكراني في الازمة (الروسية-الأوكرانية) الأخيرة، الا انه كذلك دعا الى الالتزام ببدء مفاوضات

[1] ينظر: إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس،ترجمة: د. محمد حسن غلوم، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999)،ص315-316.وينظر كذلك:ينظر:عطار احمد،تجديد العقل الانواري عند يورغن هابرماس: قراءة نقدية للايدلوجية الليبرالية المعاصرة، اطروحة دكتوراه غير منشورة، بأشراف الدكتور محمدي رياحي رشيدة، (الجزائر: جامعة وهران: كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، 2011)،ص 146.

السلام على الفور بهدف التوصل إلى حل وسط يحفظ ماء الوجه للطرفين وان أوكرانيا يجب ان لا تخسر الحرب حسب زعمه [1]

جاك دريدا

اما الفيلسوف الفرنسي (**جاك دريدا**) (1930- 2004) فقد انتقد الازمات الاقتصادية التي تفتعلها البلدان الاوربية، وبخاصة على طريقة شن الحروب الاقتصادية المتواصلة ومحاولة اللعب على وتيرة عصب الحياة في تلك البلدان الا وهي الجوانب الاقتصادية، مما يجعل هذه الازمة الاقتصادية هي بؤرة إحلال الازمات الأخرى المتمثلة في الحروب المتنوعة التي تنشأ بين تلك البلدان بعد ان تبتدأ بالجانب الاقتصادي اذ ان ((الحرب الاقتصادية التي تشنها بلا هوادة بلدان المجموعة الاوربية هي نفسها فيما بينها وكذلك بينها وبين بلدان اوربا الشرقية وبينها وبين الولايات المتحدة واليابان، وان هذه الحرب تقود كل شيء، بدءا بالحروب الاخرى، ذلك لأنها تقود الى تأويل عملي وتنفيذ بلا منطق وغير متساوي للقانون الدولي))[2] وهذه الحروب الاقتصادية التي تشكل أزمات حقيقية تكون بصور مختلفة منها فرض الحصار البحري، ومحاولة اضعاف البلدان الاخرى اقتصاديا او حتى شن الحملات المعلوماتية والتقنية ازاء تحطيم اقتصاد البلدان الاخرى، وبخاصة في حالة اشتعال فتيل النزاعات السياسية والحروب تتجسد صورة الحاق الضرر بالاقتصاد وسيلة مباشرة الى اندلال الازمات بدرجات متقدمة لا يمكن نزع فتيلها بسهولة وقد تصل الى الاصطدام العسكري بين الاطراف واحداث العقوبات الاقتصادية او تجميد الاموال وحظر الاستثمار وايقاف خطوط الامدادات وغيرها من الاساليب.

وفي حديثه عن أزمة الإرهاب وتأثيراتها على العالم فادعى دريدا ان تفكيك مفهوم الارهاب هو بالفعل المسلك الوحيد والمسؤول اذ ان الاستخدام العام لهذه الكلمة

---

[1] يورغن هابرماس، الحرب والغضب، ترجمة: أ. د عمر عبد الجبار محمد احمد، صحيفة Süddeutsche Zeitung،(المانيا)، نشر في 29 أبريل 2022.

[2] جاك دريدا، اطياف ماركس،ترجمة:د. منذر عياشي،ط2، (حلب: مركز الانماء الحضاري، 2006)،ص157.

((يظهرها كما لو ان مدلولها واضح بذاته، الامر الذي يجعلها تخدم قضية الارهاب على نحو غير مباشر، ويقوم مثل هذا التفكيك لمصطلح الارهاب الذي يظهر كأنه بديهية، على تبيان ان ضروب التمييز التي نفهم في اطارها معنى مصطلح الارهاب مثقلة بالمشكلات، فليست الحرب من منظوره هي المسؤولة الوحيدة عن ترهيب المدنيين، او الوحيدة التي تنطوي على عناصر الارهاب، اذ لا يمكن الفصل على نحو صارم بين مختلف انواع الارهاب، اي ارهاب الدولة والارهاب المحلي او العالمي))[1] ان الحديث عن مفهوم الإرهاب وفقاً لدريدا يقود الى معنى مقاومة لإرهاب سابق وان الحرب على الإرهاب هو حرب على الداخل لان المجتمعات الأوربية غالباً ما مارست الحروب والاستعمار لبلدان مختلفة، اذ ربما يكون هذا الإرهاب عبر الدولة كما حصل بعد الثورة الفرنسية لذلك يرى من الصعب التفريق بين الارهاب والحرب وبين ارهاب الدولة واللا دولة، وبين الارهاب وحركات التحرر، والارهاب القومي والدولي،وهو ما يجعل عملية تفسير ازمة الإرهاب بالمعقدة نتيجة الفهم السطحي السائد لهذا المصطلح والذي لا يذهب الى التعمق بالمعاني الحقيقية لهذه الازمة ومعطياتها.

برونو لاتور

الفيلسوف الفرنسي والأنثروبولوجي (**برونو لاتور**) (1947-2022) احد رموز الفكر البيئي والذي ربط الفلسفة بالبيئة والذي كان يؤكد على ان تغير المناخ وجائحة كوفيد كشف عن وحشية الصراع بين الطبقات الجيو-اجتماعية، فقد أشار الى ان ((ازمة كورونا ما هي الا بروفة لكارثة التغير المناخي القادمة التي ستكون الازمة التي ستستعيد

[1] جيوفانا بورادوري،الفلسفة في زمن الارهاب: حوارات مع يورغن هابرماس وجاك دريدا،ترجمة:خلدون النبواني، ط1،(بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013)،ص27.

تشكيل ظروف المعيشة على الكوكب وستكون بمثابة التحدي لنا جميعاً، بالإضافة الى جميع تفاصيل الحياة اليومية التي سيتوجب علينا التعامل معها بحذر شديد"[1]

سلافوي جيجك

اما الفيلسوف السلوفيني المعاصر (**سلافوي جيجك**)(1949-) فقد قدم افكاره عن الازمة الوبائية وبالتحديد كوفيد-19 وربطها بالأنظمة السياسية وكيفية التعامل مع هذه الازمة، وقد تحدث عن ازمة الجائحة في خضم تفشي الازمة مقدماً الحلول لإدارة هذه الازمة، وكان اول ما أشار له علاقة هذه الازمة الوبائية (بأزمات أخرى) على المستوى النفسي والاجتماعي والاقتصادي، فجائحة كورونا لها "تأثيرها الصحي المباشر الحجر والمعاناة والموت، وتأثيرها الاقتصادي الذي سيكون اسوا في اوربا لان القارة بأكملها تعاني من الركود ولأنها تعتمد اكثر من غيرها على الصادرات والواردات"[2] وهذه الازمة الوبائية من نوع الازمات المركبة التي تحمل معها أنماط أزمات أخرى لا تقل خطورة واهمية عن الازمة الرئيسة آنذاك، اذ في ظل الازمة الوبائية تحدث الفوضى في العديد من قطاعات المجتمع وبخاصة في الازمة الوبائية الأخيرة كنا "عالقون في ازمة مكونة من ثلاث أزمات: طبية "الوباء ذاته"، اقتصادية والتي ستصيبنا اياً كانت نتائج الوباء، ونفسية الاحداثيات الأساسية لحياة الملايين من سكان الكوكب تتعرض للتفكك"[3] ليس هذا وحسب بل ان جيجك يرى ان أنماط الازمات المتصلة قد اتضحت سماتها في الازمة الوبائية الأخيرة وذلك عبر حضور (ازمة تتعلق بجانبها الفكري) لترافق الازمة الوبائية، اذ حسب سلافوي جيجك فان "الانتشار الحالي لوباء كورونا تسبب في اطلاق وباء اخر من الفيروسات الأيديولوجية التي كانت مخبأة في مجتمعاتنا: الاخبار المزيفة، نظريات المؤامرة، تفشي

---

[1] سلافوي جيجك،الجائحة: كوفيد-19 يهز العالم،ترجمة: محمد الضبع،ط1، (الكويت: دار كلمات للنشر والتوزيع، 2020)،ص89-90.

[2] المصدر نفسه ص30-31.

[3] المصدر نفسه، ص74.

العنصرية، الحاجة الملحة لحظر التجول والبقاء في المنزل وجدت لها صدى في الضغوط الأيديولوجية التي تنادي بوضع حدود واضحة وحجر الاعداد الذين يشكلون خطراً على هويتنا"[1] وكل هذه الفيروسات التي تتصل بطريقة تفكير المجتمعات في التعاطي مع الازمة، وبالتالي يحدث ان تكون ردات الفعل المجتمعية وحتى المؤسساتية في بنيتها الأساس (ازمة من نوع اخر) تتصل بطريقة التفكير والتعاطي مع مشكلاتهم اليومية. ان رؤية جيجك تقوم على شيوعية الكارثة ضد رأسمالية الكارثة والدعوة لنظام عالمي موحد (تشترك البلدان فيه بحل ازماتها)، وخاصة بعد موجة العولمة ومفهوم القرية الواحدة، فهو يرى انه كلما "اصبح العالم متصلاً ببعضه تحولت الكوارث المحلية الى أزمات عالمية"[2] ويستحسن هذا الفيلسوف طريقة المساعدة والتنسيق الذي شهده العالم في حقبة تفشي ازمة الوباء بطريقة كبيرة وحمل الحكومات المسؤولية الكاملة عن إيجاد مثل هذا التنسيق وتقدمه لتلافي الازمات المستقبلية اذ يرى ان "خطر العدوى الفيروسية أدى الى تضامن محلي وعالمي لا مثيل له، واصبح من الضروري وجود اليات تضمن تنسيق الجهود للتحكم بالأزمة، ومن حق الشعوب ان تطالب حكوماتها بتحمل المسؤولية، لديكم السلطة ارونا ما يمكنكم فعله لحل الازمة"[3] كما يحذر جيجك من أزمات ضمن ذات الاطار الوبائي والبيئي ستشكل التهديد الحقيقي لمستقبل البلدان، وهو يدعو من الان لزيادة التنسيق العالمي بين البلدان كما حصل في اوج جائحة كورونا لغرض تفادي الازمات المستقبلية اذ اننا "لا نتعامل فقط مع تهديدات فيروسية بل ان كوارث أخرى تحوم حولنا: الجفاف، موجات الحر، العواصف الفتاكة، والقائمة تطول، في كل هذه الحالات لا تكمن الإجابة في الهلع بل في العمل العاجل لتأسيس نوع من التعاون والتنسيق العالمي"[4]. واخيراً يقدم جيجك رؤية متطرفة بعض الشيء وتبتعد عن

[1] المصدر نفسه،ص36.

[2] المصدر نفسه،ص48.

[3] المصدر نفسه،ص64.

[4] المصدر نفسه، ص39.

الجانب الإنساني في التعامل مع الازمات، ورغم ايمان المجتمع الغربي بهذا ألتوجه وبعض الفلاسفة والحكومات لمحت الى هذا الخيار على انه خيار منطقي وليس عاطفي، ومازالت حتى الان تحوم نظريات المؤامرة حول هذا الخيار الا وهو تقليص عدد السكان لتلائم الموارد المتاحة وذلك بالتخلص من غير المفيدين على وجه المعمورة، فجيجك يقول ((ومن وجهة نظر متشائمة ساخرة بإمكاننا النظر الى فيروس كورونا على انه عدوى مفيدة ساعدت البشرية على التخلص من المسنين، الضعفاء، والمرضى))[1] ورغم اتسام هذا الحل بجوانب تنعدم فيها المثل الاخلاقية والافتقار الى القيم الإنسانية، الا ان العديد من الغربين رددوا هذا الحل وامنوا به من اجل التمتع العادل والمريح للثروات والموارد الموجودة على الكرة الأرضية لذا بقي هذا الحل كهاجس يدور في اذهان مجتمعات العالم الثالث من البلدان النامية.

يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما

الفيلسوف والاقتصادي الامريكي الياباني (**يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما**) (1952-) أكثر من كان يبشر بالأزمات التي تؤثر على حياة الناس، وبخاصة الديمقراطيات والرأسمالية والسوق الحرة التي كان يراها نقطة النهاية للتطور الاجتماعي والثقافي للإنسان، وهو فيلسوف فر من الحرب الروسية اليابانية عام 1905، ولم يتوان في اغلب الازمات من طرح اراءه الفلسفية المعاصرة، ومع انهيار النموذج الماركسي اللينيني للديمقراطية الذي كان سائدا من خلال المعسكر الشرقي بدأ الانموذج الليبرالي الغربي يأخذ وظيفة حقيقية في العالم من خلال ظهور نظريات تبشر بانتصار الحضارة الغربية ووجوب تعميها لتشمل العالم اجمع كمقولة نهاية التاريخ التي جاء بها فرانسيس فوكوياما والتي اثارت المخاوف كونها صدرت من جهة معتمدة داخل الولايات الامريكية لتعبر بذلك عن السياسة الامريكية المستقبلية التي تتميز بالعداء الشديد للعديد من البلدان

[1] المصدر نفسه، ص59.

ومحاولة اقصائها من خارطة العالم، واخذ الدور الأحادي المرتبط بتغيير موازين القوة وإرادة الهيمنة على الاخر مما ولد أزمات كبرى بين تلك البلدان النامية وبين مركزية الانموذج الغربي[1] ان البلدان المنهزمة والتي عانت الازمات المختلفة مابعد الحرب انما التجأت لهذا الشكل الجديد من النظام لانه يفرض السلطة والسطوة الشمولية الكاملة على أوجه الحياة الإنسانية بطابع سياسي يمكن تلك الأنظمة من بسط سيطرتها على اشكال حياة الانسان الأوربي، لذا يرى فوكاياما ان الازمات تتشكل وتنمو ليست بالعارض وانما تولد من ((الاحداث السياسية الرهيبة حقا التي جرت في النصف الاول من القرن العشرين: حربان عالميتان مدمرتان بشكل مخيف، مصير الايدولوجيات التوليتارية وتحول مسار العلم ضد الانسان تحت شكل الطاقة النووية وتدمير البيئة، ان التجارب التي عاشها ضحايا العنف السياسي بدءا من الذين نجوا من النازية والستالينية وصولا الى الذين انقذوا من مجازر بول بوت....فنحن في الواقع ننتظر متيقنين اي يحمل لنا المستقبل انباء كارثية حول سلامة وامن السياسيات الديمقراطية))[2] ان بسط الأنظمة الشمولية الدكتاتورية سيطرتها شكل صورة من صور تمخضات الازمة الكبرى هناك في اوربا مما جعل تلك الازمة تتناسل وتتشظى على شكل سلوكيات وقرارات جائرة من تلك الانظمة الدكتاتورية التي أسهمت بالمزيد من الازمات في حياة المواطن الأوربي ويتصدرها بالتأكيد اكثر الأنظمة التي عاش فيهما الانسان مأزوم وهما الحقبة الستالينية والهتلرية، والتي ارجئت فيما بعد العديد من الازمات التي يدفع ثمنها المواطن الأوربي والأنظمة الحاكمة هناك نتيجة ما خلفته تلك الأنظمة من اخطار تهدد الحياة الإنسانية بصورها المستقبلية بخاصة ما استخدم من أسلحة خلال تلك الحروب الطاحنة.ان الازمة الكبرى لا تشيء الا بأزمات من نوع جديد ربما تتناسل او تخلق أزمات أخرى على مستوى اكبر،

---

[1] يحيى البشتاوي، ازمة الانسان في الادب المعاصر،مصدر سابق، ص51.

[2] فرانيس فوكياما، نهاية التاريخ والانسان الاخير،ترجمة: د.فؤاد شاهين، د.جميل قاسم، رضا الشايبي،(بيروت:مركز الانماء القومي، 1993)،ص24-25.

وهذا ما حصل بالتحديد بعد الازمات الاقتصادية التي اجتاحت اوربا في زمن الكساد الاكبر، اذ ان الفيلسوف الامريكي فرانسيس فوكوياما يرى ان ((الازمات الكبرى قد تنذر بعواقب وخيمة، وغير متوقعة في الغالب، فأزمة الكساد الكبير التي حصلت في بدايات القرن العشرين كان من تبعاتها انها حفزت النزعات القومية والفاشية والانعزالية وكان من نتائجها نشوب الحرب العالمية الثانية وبزوغ نجم الولايات المتحدة كقوة عالمية عظمى))[1] فهذه الازمة لم تنبأ بحلول عملية يمكن نزع فتيلها وانما ولدت لنا ازمة كبرى وهي قطبية الولايات المتحدة الامريكية التي أضيفت كلاعب جديدة على الساحة الاوربية يسهم بصورة فعلية فيما بعد بخلق المزيد من الازمات هناك او حتى على مستوى البلدان النامية ودول العالم الثالث، ناهيك عن تفعيل الفاعل القومي والفاشي لكي يحطم بهذه الهويات الجديدة وبسط رؤاه الشمولية على كل صور الحياة هناك، مما ولد أزمات حقيقية للأفراد لم يتخلصوا منها الا بعد سنوات طويلة من هيمنة هذه الأنظمة على مقاليد الحكم، والتي خلفت وراءها الملايين من القتلى ومشاهد الموت المجاني والذي تبقت تبعاته حتى اللحظة في شكل الحياة الاوربية، وكل تلك الفوضى وما خلفته من أزمات أوصلت الانسان الأوربي الى أزمات مختلفة تبني علاقته بشكل الأنظمة الدكتاتورية وكذلك بشكل تعاملاته اليومية مع الحياة (وشيوع ظاهرة الاستهلاك السلبي والانعزالية) وحتى المخاطر والأزمات التي باتت تهدد كيانه ووجوده ومنها الأسلحة النووية والحروب المتواصلة والاوبئة البيئية المختلفة التي تعد نواتج لكل ما جرى في الحقب التي سبقت هذا التأزم الكبير في العالم، لذا فوكوياما يقول: ((لقد علمتنا تجربتنا الذاتية على ما يبدو ان المستقبل يخفي مؤامرات جديدة لا يمكن تصورها اكثر مما يخفي شيئا اخر، بدءا من

---

[1] داود سلمان حسن، الوباء وتمثلاته في التشكيل العراقي المعاصر: كورونا انموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، بإشراف الاستاذ الدكتور تحرير علي، (جامعة البصرة: كلية الفنون الجميلة، قسم الفنون التشكيلية، 2021)، ص22. وينظر كذلك: منصور ابو كريم، تساؤلات مستقبل دور الدولة والاقتصاد الحر في ضوء جائحة كورونا، مجلة جدل، الصادرة عن المركز العربي للدراسات الاجتماعية والتطبيقية، العدد38، تشرين الثاني 2020،ص9.

الدكتاتوريات المتعصبة، والمذابح الدامية وصولا الى جعل الحياة مبتذلة بواسطة الاستهلاك الحديث لم يسبق لها مثيل تنتظرنا، ابتداء من الشتاء النووي وانتهاء بالسخونة العامة للكرة الارضية، ان تشاؤم القرن العشرين يتعارض بشل قوي مع القرون السابقة»[1] فهو يرى ان الأنظمة الشمولية انما استغلت التقنيات الحديثة والثورة الصناعية لفرض هذا التطور والتقدم على إرادة المجتمعات والشعوب كافة من خلال استخدامه عبر الأسلحة المتطورة، والوسائل التي رافقتها والتي منحتها نوع سلطوي جديد قائم على شكل من اشكال الحداثة التي باتت تفرض شكلها القبيح على الافراد هناك عبر توظيفها من خلال الأنظمة الدكتاتورية الشمالية في محاولة السيطرة على كل مفاصل الحياة، ففوكوياما هو يرى ان ازمة الحرب العالمية الاولى كانت مقدمات لازمات قادمة، فاذا كان العلم الحديث قد سمح بصنع اسلحة مدمرة كالرشاش والقنابل والقاذفات، فان السياسة الحديثة خلقت شكل دولة ذات سلطة لم يكن لها مثيلا وهي التي دفعت الى نحت الكلمة الجديدة للتوليتارية، فالدولة المنتمية الى هذا النوع تستند الى دعم فعال وقوي لمحاولة السيطرة على اوجه الحياة الانسانية، والعالم فالمذابح التي اقترفتها الانظمة التوليتارية في المانيا الهتلرية وروسيا الستالينية لم يسبق لها مثيلا في التاريخ البشري، ولم يكن ممكنا حدوثها الا بواسطة الحداثة، فان هتلر وستالين وضعا التقنية والتنظيم السياسي الحديث في خدمة مكامن الشر واشعال الازمات حول العالم، فالحروب التي اشعلتها التوليتاريات كانت تحمل الدمار الشامل للشعوب وتحطيم مواردها الاقتصادية والبشرية [2] وهذا ما حصل بالضبط فالبلدان التي خرجت من الحروب لم تخرج الا بالمزيد من المأسي الإنسانية والأزمات المجتمعية والاقتصادية، فهي مجتمعات وبلدان محطمة خارجة أسيرة لازمات بقيت ملازمة لها حتى حقبة مابعد الحروب نتيجة التبعات والاثار الكبيرة التي تركتها هذه الأنظمة الشمولية على أوجه

[1] فرانيس فوكياما، نهاية التاريخ والانسان الأخير، مصدر سابق، ص37-38.

[2] المصدر نفسه، ص39.

الحياة كافة، مما انتج الاغتراب الحقيقي والتشاؤم إزاء تلك التأزمات التي باتت تضرب بنية البلدان المتناطحة والمتصارعة والتي تقع فيما بينها أزمات الحروب وتخلف الكثير من الخسائر والمخاطر على حياة مجتمعاتها، وهذه الرؤية والنتائج لم تنعكس على ماض تلك المجتمعات والبلدان وحسب بل حتى على الحقب الزمنية التي تلت ذلك اذ ان التشاؤم الحالي نشأ من ((ازمتين متميزتين ولكنهما متوازيتان: ازمة القرن العشرين السياسية والازمة الفكرية للعقلانية الغربية، فالأزمة الاولى اهلكت عشرات الملايين من الاشخاص واجبرت مئات الملايين الاخرين على العيش تحت اشكال جديدة اكثر قساوة من العبودية، اما الازمة الثانية فتركت الديمقراطية الليبرالية دون الموارد الفكرية الضرورية للدفاع عن نفسها، والازمتان كانتا مرتبطتين ولا يمكن فهمها بشكل منفصل فمن جهة جعل النقص في التوافق الفكري الحروب والثورات في عصرنا اكثر ايديولوجية وبالتالي اكثر عنفا مما كان يجب ان تكون عليه))[1] أي ان المواطن الأوربي في تلك البلدان لم يكن أسير ازمة الحروب القاسية انما كان هو الاخر واقع تحت تأثير الأنظمة التي تمخضت عن تلك الحروب فيما بعد فوقع تحت طائلة الازمة الفكرية التي يقاسيها جراء تسلط الأنظمة الجديدة على موارده المختلفة في الحياة، وجراء تسلط الأيديولوجيات الجديدة التي لا تقل عنفاً عن سابقاتها من الأنظمة التي كانت تحطم واسهمت بازدياد صور الازمة في حياة المجتمعات، وهو ما جعل المواطن الغربي يستمر بمناهضة الأنظمة الحاكمة منذ بدايات القرن العشرين وحتى اللحظة والتي لم تلب كل طموحه في مواجهة قساوة الحياة وصعوباتها الاقتصادية والاجتماعية، فالأنظمة الحاكمة هي جزءاً كبيراً من الازمة كما يرى فوكوياما، لذلك ان الازمة الاقتصادية التي وقع فيها الاتحاد السوفيتي نهاية الثمانينات من القرن التاسع عشر جعلته يواجه صعوبات اقتصادية خطيرة،ولكي نفهم الازمة الحقيقية للدولة السوفياتية آنذاك فان ((المشكلة الاقتصادية يجب ان توضع في سياق ازمة اكثر اتساعا وهي ازمة شرعية النظام بمجمله، فالفشل الاقتصادي لم يكن

[1] المصدر نفسه،ص43-44.

سوى واحد من اشكال الفشل المتعددة للنظام السوفياتي"[1] أي ان الازمة الاقتصادية حسبما يرى فوكوياما، انما هي نتيجة ازمة عامة للنظام الحاكم في الاتحاد السوفياتي آنذاك، وهي ذات الإشكالية التي وقع فيها النظام الفاشي الحاكم في المانيا في ذلك الوقت والتي لم تجلب لمجتمعاتها سوى المزيد من الازمات المستفحلة والمتنامية. فعادة ما تخلف الازمات الكبرى عواقب وخيمة وغير متوقعة وهذا غالبا ما أشار له فوكوياما بخاصة في ظل الازمات المعاصرة ومنها الازمة الوبائية، فعلى الصعيد الاقتصادي إن الأزمة التي طال أمدها ستعاني المزيد من الإخفاقات والدمار في قطاع الأعمال لصناعات مثل مراكز التسوق، وسلاسل البيع بالتجزئة، والسفر، وقد ظلت مستويات تركز السوق في الاقتصاد الأمريكي ترتفع بشكل مضطرد لعقود؛ لكن الوباء سيدفع هذا الاتجاه إلى أبعد من ذلك. ولن يتسنى إلا للشركات الكبيرة ذات رؤوس الأموال الضخمة أن تخرج من العاصفة، مع مكاسب لعمالقة التكنولوجيا أكثر من أي مجال آخر؛ اذ أصبحت التفاعلات الرقمية أكثر أهمية من أي وقت مضى، قد تكون العواقب السياسية أكثر أهمية، ويمكن استدعاء الشعوب للقيام بأعمال بطولية تتسم بالتضحية الجماعية بالذات لمدة من الوقت، كما إن استمرار انتشار وباء كورونا إلى جانب فقدان الوظائف بشكل كبير، والركود طويل الأمد، وعبء الديون غير المسبوق، سوف يخلق حتماً توترات تتحول إلى رد فعل سياسي عنيف،وعلى مدى السنوات القادمة، قد يؤدي هذا الوباء إلى انحدار نسبي للولايات المتحدة، واستمرار تآكل النظام الدولي الليبرالي، وعودة الفاشية في جميع أنحاء العالم [2] أي ان فوكوياما يركز على شكل الأنظمة في مجابهة الازمات وليس على شكل الازمة ذاتها، فهو غالبا ما يوجه النقد لكيفية إدارة الازمات من قبل الأنظمة الحاكمة، كما اسلفنا مع الأنظمة الألمانية والسوفيتية وأخيرا الامريكية، فالأزمات الكبرى

[1] المصدر نفسه،ص58.

[2] فرانيس فوكاياما، الوباء والنظام السياسي، ترجمة: كيوبوست، مجلة Foreign Affairs،(امريكا)، https://www.foreignaffairs.com/articles/world/2020-06-09/pandemic-and-political-order.

بحتمية لا جدال فيها تخلف وراؤها العديد من الازمات الصغرى التي قد تشل حياة الانسان وتخلف فوضى عند الجماعات قد تأخذ شكل الاحتجاج او محاولة المساس بشكل النظام الحاكم، لاسيما اذ ما كانت تلك الازمة كأزمة الوباء الأخيرة قد ضربت كل أوجه الحياة اليومية والحقت الخسائر المادية والمعنوية بالمجتمعات المختلفة ولاسيما التي تعيش في ظل الأنظمة التي تدعي الحماية والقوة ولكنها لم تصمد طويلاً إزاء تلك الازمات ومؤثراتها.

كزافييه بافي

الفيلسوف الفرنسي (**كز افييه بافي**) (1954-) تحدث عن الازمات الصحية مسترشداً بفلسفة القبول لدى الرواقيون والابيقوريون والمتشائمون، فهذه المدارس لا تعمل بالتعجيل على ازالة الامراض بل تتقبلها وتتعاطى معها، وأشار هذا الفيلسوف الى الفضائل الأربع الأساسية التي كان يمتلكها الرواقيون اذ يرى انه يمكن وضعها في منظور السياق الحالي للازمة ((الاول هو الحكمة، وهي معرفة كيفية الترحيب بما يحدث بهدوء وسكينة، لا تبحث عن شخص تلومه ولا تنزعج، البعد الثاني هو العدالة على سبيل المثال كيفية التفاعل مع الاخرين والتعليم وضرب المثل واحترام التعليمات، المحور الثالث هو الاعتدال مرة ارى يتعلق بالأمر بعدم الاستسلام لذعر الشراء والتحكم في دوافعك، والاعتدال في متعك على سبيل المثال عدم محاولة المغادرة لشراء ماهو غير ضروري، البعد الرابع هو الشجاعة لاتخاذ قرارات غير سارة لتقرير ماهو جيد للصالح العام ولديك الشجاعة لتغيير عاداتك))[1] يرى بافي ان تلك الفضائل الرواقية قد تم تطبيقها خلال ازمة تفشي وباء كوفيد في بلدان العالم اجمع، وهي في الوقت ذاته احدى اهم الطرق والأساليب لإدارة هذه الازمة، عن طريق تقبل ما يجري من ازمة مميتة، والتفاعل مع الاشتراطات والقوانين التي وضعت خلال الازمة من خلال الحكومات

[1] د.زهير الخويلدي،مصدر سابق،ص105.

والمنظمات المعنية بإدارة هذه الازمة، فضلاً عن ضرورة التحكم باستهلاكية الفرد وعدم الذعر من الازمات وزيادة الطلب على السلع بصورة مفرطة مما يولد ازمة أخرى تتعلق بالجانب الاقتصادي وارتفاع أسعار السلع والخدمات خلال هذه الازمة، أي التحكم بالقدرة الشرائية لما هو ضروري وحسب والعمل على تغيير بعض العادات اليومية للتعاطي مع هذه الازمة واتخاذ قرارات تتصف بدافع الاعتدال في كل شيء حتى على مستوى تحقيق رغباتك وتلبية احتياجاتك الذاتية، وتقديم المصلحة العامة على المصالح الشخصية للأفراد بحيث ممكن عبور هذه الازمة عبر هذه السمات التي تعد من أساليب إدارة الازمة الوبائية بما فيها من رؤية رواقية قديمة وبما تتضمنه من أسقاطات فلسفية معاصرة تتصف بالجانب الروحي لدى الفيلسوف باني ورؤيته الخاصة للتعاطي مع ملف الازمة الوبائية.

جوديت بتلر

الفيلسوفة الامريكية المعاصرة (**جوديت بتلر**) (1956-) تحدثت عن الازمات الوبائية واثرها على اسئلة العدالة والمساواة الاجتماعيتين وذهبت الى ان الاوبئة المستجدة بما هي واقعة طبيعية لا تمتلك القدرة على التمييز بين الاغنياء والفقراء غير ان الموازين الاجتماعية والاقتصادية الظالمة التي تتأسس عليها المنظومة الحياتية المعاصرة تكون سببا رئيسا في حمل المرض على فعل التمييز وجعل الفقراء عرضة للموت اكثر من غيرهم، وهذا يشد انتباهنا الى عطب بنيوي في النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي نعيش في كنفه، بوصفه منتج للظلم واللامساواة ويدعونا للتفكير في النظام القائم كله، عبر توفير مساحات تفكير في قيمة الحياة خارج تحديات النظام الرأسمالي ومن خلال تحديد قيمة مادية لحياة الانسان وعدم ترك سلطة القرار الى السوق الحرة والتي

تستغل الانسان وازماته [1] أي ان الازمات الوبائية الأخيرة ورغم أهمية كونها يجب ان تمتثل الى نظام المساواة في التعاطي مع المتضررين من هذه الازمة، الا ان الموازين التميزية لم يكن في حسبانها هذه المساواة الا بدرجات نسبية قليلة، بحيث اصبح علاج الوباء يباع بمبالغ لا يمكن دفعها من الطبقات الفقيرة، وهو يدعو الى التمييز ما بين طبقتي الأغنياء والطبقة المسحوقة، وهو ما يشيء باستغلال مثل هذه الازمات للتكسب وتحويل الازمة الى مكاسب مادية تكون خلالها العلاجات التي تقف إزاء ازمة الوباء مجرد سلع وعرضة لمبدأ الربحية في الأسواق، وهو الامر الذي يمثل أهمية كبرى في إعادة النظر ببنية الأنظمة الاجتماعية وتفكيك سطوة القرار للأسواق على حساب وجود الأفراد وأحتياجاتهم بخاصة خلال الازمات.

[1] عمر المغربي،ماذا قال الفلاسفة حول جائحة فيروس كورونا، مجلة (تبيُّن)،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا، (الدوحة)، المجلد التاسع،العدد 35، شتاء 2021، ص168-169.

الفلسفة الغربية وأزمة نظامي الرأسمالية والاشتراكية:

وفقاً لما تقدم من اراء الفلاسفة والمفكرين فان النظام الرأسمالي والاشتراكي كانا اقطاب الازمات وتجاذب الصراعات في المجتمع الأوربي، وذلك لانقسام المجتمع الأوربي على هذين التوجهين وما خلفتا من معاناة على مستوى الافراد والمجتمعات، اذ ان ((اتساع السياسات الرفاهية في المجتمعات الغربية يعود سببه الى ان الرأسمالية قد عمدت الى ابعاد الازمة من المركز الى الضواحي، وبعبارة اوضح انها نقلت الازمة من مجتمعاتها الى البلدان المعروفة ببلدان العالم الثالث))([1]) هذه أولى الازمات التي ممكن تشخيصها على مستوى النظام الرأسمالي وذلك بصناعة وافتعال العديد من الازمات ونقلها الى بلدان العالم الثالث او البلدان النامية، بمعنى اخر ان ارتداد مثل هذه الازمات كانت تلقي بظلالها الواضحة على المجتمعات الغربية، حتى وان كان النظام الرأسمالي يحاول ان يبعد بالأزمة قدر المستطاع عن مركزيته الغربية، ناهيك عن الاسهام الكبير لهذا النظام بترسيخ ازمة الاستهلاك في تلك البلدان ليس على المستوى الاقتصادي وحسب بل حتى على مستوى الاستهلاك الثقافي، ((فالرسمالية من منظور ثقافة الاستهلاك ليست ببساطة نظاما اقتصاديا انما هي نوع من الثقافة يسخر فيها كل شيء للترويج للاستهلاك))([2]) وهو ما حاولت الرأسمالية على امتداد سنوات طويلة لترسيخه في تجارب البلدان الأخرى من خلال مفاهيم العولمة والتقنيات الافتراضية او حتى عن طريق السياسات الاقتصادية المعتمدة في هذا النظام، بل ان الرأسمالية كانت تضم في بنية نظامها أزمات متوالدة وجاهزة نتيجة طبيعة الانتقادات التي كانت توجه لهذا النظام بوصفه يشكل ازمة بذاتها للإنسان الغربي، وبهذا كانت الرأسمالية احد وجوه التعسف إزاء البلدان بل كانت تدرئ عن نفسها الازمات بخلقها وصناعتها عند الاخرين لتقليل حدة

[1] محمد ملا عباسي، سجاد صفار هرندي، اليمين واليسار:رؤية ابستمولوجية نقدية للمفهوم، ط1،(العراق:المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2017)، ص126.

[2] ارثر ايزابرجر، مصدر سابق،ص98.

ازماتها وتباعتها وفقا لمعنى الإدارة بالأزمات، اذ ان ((المحاكاة تلعب دوراً في تشجيع العدوان كاستجابة على الفشل والاحباط، فحين تعاني الرأسمالية من مظاهر الركود تفتعل الازمات الخارجية وتثير النزاعات والحروب للخروج من ازمتها))([1]) وعلى وفق هذا شنت البلدان التي تؤمن بالرأسمالية وتدافع عن هذا النظام وتشجع على تعميمه الحروب ومختلف أنواع الاستعمار على بلدان وبأسباب واهية وغير مقنعة وذلك لكي تبعد الأنظار عن الازمة الداخلية الحقيقة التي اصابت نظامها، كما كانت ولازالت تفعل الولايات المتحدة الامريكية.

ان هذا النظام الرأسمالي بما فيه من سلبيات انما ولد ردات فعل وازمات من نوع خاص في الأوساط الشعبية التي لم تعد ترى في هذا النظام الا الوجه الديكتاتوري لجانب المجتمع والاقتصاد مما يحاول ان يهيمن على كل الحياة الاقتصادية من خلال ما يفرزه من اليات تعامل مع الطبقات التي ضاقت ذرعاً بهيمنة هذا النظام على كل أوجه الحياة، لقد شهدت السنوات الاخيرة من عقد الستينات من القرن العشرين ميلاد موجة من الازمات المتجسدة في الاعتراضات والاحتجاجات الطلابية التي تركت بظلالها على المجتمعات الرأسمالية، وتطورات الاعتراضات لتصل الى رفض العنصرية والتمييز العرقي والطبقي والاعتراض على حرب فيتنام والوحشية الرأسمالية، وقد بلغت هذه الاعتراضات ذروتها عام 1968 واخذت طابع الثورة العامة ادى عنف السلطة في قمع هذه الحركات ومفاقمة الامور وتأزيمها لتزداد لهيبا واشتعالا، وبدأ ان النظام اليميني لشارل ديغول يواجه اسوأ ازمة في تاريخه ([2]) اذ ان الطبقات العمالية والطبقات المسحوقة التي كانت تملء اوربا لم تستطع ان تصبر كثيراً على الرأسمالية المهيمنة في صورها الأولى خلال تلك الحقبة والتي كانت تتسيد على المشهد الاقتصادي هناك في اوربا، وما كان من تلك

[1] علي حسين الجابري، الانسان المعاصر بين غروب الحضارة واغترابه: دراسة في جدلية الخوف، ط1،(عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2005)،ص193-194.

[2] ينظر: محمد ملا عباسي، مصدر سابق،ص130.

الطبقات التي لا يستمع لصوتها الا من خلال الثورات والاحتجاجات التي ملئت الشوارع في تلك الحقبة وبخاصة مع التنظيرات الفلسفية التي صاحبت تلك الاحتجاجات والحث على نقد ومناهضة الرأسمالية بوصفها من صور العبودية للطبقات العمالية آنذاك. وهو الامر الذي مهد كثيراً الى بزوغ الاعمال الفكرية والأدبية الواقعية التي يناهض من خلالها الفلاسفة والادباء سطوة الرأسمالية وحدتها إزاء الجماهير، فظهرت ما يسمى بالواقعية الاجتماعية التي تعد حركة فنية تشير الى الاعمال الادبية والفنية التي تلفت الانتباه الى الحياة اليومية ((للطبقات العاملة والفقراء وينقدون الهياكل الاجتماعية التي تؤدي الى استمرار هذه الاحوال على ماهي عليه، نبعت الواقعية الاجتماعية من الواقعية في اوربا في القرن التاسع عشر حين اثارت الثورة الصناعية الاهتمام بفقراء الحاضر.....الواقعية الاشتراكية تيار من تيارات الواقعية ظهر رسميا في الاتحاد السوفياتي في ثلاثينات القرن العشرين وساد فيه وفي الدول الواقعة تحت تأثيره، حيث كان التيار الموصى به او الملزم وكان له ارتباط وثيق بايدلوجية النظام والدعاية له....تركز الواقعية الاشتراكية على دور الفقراء والطبقة الكادحة تعود بدايات الواقعية الاشتراكية الى بداية القرن العشرين وقد نبعث افكارها من الماركسية التي رات ان النشاط الاقتصادي في نشأته وتطوره هو اساس الابداع الفني لذلك يجب توظيف الادب لخدمة المجتمع))[1] وخلال تلك الحقبة كانت التيارات الواقعية هو المداد المناهض للفكر الرأسمالي بوصفها من صور الاشتراكية المناقضة للرأسمالية وبوصفها حالة من حالات تمثل الادب لخدمة المجتمع وإدارة ازماته المتعددة، وبخاصة الازمة الاقتصادية التي تمثلت بردات فعل اليسار الاشتراكي على كل مفاهيم الرأسمالية والبرجوازية المتحكمة في حال الفقراء في اوربا وكل الطبقات العمالية، وهكذا مثلت الواقعيات هذه في بلدان العالم الغربي ردات فعل تحاول ان تنتقد الرأسمالية بوصفها المتسبب الحقيقي لازمات المجتمع الغربي، والنهضة الاشتراكية بثورتها

[1] اريك هوبزباوم، ازمنة متصدعة: الثقافة والمجتمع في القرن العشرين، ترجمة: سهام عبدالسلام، ط1،(بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)،ص470-471.

على المفاهيم الرأسمالية انما اتسعت رقعت تمردها على المستوى السياسي والأنظمة الحاكمة في بقية البلدان وأصبحت حالة من حالات الرفض التام لكل اشكال العبودية الاقتصادية التي تتجسد بفعل النظام الرأسمالي المهيمن على الطبقات الفقيرة والذي اصبح دكتاتورية جديدة تحكم عن طريق المال، فلقد ((تمرد المثقفون الروس في بداية القرن التاسع عشر على الاوضاع السائدة آنذاك، والتي كانت تتمثل في البؤس ونظام السخرة والاستعباد وعقوبة الضرب وغير ذلك من احوال سيئة في ظل النظام القيصري الاستبدادي، وقد تشكل هنا في بداية الامر تياران مختلفات احدهما كان يرى ان خلاص روسيا يتمثل في الاخذ بالأفكار الغربية،اما التيار الاخر فقد كان يعتقد ان روسيا تحمل في شعبها وفي كنيستها الارثوذكسية بذور الخلاص، لا لنفسها فقط وانما للعالم كله ايضا، ولكن فيما بعد ظهر اتجاهان جديدان (أ) اما الاول فانه يأخذ بمذهب مادي نفعي ساذج وقد دعا ممثلو هذا الاتجاه في حماس بالغ الى رفض كل القيم الروحية (ب) واما الاتجاه الاخر فقد كان اتجاه الاشتراكيين الزراعين الذين كانوا يرون شيوعية القرية الروسية الاساس لنظام جديد))([1]) حتى وان كانت بعض الحلول تميل الى الجوانب الروحانية بوصفها البديل كما حصل في بدايات روسيا خلال حقبة القرن التاسع عشر، الا ان السمة البارزة التي اتفق عليها الجميع هو ضرورة التخلص من النظام الرأسمالي، وابداله بنظام جديد قائم على المشاعية او الملكية العامة والتي تطورت الى مفاهيم جديدة ومنظمة عبر تشكلات الحزب الشيوعي ومنظريه من الفلاسفة في بقاع اوربا كافة وكذلك في روسيا على وجه التحديد، أي ان الاشتراكية لم تولد من فراغ وانما ردات فعل حقيقية نتيجة الازمات التي سببتها الرأسمالية والنتائج التي قدمت على ارض الواقع إزاء تطبيق هذا النظام الرأسمالي في اغلب الأنظمة الاوربية بحيث شكلت في اندحارها الأرضية المجتمعية والاقتصادية لحدوث سيادة نظام جديدة قائم على الفكر الاشتراكي فقد كان((النمو الهائل الذي بلغه راس المال، والاحتكارات الماحقة التي يمارسها والازمات

[1] د.محمود حمدي زقزوق، تمهيد للفلسفة،ط5، (القاهرة: دار المعارف، 1994)، ص217.

الخانقة التي يثيرها -كان هذا جميعه المناخ التاريخي لظهور الاتجاهات الاشتراكية، ثم الاشتراكية بكل تطوراتها التي تلت ذلك الاتجاه))([1]) فسيادة رأسمال انما كان الواجهة التي تنفذ من خلالها صور الازمات المتعددة للإنسان الغربي بهيئة النظام الرأسمالي، فقد ظهر خلال ذلك نزوع الكتاب نحو الاشتراكية وتقريع الرأسمالية والذي لم يكن من فراغ، بل للمعاناة التي لاقاها العمال خلال القرن العشرين بالتحديد، ففي امريكا خلال منتصف القرن العشرين كان عدد العاطلين عن العمل ستة ملايين من مجموعة سبعة ملايين عامل، وكذلك الامر في اوربا الغربية وبريطانيا واسترالية ملايين اخرى تعانى البطالة، فضلا عن اعمال القمع الرهيب على العمل بخاصة خلال الحقب التي يكون لهم موقفاً جادا اتجاه علوم المال والصناعة، ذلك القمع الذي يهدم مفهوم الديمقراطية ويخلق ازمات تتوالد، ويجعل الطبقة العمالة تعاني في ظل الرأسمالية الصناعية المعاصرة، ففي عام 1926 خلال الاضراب العام في بريطانيا سيرت الحكومة كل قواها لقمعه، وفي مدينة دالاس بولاية تكساس تم جلد العمال بالسياط وطليت اجسامهم بالقطران، ومثل بهم ابشع التمثيل، وعام 1941 اصدر مدير مصانع فورد امره بفصل جميع العمال النقابين فقامت حركة اضراب عامة، وحتى عام 1947 فان امريكا كانت تتسابق في اصدار التشريعات التي تتنقص من حقوق العمال السياسية والاجتماعية، ومنها حرمانهم من حق الاضراب([2]) ان صور البؤس والأزمات باتت تملء اوربا في تلك الحقبة، في ما افرزته الثورة الصناعية من تطورات وصلت الى سيادة الرأسمالية الصناعية بصورتها المعاصرة، مما شكل موجة احتجاجات واضرابات واسعة في مختلف البلدان الاوربية والمطالبة بتشريعات تحفظ حقوق العمال الذين باتوا الأشد عرضة للتسريح والطرد من أعمالهم وحرمانهم من ممارسة وظائفهم تحت رعاية ابوية ارباب العمل (الرأسماليون) المتحكمون بالمصانع والمعامل في اوربا كافة، وهذه كانت الشرارة

[1] خالد محمد خالد، ازمة الحرية في عالمنا،مصدر سابق، ص28.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص64-68.

الأول التي هزت النظام الرأسمالي واعني هنا موجة الإضرابات والاحتجاجات والاصطدام مع الحكومات هناك، والتي لم تجيء لولا العديد من المفاهيم الفكرية والفلسفية المناهضة لشكل الأنظمة الاستبدادية والتي كانت تخرج من معطف المفكرين والادباء والفلاسفة هناك في اوربا للتحريض على مثل هذا الرفض لسطوة الرأسمالية وارباب العمل وان كانت تلك موجات التحريض تنطلق بدافع أيدولوجي يساري يسعى لتحطيم الرأسمالية والمجتمع البرجوازي المتحكم، رغم ان اليسار الفلسفي المنظر للاشتراكية لم يكن يرى مثلما نرى في مسألة نقد الرأسمالية عبر الطابع الأيدولوجي بل انهم كانوا يرون ان المفهوم الاشتراكية ليس ردات فعل ايدولوجية او اقتصادية، وانما نابع من صميم الحياة الاجتماعية للإنسان، لذا قال بعضهم ان ((الاشتراكية ليست مجرد نظام اقتصادي يعكف على شؤون الانتاج والتوزيع، انما هي كما عرفها وراها ماركس وانجلز طريقة جديدة لفهم الحياة الانسانية وتغييرها -الامر الذي يجعل من حق كل انسان يحمل الولاء للحياة ان يرقُب هذا التغيير بالكثير من اليقظة والاهتمام))([1]) وهذا الخطوة جعلت من الاشتراكية وفقاً لفلاسفة اليسار أسلوب حياة جديدة يحاول ان يغير من مستوى وعي ويقظة الطبقة العمالية إزاء مفاهيم التعاطي مع الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحتى الشخصية، حتى وان كانت شرارة الانطلاق لموجة الاحتجاجات والرفض العمالي يكمن في الازمة الاقتصادية لهذه الطبقة التي كانت تعاني من استغلال ارباب العمل لخدماتهم الجسدية، فقد كان ((الوضع المعيشي للطبقة العاملة الاوربية والمرتبط بالأجر هو أساس التناقض القائم بين البرجوازية /البرولتيارية))([2]) ان الطبقة البروليتارية كانت حانقة بالكامل على البرجوازية ومستوى تعاملها واستغلالهم، وهي العصب الرئيسي الذي كان يضرب صميم الطبقة العمالية

[1] خالد محمد خالد، مصدر سابق، ص174.

[2] سلامة كيلة، الماركسية اليوم: منظورات لماركسية جديدة، ط1،(دمشق: خطوات للنشر والتوزيع،2013)،ص140.

والمحرك الأساس إزاء حقوقهم والانتفاضة ضد الرأسمالية ومظاهرها في تلك المجتمعات الغربية، وكانت المفصلية التي شكلت الصراع الحقيقي بين نظامي الرأسمالية والاشتراكية يقوم على خدمة رأس المال او خدمة البشرية ما بين اثراء أصحاب رؤوس الأموال او إعادة الكرامة والوجود الحقيقي والإنساني للمجتمعات العمالية المتخلفة والتي تعاني الامرين ولهذا فقد كانت ((الرأسمالية تعيش ازمة عميقة وهي ليست ازمة ديوان او بنوك فقط هي هكذا بلا فعل، الن تأتي الاشتراكية هكذا دون نضال وربما يبقى عقودا وهو يمارس القتل والتدمير والخراب، ولذا فان الشيوعي هو من يتقدم من اجل تطوير صراع العمل والفلاحين والفقراء وكل المفقرين من اجل هزم الرأسمالية لكي تتفتح كل ممكنات الأمم ويوضع العلم في خدمة البشر بدل خدمة الرأسمال وتنهض المجتمعات المخلفة من بؤسها وتفككها))[1] وهذا ما كانت تدعو له الشيوعية منذ مجابتها الأولى للفكر الرأسمالي وتنظيرات فلاسفتها الذين سعوا لمناهضة كل أساليب الرأسمالية من اجل إعادة التوازن للطبقة العمالية في أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

[1] المصدر نفسه،ص181.

الفلسفة الغربية بين أزمتي الحروب والأنظمة الحاكمة:

ان من اهم الازمات التي كانت العائق الحقيقي امام المواطن الغربي وامام الفيلسوف الغربي هما الحروب (بدوافعها المتنوعة) فضلاً عن شكل النظام الحاكم هناك، وهذه الازمتان لا يمكن ان تتشكل من دون مقدمات سابقة، تشكل الازمة التمهيدية الصغرى لاندلاع الازمة الكبرى، وقد تجاذبت البلدان الاوربية هاتين الازمتين قبيل الحرب العالمية الأولى والثانية وحتى الراهن المعاصر، ان ما تنتجه هاته الازمتين من مخلفات وتبعات ونتائج انما ينعكس من خلال ما يتم التعاطي معه عبر المنظومة الثقافية والفكرية والإنتاج الادبي والفلسفي، تارة على مستوى المجابهة وتارة أخرى محاولة الهروب من تلك الازمات عله يكون الحل إزاء ما تفرزه هذه الازمات من اوجاع للفرد الغربي، ففي ظل ((مجتمع مقطع الأوصال، جائع، عاطل عن العمل، غارف في القلاقل والفوضى السياسية ومقيد من ممارسة أي نشاط، اتجه الناس نحو الداخل، واتجهت الأنظار نحو الشرق، نحو روسيا حيث تم بناء نظام اجتماعي جديد، أو نحو الماضي الألماني، لتحقيق حلم إحياء الإمبراطورية الألمانية، أو نحو السماء، نحو المدن وجزر قصية بعيدة عن مجتمع المدينة المنحط (مجتمع ما بعد الحرب). فكانت التعبيرية، التي أعادت الاعتبار للمثالية الذاتية (فكرياً، فنيا)، انتفاضة ثقافية وسياسية ضد البرجوازية التي كانت على حافة الانتحار، والمسألة التي أثارت هاجس الكتاب التعبيريين أكثر من غيرها، مسالة (الحرب، والسلم) موضوع هيمن على الدراما التعبيرية الألمانية))([1]) أي ان المرجعية التي من خلالها تم مجابهة الشكل البرجوازي المتنفذ عبر ما تنتجه التعبيرية من فكر ثقافي تحاول ان تمسك اخر خيوط الانفلات باتون الازمة والضياع التام للمجتمع الغربي بخاصة فيما يتعلق بموضوعة الحرب التي كانت الهاجس اليومي المقلق لكل سكان اوربا،

[1] احمد محمد عبد الأمير الجبوري، الملامح الفكرية والفنية لمسرح مابعد الحرب في العراق(1991-2000)، رسالة ماجستير غير منشورة، باشراف الدكتور سمير شاكر عبدالله اللبان، (جامعة بابل:كلية التربية الفنية،قسم التربية المسرحية، 2002)،ص59.

والتي تمثل الازمة الحقيقية على جميع اصعدتها آنذاك. وفي فرنسا مثلاً حصل الامر ذاتها، فتشكلات الازمة المتعلقة بالنظام الحاكم مهدت الى سياقات جديدة وعصر جديد من الادب بخاصة مع انفجار الثورة الفرنسية الكبرى والتغيرات الحاصلة في شكل النظام الحاكم هناك، والتي كانت المهاد الحقيقي لفكرة الحكم المطلق والحكم الذاتي في المفهوم السياسي ما بين سطوة الكنيسة وما بين دعوات التسامح في الفكر الديني، وما افرزته على شكل الادب ما بين الاتباعي والابتداعي، اذ ان الحقبة التي نطلق عليها اسم القرن الثامن عشر في تاريخ الأدب الفرنسي لا تبدأ ببداية هذا القرن ولا تنتهي بنهايته، وإنما هي حقبة تمتد من العام الذي ((شهد موت العاهل الفرنسيُّ العظيم لويس الرابع عشر 1715م) إلى العام الذي انفجر فيه بركان الثورة الفرنسية الكبرى (1789م)، وعصور الأدب لا تفصلها الفواصل الحاسمة، بل يتداخل سابقها في لاحقها.....فتستطيع أن تقول إن القرن الثامن عشر في فرنسا كان مرحلة انتقال بين الحكم المطلق والحكم الذاتي في السياسة، بين التقيد بأوضاع الكنيسة الكاثوليكية في روما وروح التسامح في الدين، بين المذهب الاتباعي والمذهب الابتداعي في الأدب))([1]).

اما على مستوى النظام الألماني الحاكم، وبفضل التمهيد الحقيقي لهذا النظام جراء الازمات الكبرى التي مرت بألمانيا على مستوى الكساد والمعاناة الاقتصادية التي اصابت المواطن الألماني الذي وصل الى مرحلة البؤس الحقيقي، وصعود الفاشية على سدة الحكم استغلالاً لتلك الازمات وبوازع تنمية الروح القومية الألمانية وترسيخ هويتها، الا ان ((الحرب ضد الفاشية قد اعتبرت وعلى نطاق واسع بمثابة دفاع عن الثقافة والحضارة الغربيتين ضد البربرية))([2]) أي ان اشكال الأنظمة الغربية وطرق اداراتها كانت الازمات الحقيقية التي يمر بها المواطن الغربي لأنها تتناطح وتتصارع فيما بينها، فالأنظمة الفاشية

[1] زكي نجيب محمود واحمد امين، قصة الادب في العالم، ج2،(المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي،2021)،ص335.

[2] ديفيد هارفي، مصدر سابق،ص57.

لم تكن ذات سطوة سياسية وحسب أي لا ترتكز هذه الأنظمة على ممارسة الاستبداد السياسي والشمولية السياسية فقط، فبمعرض الحديث عن الانظمة الفاشية فان ((الشمولية لا تحد حركتها داخل المجال السياسي والاجتماعي وحده، فهي ترى انه على الانسان برمته الخضوع للمتحكمين في السلطة لإعادة القولبة التي يبتغونها، لهذا لن تفلت الحياة المهنية، واوقات الفراغ والحياة الاسرية والمعتقدات والاخلاق، بل وعلم الجمال من سلطان نفوذ الدولة الشمولية))([1]) أي كل مفاصل الحياة بما فيها المفاصل التي تتعلق بالحياة الشخصية للأفراد وصناعة مكامن الجمال والفلسفة، لذا نرى في الأنظمة الشمولية العديد من الكتاب والفلاسفة تم ملاحقتهم ومطاردتهم او محاكمتهم ونفيهم الى بلدان أخرى كما كان يحصل مع النظام الفاشي في المانيا وموجة الملاحقة والتشريد التي مارسها بحق العديد من الفلاسفة والمفكرين والذين كانوا يمثلون المناهضة الحقيقية لازمة الأنظمة الشمولية الجاثمة على قلوب شعوبهم. ان الأنظمة الشمولية بما تحققه من حالات سطوة على حياة الانسان لم تدخر جهداً في زج شعوبها وجيوشها في حروب لا جدوى منها، وهو الامر الذي حفز الفلاسفة ومنظري التيارات الأدبية والفكرية في اوربا من توجيه سهام النقد والمناهضة لانخراط تلك الشعوب بالحروب المميتة التي لا طائل منها سوى تحقيق المزيد من صور السطوة والهيمنة، فمثلا الكتاب العبثيين كانوا قد ((كفروا بالأسس الثقافية والسياسية للعالم القديمة العالم البرجوازي، عالم الحروب والمنافسات الدموية واوهام المجد الكاذب وسيطرت الاشياء وشحوب الروح والعقل وانساق فردية الانسان في مواجهة المؤسسات القديمة التي تقوم بوظائف الحكم والاستثمار وتغذية ارواح الناس وعقولهم بالخرافات او الثقافات الكاذبة او تجنيدهم للدفاع عن مكاسب نفس المؤسسات غير الانسانية))([2]) أي ان العبثيين لم يدخروا جهداً في مجابهة هذا الشكل البرجوازي الذي يمجد المزيد من حالات المنافسة

[1] بيبرا ميلزا،مصدر سابق، ص167.

[2] سامي خشبة، قضايا المسرح المعاصر، (بغداد: منشورات وزارة الاعلام، 1977)،ص10.

الدموية على الموارد والهيمنات، بغض النظر ما تخلفه هذه الالية من قهر كبير للأفراد وايقاعهم في أزمات من العزلة والقلق الروحي إزاء ما تنتجه البرجوازية من سطوة للمؤسسات وتبعية للأفراد لهذه المؤسسات التي تثري على حساب افراد شعوبهم.

لذا فقد انشغلت النظرية الأدبية لمدرسة فرانكفورت بمصير وازمات الانسان الغربي بعد ان تقلصت مساحات حريته، ففي ظل القهر الذي يمارس عليه بأشكال عدة داخل المؤسسات السياسية والاقتصادية، وفي مقدمتها الدولة، ووفقا لهذا فقد استطاعت الدولة ان تتحول الى ((نظام شامل للقمع والقوة والسيطرة، فعرضت الإنسان إلى لأشكال مختلفة من القهر الظاهر والباطن، والقمع الواعي وغير الواعي الذي ينطلق من أجهزة الإنتاج الضخمة، والمؤسسات الإدارية والبيروقراطية والاستهلاكية والإعلامية التي تشبه آلات هائلة يحاول الناس أن يكيفوا أنفسهم مع ضغوطها ومطالبها))([1]) وهذا الامر بلغ أوجه مع صعود النازية وما حل بأوربا في تلك الحقبة من أزمات وحشية وبربرية، اصابتهم بانتكاسات عدة وتراجع خطير يهدد الإنسانية هناك، ومن ضمنها ما خلفته الحرب العالمية الثانية من ضحايا، والتي كانت تدميرها مستنداً الى العقلانية العلمية والتكنولوجية المتاحة آنذاك من خلال طبيعة ما استخدم من أسلحة ووسائل حربية، وبخاصة المانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، أي ان ازمة العقلانية تحولت لأداة هيمنة كلية تدمر الحضارة، وكذلك يمكن ان يكون العنف تجلي للصراعات الطبقية فان تاريخ كل مجتمع الى عصرنا الحالي هو ((نتاج للصراعات الطبقية، صراعات اتخذت حسب العصور اشكالا مختلفة، ولكن كيفما كان الشكل الذي اتخذته هذه الصراعات، فاستغلال جزء من المجتمع من طرف الجزء الاخر هو قاسم مشترك بين كل القرون السابقة، واذن ليس من المفاجئ ما اذا كان الوعي الاجتماعي لكل القرون رغم كل تغيراته وتنوعاته يتجلى في بعض الاشكال المشتركة، اشكال من الوعي لا تنمحي كليا الا اذا حدث

[1] عبد الغفار مكاوي، " النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت " حوليات كلية الآداب، الكويت، السنة 1992 العدد 13،ص18.

زوال تام للصراع الطبقي))([1]) الذي تولد نتيجة سطوة البرجوازية وما خلفته من أزمات على حياة الانسان، والتي أسهمت هي الأخرى بإذكاء الصراع الطبقي نتيجة ممارساتها القاهرة بحق الطبقات الأدنى وفي جميع المجتمعات الغربية، ان نتيجة هذا الصراع الطبقي صور من الاحتجاجات والرفض المجتمعي، تثور من خلالها الطبقات التي تعاني من هذا التمييز الطبقي او الاقصاء الطبقي الذي يمارس ضدها بحيث يجعل تلك الطبقات تعاني الامرين، التمييز والازمة الاقتصادية التي تشعرهم بعدم مقدرتهم على مسايرة هذا النظام الطبقي الجائر الا بالاحتجاج والثورة اذ ان ((الثورات هي لحظات انفجار الاحتقان الاجتماعي،تحدث في فترات ربما متباعدة حيث تدخل المجتمعات في حالة ثورية او وضع ثوري على ضوء التفارق الطبقي الحاصل ومن ثم تصاعد الاحتقان الاجتماعي نتيجة تعمق الافقار، البطالة))([2]) أي ان الطبقات المسحوقة حسب السياق التاريخي للصراع الطبقي لم تصبر كثيراً إزاء هذا النظام التسلطي بحقها، وكنتيجة حتمية تسهم بموجة الاحتجاجات بدفع كبير من مفكرين وفلاسفة يسهمون كثيراً بتثوير هذه الطبقات العمالية، لإيقاف سطوة الطبقية المقيتة التي تهين الحياة الكريمة للإنسان، ليست على مستوى الافراد بل حتى على مستوى المجتمعات،وبخاصة ما انتج من هذه الطبقة من حروب سواء عسكرية او حتى الاقتصادية وهي التجلي الاوضح لهيمنة البرجوازية فمصطلح الحروب الاقتصادي وهي اقدم انواع الحروب التي عرفها التاريخ البشري فقد كانت السبب الرئيسي لاندلاع اشهر انواع الحروب الانسانية بخاصة الحربين العالميتين الاولى والثانية، وتقوم على اساس محاولات الدول القوية للسيطرة على الاسواق الدولية والسعي الى امتلاك مصادر الطاقة ([3]) فمن كان يمتلك مصادر الاقتصاد الأقوى والتقنيات الأكثر تكثر حظوظ نجاحه بهذه الحروب فقد أصبحت

---

[1] ماركز انجلز، العنف كتجلي للصراع الطبقي، ضمن كتاب العنف، اعداد و ترجمة: محمد الهلالي، وعزيز لزرق،ط1، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2009)،ص51.

[2] سلامة كيلة، الماركسية الجديدة:العودة الى ماركس من اجل تخطي الماركسية الرائجة،مصدر سابق،ص35.

[3] ينظر: سيار الجميل،مصدر سابق،ص25.

الحروب الناعمة من الوسائل الناجعة لمحاولة السيطرة على الاخر مما يولد اشتباكات تتنقل الى الجانب العسكري الصريح والمباشر كما حصل قبل وخلال الحربين العالميتين. ان انعكاس الازمات التي تصيب البلدان على منظومة الثقافة والفكر انعكاس حتمي لا يقبل الشك، وهو انعكاس متبادل بالتأكيد بخاصة في الظروف التي تسبق وتتلي تلك الحروب، اذا ان ((الاتجاهات والأساليب التي وجدت في صور متباينة في الثقافة الأدبية قد شاركت في صنع الكيانات القومية وفي هدمها في حقبة ما بعد الحرب، في حين عادت إنجلترا الى نوع من الواقعية الانعزالية الضيقة، افاقت أمريكا بعد الحرب لتجد نفسها قوة عالمية غير واثقة من دورها القومي والدولي بالتالي فقد ترنحت بين الصدمات التجريبية عبر الحرب الباردة وبين النزهة الاستهلاكية والتكيف مع الظروف البيروقراطية...وفي الستينات والسبعينات اخذت تترنح بين تناقضات المجتمعات الرأسمالية....))([1]) أي ان تلك الانساق الثقافية المعبرة انما تتولد نتيجة ما يجري على المنظومة المجتمعية والسياسية بل حتى الاقتصادية من متغيرات جراء ازمة الحروب فتتعاطى المنظومة الثقافية مع هذه المتغيرات، او هي ذاتها المتغير تفرض هيمنات جديدة على منظومة الفلسفة والثقافة لتعبر عن الحالات الجديدة التي صارت اليها، كما حصل في المجتمعات الغربية سواء في إنجلترا او أمريكا، فغالباً ما توظف تلك الأنظمة المهيمنة انساقاً فكرياً تعزز رؤاها ونظامها القائم وتحاول ان ترسم ما يمكن ان يرسخ تجاربها، وبالشكل ذاته يحصل مع الفكر المناهض لهذا النظام والذي غالبا ما يتماشى مع المتغيرات واثرها على الافراد.

[1] بيتربروكر،الحداثة ومابعدها،ترجمة:د.عبدالوهاب علوب، ط1،(أبو ظبي: منشورات المجتمع الثقافي،1995)،ص25.

الدستوبيا (الازمة وتمثلها في الادب)

برز ما يسمى في المصطلح المعاصر للأدب (ادب الدستوبيا) وضمن ملامح هذا الادب ممكن ان تتجلى الازمة البيئية (الوباء) وكذلك ازمة التسلط والدكتاتورية، وصور الارهاب والقمع والفقر والمرض وغيرها والتي تجمع ما بين الازمات وصورتها في الادب، فلاشك ان ((الوباء الذي يشكل المدخل الاساس لفهم هذا الاستلاب سيسهم في تقديم قراءة متفحصة وفنية لعوامل منها الذات المفتقدة للهوية والنفس المريضة باثر النظم الشمولية ونزع الانسانية واستلاب الاسرة في مقابل القهر، ذلك في مدينة فاسدة ذات واقع مرير يصيبها تمزق الهوية ويبشر بمستقبل اكثر كأبة))([1]) أي ان ازمة الوباء او المرض غالبا ما يتم توظيفها في اطار أزمات اكبر ضمن الفهم الدستوبي، واعني هنا ازمة النظام الشمولي واثره، وأزمة اغتراب الانسان واستلابه هويته،والقهر الذي يمارس بحق الافراد، وأزمة فقدان الهوية، كلها في اطار دستوبي يتجلى خلالها انصهار أزمات متعددة ضمن هذه البوتقة من الادب مما يجعله ادب سوداوي او ادب فاسد بكل ما تحمل هذه المفردة من معنى، ناهيك عن تجلي الازمات الأخرى في هذا الادب ومنها ازمة الحروب والكوارث التي تحصل للمجتمعات والافراد على حد سواء فقد ((عالجت الفنون والآداب موضوع الدستوبيا فاعتمدوا الكوارث والحروب والازمات مصدرا))([2]) ومع كثرة الازمات وتفشيها في المجتمعات بات الشكل الدستوبي للأدب هو الطريقة التي تحفز المبدعين والمفكرين للتعاطي مع تلك الازمات،لذا تشير المراجع والمصادر المعنية بأدب الدستوبيا بانها قد برزت وظهرت بشكل كبير وواضح مع ((نشوب الحربين العالميتين الاولى والثانية فقد ظهر ما يدعي بوباء الانفلونزا وحدث الكساد العظيم ونشوب الحرب الكورية والحرب الفيتنامية وغيرها من احداث القرن العشرين المفزعة والتي غيرت شكل الكتابة في هذا

[1] د.محروس محمود القللي، دستوبيا الوباء في الرواية المصرية: دراسة مقارنة، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، اللغويات والثقافات المقارنة، مج 13، عدد1، يناير، 2021، ص947.

[2] المصدر نفسه، ص948.

الوقت بشكل ملحوظ واصبحت الدستوبيا هي السمة الغالبة على الادب"[1] أي ان الادب بات يبحث عن تلك الازمات وتأثيراتها على المجتمعات بصورة عامة والفرد بصورة خاصة، وبخاصة الازمات الوبائية التي تتعلق بتفشي الامراض وكذلك الازمات الاقتصادية التي تمثلت بالأزمة العالمية الكبرى المتعلقة بالكساد، وازمة الكساد هذه تعد الاعظم والاكبر بدأت مع انهيار سوق الاسهم الامريكية، وصولا الى تدهور كل اوجه الاقتصاد العالمي، واستمرت اثار هذه الازمة السلبية حتى بدايات الحرب العالمية الثانية وكان تأثيره مدمرا على كل الدولة سواء المتمكنة اقتصاديا او النامية، ومعها شهدت ازمات متفرعة لانخفاض مستوى دخل الفرد وارتفاع البطالة وتوقفت اعمال البناء وعانى الفلاحون والمناطق الريفية من انخفاض اسعار المحاصيل. ولم يتوقف هذا الادب الدستوبي عند هذا الحد بل لاحق التطورات التقنية بعد الثورة الصناعية وما شهدته من قفزات تصدرت من خلالها الآلات على حساب الانسان وبات يشاع ما يعرف بمفهوم مابعد الانسان وفقا لهذه التطورات، وكذلك شيوع مفهوم الشركات متعددة الجنسيات وهيمنتها على ثروات الدول النامية، فضلاً عن انتشار الحروب والصرعات الإقليمية والدولية بين البلدان المتنافرة والمتناحرة والمتناقضة وعلى أسباب متعددة، سواء بسبب خلافات على ثروات مشتركة او على أساس تناقضات ومصالح مختلفة بين تلك البلدان، وكل ذلك تم رصده عبر الادب الدستوبي بصورة واضحة، اذ يمكن القول ان الدستوبيا هي أنواع وتكون على مستويات مختلفة كلها ضمن اطر الازمات التي تصيب المجتمعات والحكومات وحتى الافراد ومنها المستوى البيئي الذي يتحدث عن علاقة الانسان بالطبيعية والاقتصادي الذي يتحدث عن علاقات الشركات الكبرى بالعالم وتحكمها بقرارات وسياسيات البلدان والسيطرة على الجماهير، اما التكنولوجيا فتعني السيطرة

[1] سلمى ابو زيد شتا العشري، حول مفهوم اليوتوبيا والدستوبيا كمدخل للاستلهام في فن التصوير المعاصر، مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان (القاهرة)، المجلد 21، العدد 1، 2020، ص282.وينظر كذلك: لايمان تاور سارجنت، اليوتوبية: مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: ضياء وراد، ط1، (القاهر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2016)، ص32-33.

التامة الالكترونية وهيمنتها على الانسان وقدرته، اما الجانب السياسي فمن ابرز تمثلاته صور الطغيان والاستبداد السياسي ومظاهره كافة ([1])، فعلى مستوى تعاطي الادب الدستوبي مع الأوبئة فثمة دور فكري ضروري لخلق الوعي لدى الافراد خلال فترات الاوبئة او قبلها تتمثل في ((تعبئة الافراد والجماعات من اجل الحرص والحذر في التعامل مع الاوبئة، وخلق مستوى من الوعي لدى الافراد الذي يساعدهم في صياغة اولياتهم واختياراتهم الواجبة لحفظ صحتهم وسلامة بدنهم من خلال توجيههم نحو القيم الاجتماعية والمشاركة المجتمعية البناءة التي تعينهم في تحديد ما ينفعهم وينفع المصلحة العامة للأفراد او المجتمعات))([2]) وهذا ما كان يمارسه الادب الدستوبي وهي عملية اشبه بإدارة الازمات من خلال الادب الدستوبي الذي يخرج لنا خلال الازمات الوبائية بالنتاجات التي تخلق حالات من الوعي والتنبؤات احياناً للمواطنين لطرق التعامل مع هذه الازمات لتلافيها وعبورها بسلام باقل الخسائر والاضرار وهو ما حصل بالتأكيد خلال الازمة الوبائية الأخيرة التي اصابت العالم، وحسب الإحصائية التي تتبعها المؤلف ([*]) فقد تم رصد العشرات من هذه النتاجات خلال ازمة تفشي وباء كوفيد19 ومتحوراته وعلى مدى 3 سنوات تقريباً.

أي ان النتاجات الدستوبية عالجت تلك الازمات من وجهات نظر المنتجين لهذا الخطاب الثقافي الجديد الذي ينطلق من تلك الازمات وما خلفته على الافراد والمجتمعات، ناهيك عن الازمة التي تتعلق بالأفراد ذاتهم على مستوى الجانب السيكولوجي والسيسولوجي،وكيف يواجه الفرد هذه الازمات والتي غالبا ما تنعكس على صورته الشخصية المعاصرة والمملوءة بهذه الازمات وفقا لما تنتجه الازمة من انعكاسات

---

[1] ينظر: سلمى ابو زيد شتا العشري، مصدر سابق،ص282.

[2] ا.د.حليمة قادري، صناعة الوعي في وقت الازمات: فيروس كورونا نموذجا، مجلة الاكاديمية للبحوث في العلوم الاجتماعية،(الجزائر)، المجلد 3، العدد 1، لسنة 2021، ص237.

[*] ينظر: حيدر الاسدي، امكانية التأسيس لأدب مابعد كورونا، مجلة الرقيم الثقافية، (كربلاء) العدد 33، السنة العاشرة، شباط 2023،ص122.

سلبية على الافراد الذين تشتملهم هذه الازمة وتحيطهم بسلبياتها ونوازعها، اذ ان ((العمل الدستوبي عادة ما يعكس الازمات الاجتماعية والسياسية المعاصرة في المدينة الفاسدة، مصورا انعدام سبل السعادة بها وانتشار الحالات السيئة وذلك كمؤشر واضح للتغير الاجتماعي او كجرس انذار للابتعاد الضروري عن انحطاط الفضائل))([1]) اذ يجيء هذا الادب منذراً او موقظاً لحالة الفرد إزاء ما يتعرض له من أزمات تنعكس بالسلب على صورته النفسية والاجتماعية، وبهذا يسهم الادب الدستوبي وفقا لما تقدم بتصوير انعكاس الازمات على الانسان أولا، وثانيا وهو الأهم ممارسة الدور الوقائي واشعار الفرد بأهمية اليقظة إزاء ما يمكن ان يتعرض له من أزمات قد تأت بصور غير مباشرة له، فمع كل تزايد صور الازمات وانعكاسها في الحياة اليومية يتحفز الادب الدستوبي بتصوير هذه الازمات وظلالها التي تلقى على الانسان والمجتمعات على حد سواء.

[1] اياد نيسى، ناصر زارع، رسول بلاوي، تجليات الديستوبيا وملامحها في شعر علي كنعان، اضاءات نقدية،(ايران)، السنة العاشرة، العدد 40، كانون الاول، 2020، ص133.

الفن والادب في إدارة الازمات:

ولان موضوع البحث يتعلق بمفصل مهم يتعلق بأهمية الادب المسرحي في إدارة الازمات، فان الباحث سيفرد هذا الجزء من المبحث الأول للتدليل على أهمية تعاطي الادب من هذه الازمات وسبل ادارتها عبر ما ينتجه الادب من خطابات فكرية وثقافية تنتج بالأخير حلول عملية للازمات التي تواجه الانسان والمجتمعات، فمثلاً تعد البراغماتية الكلمات والفكر كأدوات للتنبؤ وحل المشكلات والعمل، وترفض فكرة أن وظيفة الفكر هي وصف الواقع أو تمثيله أو عكسه، ويؤكد البراغماتيون أن معظم الموضوعات الفلسفية -مثل طبيعة المعرفة، اللغة، المفاهيم، المعنى، المعتقد والعلوم- يُنظر إليها على أفضل وجه من حيث استخداماتها العملية ونجاحاتها، والمبدأ العام للفلسفة البراجماتية مبنيًا على أساس أن الفكرة لا قيمة لها إلا من خلال نتائجها العملية المرضية في حل المشكلات والأزمات، وان الافكار لا تملك الا قيمتها الادائية او الوسائلية ([1]) أي ان الفكر في بنية الادب أداة لحل المشكلات والأزمات التي يواجهها الانسان في الحياة بمختلف مساراتها، ولا يمكن ان تكون الكلمات مجردة من صيغتها القيمية التي يبحث عنها البراغماتيين في فلسفتهم بالكلمة (النص)، حتى التأطيرات الفلسفية والمعرفية التي تأتي عبر الفكر والوعي لا يمكن لها النجاح الا بوسائلها العملية في الحياة.

أولا: الفن في مواجهة الازمات:

اذ ان الفن والادب اصبح لهما الدور البارز في التعاطي مع كل الازمات بل والاسهام الفعلي بحل تلك الازمات، بوصف الادب حالة من حالات الانعكاس الفعلي لواقع المجتمع سواء على المستوى السياسي او حتى الاجتماعي والاقتصادي، وغيرها من المفاصل المؤسساتية التي تتصل واقعاً بحياة المجتمع وافراده، فمثلاً ((الحرية السياسية تكمن في

[1] ينظر: وجيهة العاني، الفكر التربوي المقارن،(عمّان: دار عمّار للنشر والتوزيع،2003)،ص50-51.

الحرية الفنية، وان الابتكار في السياسة ضرورة للابتكار في الادب))([1]) هذه العلامة التلازمية بين الامرين انما تفصح عن انعكاس حقيقي لاي ازمة من الازمات السياسية في صورة الادب، وحتماً الادب لا يمكن له ان ينقل المفصل السياسي ومشكلاته كما هو حرفياً بل يعمد على إعادة صياغته وفقاً لما يرتأه المؤلف مع وضع الحلول التي يبتغي خلالها بث رسائله الواعية إزاء هذه القضايا السياسية التي تتصل بمصير الافراد والبلدان، لذلك يرى بينلسكي ((الفن اساسا ليس استعراضا للفكرة ولكنه انعكاس للحقيقة الواقعية وهو لا يولد خارج الحياة، ولكنه ينبع منها ويخلق اصدق النماذج لظواهرها))([2]) فالفن يبحث عن جوهر الحقيقة لكي يقدمها الى المتلقي بعيداً عن أي تزييف لهذه الحقيقة ((والفنان ليس عليه ان ينقل صورة الواقع كمرآة بل يجعله يرتدي ثوبا من وعيه وثقافته وتقاليد مجتمعه ومبادئه وهو بهذا النقل يخلق عمله الفني من خلال وعي فلسفي واجتماعي فالفنان تقع عليه مسؤولية كبيرة ليكون قائدا لمجتمعه))([3]) أي ان الفنان عبر ما يقدمه من رسائل توعوية وفكرية يصبح هو القائد لأفكار مجتمعه وهو (المدير لتلك الأفكار) ويتفعل دوره في إدارة الازمات التي تجترح مجتمعه من خلال هذا الدور القيادي الذي يمارسه فكرياً عبر ما ينتجه من خطاب ثقافي واعي هدفه تقديم الحقيقية وإزالة الغموض واللبس الحاصل وانتهاج الطريق القويم للأفراد كافة في كل القضايا التي يطرحها سواء اكانت تاريخية او حتى تلك المعاصرة التي تكون حديث الناس على الساعة، أي ان المجتمع بأمس الحاجة لهذه القيادة الفكرية لان غالبية المجتمعات لا تدرك ماهية حقائق الأشياء المعاصر الا بعد حقب طويلة تكون الازمة معها قد انطفأ بريقها وحلحلت جزئياتها، فالأدب المسرحي على وجه التحديد معادل موضوعي مهم

---

[1] كارل وودينغ، الشعر الرومانسي الانكليزي والمناخ السياسي، ترجمة: محمد درويش، مجلة الثقافة الاجنبية،(العراق)، عدد4، لعام 1992، ص48.

[2] محمد مصطفى هدارة، تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان،(بيروت:دار الثقافة، 1971)،ص300.

[3] احمد محمد الشريف، المسرح في مواجهة الفساد، مجلة المسرح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر)، الاصدار السادس، العدد 37، نوفمبر 2022،ص21.

لقياس جوهر أزمات المجتمع واليات التعامل معها، وهذا ما أشار له جان دوفينو (عالم اجتماع في مجال المسرح) اذ نوه إلى محور آخر من محاور العلاقة بين الأدب والمجتمع،اذ تعد ((الدراما نوعاً من الميزان الثقافي الذى يسجل أزمة القيم والمعايير الأخلاقية لعصر معين ويظهر فضائح الخلاف مع الأخلاق الرسمية))([1]) فعبر هذا المفصل الدرامي يتم تقييم الازمات المختلفة ومدى اتزانها وانفلاتها وفقاً لميزان الدراما ورؤيتها للازمات وكيفية تفكيكها والعمل على حلحلت خطوط مساراتها ومعالجة حدة تصاعدها وتسوية الخلافات بين اطراف صراعها، وهكذا يكون المعنى الدرامي مدركاً لتلك الازمات ومشتغلاً على بلورة مفاهيمها وفقا لاشتراطات الفن الدرامي وخطوط بنائه والتي هي الاخر تعمل على استلهام هذه الازمات وإعادة صياغتها حسب النظرة الجمالية لهذا الفن، وربما تقدم الدراما بمعطاها الجمالي ما لم تقدمه مسارات الحياة المتنوعة والتي تشكل بنى متخلخلة قلقة إزاء الانسان وإزاء تعاملاته اليومية، وبهذا يكون الفن الحل الذي يمثل المعادل الموضوعي لزوايا رؤية الانسان لتلك المشكلات التي تعتريه، وهذا ما يمكن انه نجده في بعض الاعمال الفنية، اذ ان بعض الافكار الحداثوية والاعمال الفنية بمحتواها الفكري والجمالي تحاول القول ان ((النتاجات الفنية يمكن ان توفر الوحدة والتماسك والمعنى كخصائص مفقودة في معظم جوانب الحياة المعاصرة، اي ان الفن يقوم بما اخفقت المؤسسات الانسانية الاخرى في ادائه))([2]) وعبر تلك السياقات التي توفرها الرؤى الجمالية للدراما ممكن ان يبني مفهوم جديدة في الحياة يوفر معادل موازي للمعاني التي تسهم بخلق الازمات في الواقع،وهذا ما يمكن عده المعنى الجوهري العميق لإسهام الفن ببناء الانسان وحمايته من أي مخاطر قد تدرئ به وتزله عن طريق الصواب، فما ينتجه المؤلف من خطاب ثقافي عبر تلك النصوص انما هي حيوات نابضة ومحركات فكرية

[1] بيير زيما، النقد الاجتماعي:نحو علم اجتماع للنص الادبي، ترجمة: عايدة لطفي،ط1،(القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع،1991)،ص72.

[2] د.ماري كيلجز، مابعد الحداثة:دراسات في التحولات الاجتماعية والثقافية في الغرب،ترجمة: د.حارث محمد حسن، د.باسم علي خريسان، ط1،(الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع،2018)،ص25.

خالقة للوعي وبناءة في الوقت ذاته لأي محاور تحتاج الى البناء على الواقع، فكل ما يمكن تصحيحه ضمن مسارات الحياة الواقعية لا يتأتى الا عبر الفكر والفكر ينتجه الخطاب الثقافي والمرجعية الفلسفية والجمالية لمنتج هذا الخطاب، اذ ان النصوص الادبية ومنها المسرحية وسيط حياتي، ما بين الكاتب والمتلقي، يتمثل بالارتكاز على مكامن مهمة من التفاعلات المنتجة التي تظهر التواصل المعقد بين الفرد والمجتمع فالنصوص تنتشر بالمجتمع ليس لميزتها الداخلية بل لأنها تشكل جزءاً من مؤسسات اخرى كالسوق او النظام التربوي والسياسي، وتلعب دورا هاماً في بناء الثقافة، وتحاول ان تتحكم بالتوترات والتعقيدات على مستوى الافراد والمجتمعات، ذلك ان النصوص الادبية منطقة تماماً مهمة تخلق افكارا ووسيلة من وسائل الهيمنة والتفاعل مع المؤسسات والانظمة ([1]) أي ان تلك الأفكار المنتجة لا يمكن ان تبقى حبيسة الورق وانما تتحول بفعل التلقي الى أدوات بناء وتحكم وإدارة لكل التعقيدات التي تنتاب الافراد والجماعات والمؤسسات التي تحكم هؤلاء الافراد، بحيث القوة الضاغطة للخطاب الثقافي وتأثيراته انما ينتج الحلول الموضوعية لتلك التعقيدات التي تكون ضمن بنية المجتمع أساس راسخ في اشتعال الازمة، وما معالجتها او اداراتها المتوازنة من قبل منتج الخطاب الا الوسيلة المثمرة لإيقاف حدة الازمة عند مراحلها الأولى في المجتمعات وعند الافراد كذلك، وهو ما يمثل قمة الوعي الناتج جراء تلقي تلك الخطابات الثقافية.

ان الازمات المعقدة التي يعاني منها المجتمع،سواء الاقتصادية او الفكرية، او غيرها، لا تتسم بالوضوح وسهولة التلقي اذ غالبا ما تكون مسبباتها غامضة او ذات مرجعيات غير واضحة المعالم ولاسيما عند نقطة شروعها الأولى، وهو ما يحتم على الفنان ومنتج الخطاب لتذليل هذه الازمات وتقريب صورها وتفكيك مسبباتها عبر ما ينتجه بلغة واضحة يمكن تلقيها من الجمهور بسلاسة للتعاطي مع مفاهيم تلك الازمة، مثلما كان

[1] ينظر: آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار ومابعد الاستعمار الادبية، ترجمة: محمد عبدالغني غنوم، ط1، (سوريا: دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع،2007)،ص79.

يفعل الفلاسفة الغربيون مع المفاهيم الفلسفية التي ينتجونها ويقدمونها للمجتمع عبر النتاجات الأدبية والفنية، لذا نرى عبد القادر القط في كتابه من فنون الادب (المسرحية) ((فرض ان يكون للأديب دوراً فعالاً في المجتمع الذي يعيش فيه ومشاركة في قضاياه وبخاصة تلك التي تمثل تيارات التقدم في الفكر والاقتصاد والاجتماع وكل مقومات الحضارة))([1]) فالأديب ممكن ان يحول تلك المعرفة التخصصية وتفصيلاتها بما فيها الازمات الى مسار سلس وواضح يمكن من خلالها تلقيه بسهولة من قبل الجمهور، فالفنون لم تكن يوماً تأطير جمالي وحسب، ولم تنطلق وفقاً لذلك وانما كانت على تماس مباشر وواضح مع جوهر الحياة الإنسانية وازماتها منذ لحظة التعبير الأولى عبر هذه الفنون وحتى الراهن المعاصر، اذ ان ((الفن ذكاء انساني يقوم بدوره فوق مسرح الطبيعة ويحركها في صدق واخلاص الى تحقيق اهداف انسانية))([2]) ومن اسمى واجل الأهداف الإنسانية هو تخليص الانسان من ازماته والأزمات المحيطة، ورسم المسارات الصحيحة له في معترك الحياة اليومي، ان قيمة توظيف الادب لحلحت هذه الازمات لا تبنى عبر ما يمكن انتاجه من لغة خطاب قائمة على ما هو توثيقي تصويري يتسم بالمباشرة التعبوية، وان على الكاتب الملتزم ضرورة معرفية لكي يناقش الازمات ويديرها ضمن نصوصه المسرحية بطريقة يختلط فيها المعنى الأزموي الانساني مع الشكل التخيلي في صياغة نصوصه، فالفن احد اهم أدوات احداث التغيير وإدارة الازمات في واقعنا المعاش بوصفه إدارة مؤثرة جداً ممكن من خلالها دفع الانسان أولا إزاء الفعل المنتج بالواقع وثانياً تعبئته بالطاقة الفكرية القادرة على الوعي بالأشياء والوجود والأزمات التي ممكن ان يواجهها الانسان واليات التعامل مع هذه الازمات، اذ ان ((الفن كشكل من اشكال معرفة العالم من قبل الانسان الاجتماعي، فيستطيع الناس بواسطة الفن ان يستوعبوا الواقع

---

[1] عبد القادر القط، من فنون الادب: المسرحية،(بيروت: دار النهضة العربية،1978)،ص30.

[2] اروين ادمان، الفنون والانسان: مقدمة موجزة لعلم الجمال، ترجمة: مصطفى حبيب،(القاهرة: مكتبة مصر، ب ت)،ص34.

او بتعبير اخر ان يتملكوه روحيا....ان الفن وسيلة جبارة لمعرفة العالم وتغييره من قبل الانسان))([1]) والفن لم يتوقف عن هذا الحد وحسب، بما يحمل من طاقة معرفية كبيرة لتوجيه الانسان وادارته نحو السلوك القويم، الا ان المسرح في الآونة الأخيرة اصبح أداة توعية مهمة على المستوى الفكري والاجتماعي إزاء القضايا المعاصرة التي تستجد على السطح وتشكل أزمات حقيقية للإنسان المعاصر ومنها شيوع مفاهيم الإرهاب وتطبيقاته على مستويات وأنطقة واسعة، فضلاً عن شيوع العسكرتارية المنفلتة بصورة مسلحين وعصابات خارجة عن القانون، اذ تتطلب ((مواجهة هذه الازمات زيادة بعض الإجراءات مثل محاربة تلك الميلشيات والعصابات غير القانونية المشتركة في هذه التراجيديا، وكذلك تفعيل عملية حماية كاملة الأركان، ان تغير هذه الاساطير وكذلك العقليات التي تغذي هذا الطلب وتمده بالوقود هو احد المفاتيح الأساسية وبإمكان الفنون المساعدة هنا أيضا))([2])، أي بإمكان الفنون ان تسهم بتشذيب عقل المتلقي من الخرافات التي تغذي من هذه السلوكيات حتى قبل ان تتحول الى ازمة خطيرة يواجهها المجتمع والفرد ذاته، عبر ما ينتجه مؤلف الخطاب الثقافي من انساق تتعلق بوهن هذه الأفكار ومديات خطورتها التي تشكلها على الحياة المدنية والإنسانية على حد سواء، اذ يبرز دور الفن في مواجهة هذه الأفكار الظلامية التي أوقعت ولازالت العديد من الافراد والمجتمعات في شباكها وتحولت الى أزمات حقيقية يواجهها المجتمع الدولي حتى اللحظة، اذ عبر خطاب الفن يمكن ان تتلاشى هذه الأفكار التي تعد الوقود الذي يشعل فتيل الازمات ويصاعد من وتيرها على حساب مصالح المجتمع الدولي والتي غالبا ما لم تكن أزمات تتسم بطابقها الوحشي وحسب بل تأخذ مسارات أخرى لتعطيل الحياة (الصحية،الاقتصادية، المؤسساتية....الخ) فصورة الإرهاب والفوضى انما تسهم بخلق المزيد من الازمات على

[1] جماعة من الأساتذة السوفيات، أسس علم الجمال الماركسي اللينيني، مصدر سابق، ص262-263.

[2] باتريك كاباندا، الثروة الإبداعية للأمم: هل تستطيع الفنون ان تدفع التنمية الى الامام، ترجمة: شاكر عبدالحميد،(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2022)،ص111.

المجتمعات اذا ما وجدت البيئة الفكرية المختلفة والسطحية التي تمهد لها الطريق إزاء ممارسة كل طقوسها الظلامية وبالتالي هذا النقص بالوعي والتجهيل انما يتحول الى ازمة حقيقية فيما بعد تضرب كل اجراء البنية المجتمعية.

ثانيا: الادب في مواجهة الازمات:

شيئا فشيئا اصبح من أدوار ووظائف الادب هو عمق المعالجة لازمات المجتمع وتدقيق كل تفاصيله التي قد تصيب الافراد والمجتمع بصورة من صور الاضرار بحقوقهم، ففي القرن الثامن عشر اصبح الكتاب من خلال ما يكتبون يتدخلون في الحياة العامة ويحتجون على السلطات الظالمة، ويطالبون بإعادة النظر بالأشياء المغلوطة من تلك السلطان، وكان السبب الرئيس الذي يدفعهم لذلك وهو تقليد الكاتب لوظيفة جديدة في مفهوم الكتابة هو الانقلاب الشامل وتلك الازمة في الضمير الاوربي فالأدب عند كاتب ذلك العصر اصبح ممارسة دائمة لتصحيح الاوضاع القائمة ([1]) ولما كان الادب ممارسة حقيقية وجوهرية لتصحيح الأوضاع السائدة التي تتسم بمعناها الواقعي بظروف معيشية صعبة يمر بها الانسان في تلك المجتمعات، لذا كانت الازمات هي التمثل الاوضح الذي عالجته تلك الآداب لرفع المظلومية على أبناء مجتمعهم ومحاولة مناهضة تلك الازمات عبر تثوير أبناء مجتمعهم تارة وعبر توعيتهم تارة أخرى،مما قرب الادب من الواقعية التي يتفاعل معها الجمهور بصورة اكبر لأنها ترسم المسارات الممكنة للأفراد إزاء ما يحصل على ارض الواقع من مشكلات عدة، ان المرجعيات التي يعتمدها كل الكتاب غالبا ما تكون مستمدة من الواقع، وبخاصة تلك التي تشكل أزمات حقيقية للفراد، فلا يجنح الاديب لموضوعات حلمية فنتازية عابرة لواقعه بوصفه جزءاً من الواقع الذي يعيشه مجتمعه، فكانت الجوانب الإنسانية والواقعية بما فيها من تأزمات هي المداد الذي ينهل منه هذا الاديب او ذاك، اذ ان ((الادب في كل امة هو مرآة عاكسة لتلك الامة، بكل

[1] ينظر: جان بول سارتر، ما الادب، ترجمة: د.محمد غنيمي هلال، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990)،ص 100.

تفصيلات المظاهر الحياتية والمتغيرات السياسية والاجتماعية التي تطرا عليها، ناقلا اياها احيانا بشكل مباشر او من خلال انعكاس تلك المظاهر او متغيراتها على الاديب خاصة او على المجتمع واعضائه بشكل عام))([1]) فكل ما يجري من متغيرات يتم رسمه عبر خطوط ومسارات الاديب، فالأدب له مقولة في كل تلك المواقف سواء الاجتماعية او التاريخية او حتى السياسية والاقتصادية، فكل المتغيرات ينتجها الاديب عبر لغة خطابه الادبي لكي يعكس سيرورة تلك المتغيرات واثرها على الافراد، وليس من المنطق او الضرورات الوظيفية للأدب ان يغفل الاديب ما يعانيه مجتمعه من أزمات، بل ان تلك الازمات تكاد تكون منصهرة ضمن سمات الكتابة لدى الاديب سواء عبر مظهرها الجمالي او حتى الفكري ((بل من الجحود والنكران، والاديب الفنان هو الضمير الحي لمجتمعه وواقعه ان يتعامى عن حياتنا الواقعية الغارقة في البؤس والشقاء حتى اخر درك في من دركات الانحطاط ويتصامم عن صراخ الظلم يقع في كل لحظة من لحظات الحياة على ابناء قومه))([2]) فالأديب هو الصورة الواعية لازمات مجتمعه، ومن خلال ما ينتجه من خطاب ممكن قراءة تلك الازمات وتبعاتها وتأثيراتها على المجتمع، فهو يعكس الصورة الحقيقية التي يعانيها مجتمعه، فالأديب ((لا يكتب بمعزل عن التيار الفكري والحضاري السائد في عصره))([3]) بل كما اسلفت ان تلك الازمات هي مرجعياته في الكتابة، على مستوى التعاطي معها او تصويرها او حتى نقدها ومناهضتها والعمل على حلحلت خيوطها ونزع فتيلها وتقديم الخلاصات التي يمكن للإنسان ان يتكيف مع الأوضاع الجديدة التي يقدمها لها الاديب من دون ان تمسه شرارة تلك الازمات المتنوعة.

ليس هذا وحسب بل الادب تحول الى إداه إصلاحية مهمة للثورة ضد ازمة الفساد بصورها المتنوعة، ذلك يعود الى أن ما طرأ على المجتمع الإنساني من تطور اقتصادي

---

[1] ا.م.د.اريج كنعان حمودي، مصدر سابق، ص107.

[2] عبدالله نيازي، الادب والثورة، (بغداد: دار الجمهورية، 1969)،ص3.

[3] ا.م.و.تيليارد، الادب في عصر شكسبير، ترجمة: نبيل حلمي،(القاهرة:دار المعارف، 1971)،ص16.

وسياسي وفكري في مطلع القرن العشرين، وما لحق به من حروب طاحنة عالمية ومحلية وما استجد من نظم سياسية وما خاضته بعض الدول من ثورات وصراعات لنيل الحرية والاستقلال كل ذلك فرض على الأديب دورا فعالا في المجتمع الذى يعيش فيه والمشاركة في قضاياه بما يضمن مواجهة الفساد، فالأدب في نظر بعض الباحثين اصبح أداه من أدوات الاصلاح الاجتماعي بوصفة وسيله من وسائل الدعاية الثورية ضد الممارسات الفاسدة ([1])، فعبر ما ينتجه الادب من صور مناهضة للفساد بمختلف مظاهره (اجتماعي، سياسي، أخلاقي، اقتصادي) انما يمثل الوعي الكامل إزاء تجنب هذا الفساد ومحاربته والتخلص منه وبالتالي تحقيق الإصلاح الشامل عبر الثورة على مفاهيم هذا الفساد المتنوع. او كما يقول الناقد السوفياتى ف.م. زيمنكو بان ((الأديب عضو قائد في المجتمع، إنه وجه جماهيري، إنه هو نفسه رجل سياسة))([2]) فالأديب عبر ما ينتجه من خطابه الادبي يشتمل على المحاور المتعددة (سياسية، اقتصاد، اجتماع....وغيرها) ان الاديب قائد شامل وموجه في المجتمع لإدارة الجماهير بطريقة الإدارة السياسية لتلك الجماهير عبر ما ينتجه من وعي وفكر في تسهم في توجيه الجماهير نحو الجادة السليمة والابتعاد عن كل السلبيات في تلك الحقول التي يشير لها في نتاجه الثقافي، ولكى يصل الأديب إلى هذه الوضعية كان لابد أن ترعاه المؤسسة وتوجهه منذ البداية، او كما ذهب جان بول سارتر بقوله المهم بان يصبح الأديب الملتزم هو ضمير المجتمع وناصحه الأمين، وطفله المدلل في الآن نفسه، أي يصبح هذا الاديب هو الموجه الحقيقي والمدير لكل سلوكيات وتصرفات هذا المجتمع عبر ما يقدمه من رؤية ملتزمة متزنة تتماشى وتقديم الحلول المثمرة لإفراد مجتمعه لخلاصهم الدائم من طبيعة الازمات وتبعاتها، فعشية الثورة كان الكاتب يتمتع بخط عجيب بحسبه فيه ان يدافع عن مهنته ليصير قائداً

---

[1] Elizabeth and Tom Burns, Sociology Of Literature and Drama, London, Penguin Books, 1973, P.374.

[2] ينظر: حسين مُرُوَّة، قضايا أدبية، ط1، (القاهرة، دار الفكر، 1956)، ص27.

لاماني الطبقة الصاعدة، وكان الكاتب يعرف هذا، ويعد نفسه قائدا ورئيسا روحيا، ويواجه التبعة فيما ينتج عن موقفه ([1]) فالكتابة الملتزمة تتحول الى قدرة قيادية عبقرية ممكن من خلالها احلالها السلام او تثوير الجماهير او تبديد المخاوف والاحزان والأزمات التي تعتري هذه الجماهير. وفي اوج الازمات يحتاج المتلقي الى كاتب يمتلك الوعي وناصية الحقيقة لكي يدرك حقيقة ما يعتري مجتمعه من أزمات ومشكلات، ولكي يوضح خيوط تلك الازمة وكيفية تفكيكها بوضوح وشفافية عبر ما ينتجه من معرفة دقيقة بحيثيات ازمة مجتمعه، اذ ان مهمة الكتابة في أوقات الازمات ايا كان نوعها تكمن في جعل المعلومات التي تري ايصالها معروفة ومفهومة لتحدث تفاعلا واثراء عبر استخدام الحقائق والكلمات لنقل الافكار والمعلومات يتفاعل بمقتضاها المتلقي عبر مضامين اجتماعية واقتصادية وسياسية معينة، بحيث تتوافق مضامين الرسالة عند المرسل والمتلقي بما يحقق فهم المعلومات ويستخدمها في تجاوز الازمة باقل الخسائر الممكنة ([2]) وهو ما يتسق مع المعنى الدقيق لإدارة الازمة من خلال ما يتم تقديمه من معلومات دقيقة تسهم بتقليل حدة الازمة او إيجاد الحلول العملية لها، وليس تتويه الجمهور بهالة من الغموض والرموز التي لا يفهم منها شيئا سوى الانغمار اكثر من اتون الازمة ومظاهرها.

ولان الادب الواقعي كان مفرطاً بما تحمله الكلمة من معنى بأزمات المجتمع والافراد، فقد اطلق مفهوم ادب الازمة على الاعمال الادبية التي تتناول فترات الارهاب والحروب والظروف الاقتصادية العاصفة والتي تتسم بالخوف وسنوات الالم والقتال وهيمنت الجماعات المسلحة والعنف والمحن التي تلم بالمجتمعات والجرائم التي تتسم بالفظاعة والهمجية والتي تجعل الكتاب احيانا يستخدمون لغة كتابة ناقد او تشاؤمية او رؤية

[1] ينظر: جان بول سارتر، ما الادب،مصدر سابق، ص97-98.

[2] ينظر: ا.د.عبدالرزاق محمد الدليمي،الاعلام وادارة الازمات،ط1، (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2012)،ص18.

فجائعية وهي كتابات أحيانا تنزع نحو الموقف لا الاعتبار الجمالي([1]) أي غالباً ما يمكن تشخيص تلك الازمات بشيء من الموقف الملتزم إزاء ما يجري من أزمات وبخاصة تلك الازمات الكبرى التي لا يمكن معها استخدام لغة الخيال او العاطفة المفرطة إزاء ما يجري من كوارث ومخاطر تحيط بالمجتمعات، فتحضر اللغة التحذيرية او التشاؤمية والتنبيهات التي تكون على شكل اظهار مواقف تحذيرية او تحريضية إزاء ما يجري على ارض الواقع وكيفية التعامل مع تلك الظروف العصيبة، لذا نرى الكاتب التونسي (حكيم مرزوقي) يرى ان في زمن الحروب والازمات ينشط ادب يمكن ان نطلق عليه بـ " ادب النكبات" وهو توصيف يخص المضمون والمحتوى والذي يصور ما يشهده العالم من اضطرابات بطلها الانسان تؤرخ من خلالها الازمات التي تعيشها الانسانية ([2]) أي تأخذ رسائلها طابع التحذير او الفكر الإيقاظي إزاء تلك الازمات وما يمكن ان تنتجه من ويلات على المجتمع او صورة من صور التثوير ضد الأطراف المضادة بخاصة في حالة الحروب يكون الادب الملتزم بشكله التعبوي القائم على محاكاة الازمة والوقوف مع طرف دون الاخر من اجل الاسهام بحالة التثوير التعبوي للجماهير، ان الاديب الان قائد حقيقي ينتج خطاب ثقافي ممكن من خلاله ان يقود الجماهير نحو الجادة ونحو الهدف المرجو ونحو الوقوف إزاء ما يجري من الازمات وإزاء ما يجري من احداث مختلفة، وهذا ما يؤكده محمد عابد الجابري الذي يرى ان المثقفين هم اولئك الذين ((يعرفون ويتكلمون ليقولوا ما يعرفون وبالخصوص ليقوموا بالقيادة والتوجيه في عصر صار فيه الحكم فنا في القول قبل ان يكون شيئا اخر))([3]) أي ان قيادة الفكر هي القيادة المثمرة إزاء الازمات

---

[1] ينظر:كريمة قطيب، ادب الازمة في الرواية الجزائرية المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، باشراف الاستاذ الدكتور سليمان قوراري، (الجزائر: جامعة احمد دراية ادرار،كلية الاداب واللغات، قسم اللغة والادب العربي، 2020)،ص20.

[2] ينظر: حكيم مرزوقي، ادب النكبات: كتابة عاطفية تنشط في زمن الحروب والازمات، صحيفة العرب،(لندن)، السنة 45، العدد 12515، بتاريخ 8/25/ 2022، ص13.

[3] هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة،(القاهرة: دار رؤية للنشر، 2013) نقلا عن سمية وطار وظريفة مرزوق، تجليات الازمة في الرواية الجزائرية: رواية مقبرة الياسمين لإبراهيم وطار انموذجا، رسالة

وادارتها، وهي القيادة التي من خلالها النفاذ الى اذهاب الناس بصورة غير قهرية وانما بحالة من حالات الوعي المستنير القائم على لغة شفافة تنفذ الى الاذهاب مما يسهل عملية تطبيقها على ارض الواقع والخلاص التام من الازمات التي يمكن ان تعالج بما ينتجه الاديب من أفكار تستطيع التغلب على حدة تلك الازمات.

ماجستير غير منشورة، بأشراف الدكتور باديس فوغالي، (الجزائر: جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والادب والعربي،2018)، ص142.

الكتابة وأزمة الثورات في المجتمع الغربي:

تشكل الثورات والاحتجاجات احد اهم أزمات المجتمع الغربي بما فيه من تحولات، وهي الأخرى لم تجيء هكذا بصورة اعتباطية لولا ما سبقها من أزمات مهدت الطريق لهذه الثورات، ولان الكتاب هناك في الغرب يميلون كثيراً الى توظيف الكتابة بوصفها من محفزات الجماهير وتثويرها، بخاصة ان كانت تتعلق هذه الثورات عبر الاطاحة بالأنظمة المستبدة، او محاولة عبور ازمة معينة يمر بها المجتمع الغربي، وعبر وسيط اللغة ممكن ان تتحقق هذه الرغبة لدى هؤلاء الكتاب ((فاللغة في احد مظاهرها اطوع الادوات تحقيقا لأغراض الانسان العملية))([1]) ان الكتابة هي كشف جديد عن الحقيقة وعن معنى تلك الحقيقة من خلال زوايا رؤية الكاتب، أي ممكن ان تسهم هذه الكلمة بتصحيح المسار للأفراد وتقويمهم إزاء ما يجري في الواقع من مشكلات ((فاللغة، الكلمة، بالنسبة للكاتب هي مادة اداءه لأنشاء الصور الفنية التي تعكس الواقع واللغة هي أداة تطوير التفكير الإنساني بشكل عام، وبالتالي التفكير الفني، الا ان هدف الادب ليس العمل على رصف كلمات فارغة بل على الكشف بمساعدة الكلمة عن معنى الحياة الاجتماعية الذي وجه هذا الفنان في احداث الواقع الحقيقي))([2]) فممكن من خلال الكتابة الكشف عن طبيعة الازمة، أسبابها، أساليب حلولها، وتقديم ذلك عبر ما ينتج من خطاب نصي الى المتلقي وبالتالي العمل على توضيح ما يشتمل على الغموض من اطراف الازمة، وما يشتمل على الحلول بالنسبة للمتلقي وكيفية تعامله مع هذه الازمة، وغالبا ما كانت الكتابة الحصن الذي يلتجأ له الجمهور بخاصة خلال الثورات والاحتجاجات والتي تنطلق من دعوات المفكرين والادباء للخلاص من أوجه الظلم التي يمر بها المجتمع، بخاصة اليوم في ظل موجات الانفتاح الكبيرة التي يشهدها العالم وتقارب الازمات، أصبحت الكتابة تكاد يكون همها واحد والأزمات التي تعالجها متقاربة، لان مصائر البشر باتت تتجه الى

[1] اروين ادمان، مصدر سابق، ص57.

[2] جماعة من الأساتذة السوفييت، أسس علم الجمال الماركسي اللينيني،مصدر سابق،ص49.

الأحادية في ظل القطبية التي تحكم العالم وأنظمة العولمة والتطورات التقنية المستمرة، اذ ان ((الادب يتفاعل مع المتغيرات الثقافية والاجتماعية الصحية والاقتصادية والسياسية وغيرها، اي هو ما يعكس هذه التصورات بشكل تلقائي لأنه يعكس حركة الحياة بكل ما فيها من ايجابيات وسلبيات، وفي ظل انفتاح دول العالم بعضها على بعض فان التطورات التي تجري على الساحة العالمية الان تمس الادب العالمي بوجه عام خصوصا اذا كانت التطورات عميقة الاثر في حياة البشر، ويعد الابداع تفاعلا لعدة عوامل صحية وعقلية وبيئية واجتماعية وشخصية، وينتج هذا التفاعل بحلول جديدة تم ابتكارها من مواقف العملية او النظرية في اي من المجالات العلمية او الحياتية))([1]) والكتابة لم تكن حبيسة اللحظة الانية لمعالجة أزمات انية وحسب، بل ان دورها الايقاظي التوعوي التنويري يشتمل على ما تضمه هذه اللغة التعبيرية والفكرية من تنبؤات ممكن ان تشعل لحظة التنوير والوعي لدى الجماهير، في سعي الكتابة الى تحقيق عالم مستقبلي جديد خالٍ من الازمات،لتجاوز كل فرضيات الواقع ومشكلاته او حتى محاولة النقد الثائر لسمات الواقع المعاش وفرضياته المستمرة حتى وان كان هذا الاحلال بعد حين، اذ ان ((الازمة مزدوجة بطبيعتها فهي من جهة تعبر عن عجز الواقع عن مواكبة الفكر، وذلك لان الفكر بطبيعته اكثر مرونة على التحرك في اتجاه المستقبل وتخطي الموجود بالفعل، وهكذا رأينا المفكرين والفنانين والادباء في عصر النهضة الاوربية مثلا يتطلعون بإنتاجهم الثقافي الى عصر جديد لم يكتمل تحققه الا بعد قرنين على الاقل، ورأينا ادباء عصر التنوير وفلاسفته يسبقون الثورة الفرنسية قبل قيامها بعشرات السنين ويمهدون العقول لتغيير حاسم يتجاوز بكثير اطار الواقع الذي يعيشون فيه))([2]) وبهذا التطور والتحول المهم اصبح ممكن قراءة تلك الازمات التي تحصل تاريخيا في

---

[1] لعياضي احمد،د.بوساحة سهيلة، واقع وتحديات الادب المترابط في ظل جائحة كورونا، ملحق مجلة الجامعة العراقية،(العراق)، وقائع المؤتمر الدولي الاول "التعليم الرقمي في ظل جائحة كورونا)، العدد (15/ 2)،لسنة 2020، ص395.

[2] فؤاد زكريا، خطاب الى العقل العربي، مصدر سابق، ص13.

المجتمع الأوربي، سواء ثورات او احتجاجات او حتى غيرها من صور الانتقاد الجماعي الواقعي، انما ممكن من خلال ما ينتج من خطابات كتابية ان نفكك تلك الازمات ونرجعها الى مسبباتها وندرك من خلالها التاريخي الحقيقي لتلك الوقائع، وهذا ما يمكن ان يعزز الارتباط الدقيق بين هذه الاحداث وما ينتج من كتابة عن تلك الاحداث من نصوص تسعى امام الاسهام بحل الازمة او تثويرها من اجل محاولة إحلال واقع جديد بدلاً من الواقع السائد آنذاك،اذ ان ((الواضح هو الطريقة التي لم يعد فيها العلماء عند كتابتهم عن الثورة الفرنسية والادب البريطاني يفكرون فقط من حيث العلاقة السببية المباشرة بين الاحداث التاريخية والانتاج الثقافي ولكنهم يعتبرون الان ان النص والسياق مرتبطان ارتباطا وثيقا بجميع المستويات واثراء بعضها البعض في جميع الاوقات، هذا يعني ان اكثر الاعمال اثارة للاهتمام التي لدينا اليوم في هذه الفترة لم تعد مجرد دراسات بسيطة لتأثير الثورة الفرنسية على الادب البريطاني بدلا من ذلك فهم يتعاملون مع القضايا الاكبر التي تجلب الثورة الفرنسية وما ينتج عنها من احساس بالأزمة كعناصر مهمة في السياق))([1]) فممكن من خلال ما انتج من كتابات عن هذه الثورة او خلالها، ادراك الحقبة المؤثرة والاضطرابات الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في فرنسا آنذاك واثرها العميق على اوربا، وليس انتهاء بأزمة السيطرة البرجوازية والاستعمار مع الفترات الاشد عنفا في المفصل السياسي،ناهيك عن ازمة الصراعات العسكرية التي سميت فيما بعد حروب الثورة الفرنسية، اذ ان ((ابان اعوام الثورة الفرنسية وفي ظل نابليون وخلال الاعوام التي تلت سقوطه، اوشكت فرنسا ان تنفق جهدها كله في الحرب والسياسة، وبذلك قضت من حياتها اربعين عاما لم تشهد خلالها من الادباء والاعلام الا نفرا قليلا، لكنه لم يكد ينقطع ثلث القرن التاسع عشر حتى نهضت طائفة من الادباء اعادت للأدب الفرنسي سالف مجده، واقامت الدليل على ان اللسان الفرنسي لم يزل

[1] ياسر حبش، الثورة الفرنسية والادب الانكليزي، صحيفة الصباح (بغداد)، الخميس 20 تشرين الاول 2020، العدد 5520،ص15.

قويا، وكانت هذه الطائفة الجديدة الناهضة من الادباء ترتبط كلها معا برباط من مذهب واحد، كما هي العادة المألوفة في تاريخ الادب الفرنسي، افرادها من الشباب المتحمس الذي ينظر الى الماضي نظرة الساخر ويلقي ببصره نحو المستقبل فيرى املا يبهر الانظار فلم يترددوا في رفع علم الثورة على تقاليد الادب الاتباعي بغية ان يمهدوا الطريق لمذهب جديد يريدون له السيادة))([1]) ان ازمة النظام الملكي الفرنسي ونظام الاقطاع والنبلاء والازمة الاقتصادية (الجوع،سوء التغذية، ارتفاع اسعار المواد الاساس كالخبر والمحاصيل) فضلا عن الكوارث الطبيعية وازمة وسائل النقل التي تنقل القمح من الارياف وازمة الدولة الاقتصادية (الافلاس نتيجة الحروب) هي ازمات متعددة اسهمت باندلاع الثورة الفرنسية، ناهيك عن رغبة الجماهير بأنهاء طبقة الاقطاعية وانهاء تأثير الكنيسة على السياسات العامة للدولة، والتطلع نحو الحريات والمساواة السياسية والاقتصادية،ان الادب هنا اتخذ وسيلة لتحقيق اغراض عملية، واصبحت الكتابة اداة لنقل الافكار الى الجمهور، اي اصبحا ادبا تطبيقيا، وباتت الكتابة بمحصولها الفكري لا بجمالها الفني، واصبح الادب وسائل لغايات والكتابة كلها ادوات للدعاية السياسية على ايدي الفلاسفة ورجال الفكر في الحركة الثقافية الفرنسية الجديدة لمحاربة النظام القائمة في الدولة والكنيسة معاً. مثلا كان مونتسكو في كتاباته مصلحا ينشد الحرية لقومه ([2]) وهاجم اباطيل الكنيسة والدولة والمجتمع خاصة في كتابه (خطابات فارسية) اما فولتير فكان ينشد الحرية، وسخر بكتاباته من القساوسة والملوك والطغاة الظالمين، وكان دنيس ديدرو احد اهم جماعة الفلاسفة الذين ارادوا قلب المجتمع عن طريق التنوير العقلي، وبعض هؤلاء لم يكن فيلسوفاً ومنظراً وحسب بل وكتب في المسرح أيضا، ومن خلال ديرو ولد ما يسمى بمصطلح (الدراما البرجوازية) او (المأساة البرجوازية).

[1] زكي نجيب محمود واحمد امين،مصدر سابق، ص124-125.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص338.

ليس هذ وحسب بل ان اوربا بما عانته من سلطات ظالمة تتمثل بالأنظمة الاستبدادية وهيمنة الطبقية والظروف الاقتصادية الصعبة التي مرت بها المجتمعات سواء في فرنسا او المجتمع الأوربي بصورة عامة اذ ان ((فشل السياسات الاجتماعية وعنصرية الادارة وصعود اليمين المتطرف وانتشار التطرف الديني والمذهبي، فالتراكمات الاجتماعية وغياب سياسة عادلة للاندماج الاجتماعي مع سيادة قوانين التمييز والتفرقة كانت في عمومها سببا مباشرا في الانتفاضات الاجتماعية والثقافية))([1]) ان صعود بعض التيارات والاحزاب اليمينية المتطرفة التي تدعو الى حماية الاعراف المجتمعية والتقاليد والتي تدعو الى استخدام العنف ولغة السلاح لحماية هذه التقاليد والقيم ساهم بتعزيز الازمات في المجتمع الغربي وليس حلها، فضلاً عن ازمة النظام الحاكم ذاتها التي تسيء استخدام سلطاتها إزاء الجماهيري كل ذلك واكثر ساهم باندلاع شرارة الاحتجاجات والانتفاضات الفكرية والاجتماعية في المجتمع الأوربي الذي ضاق ذرعا بشكل الحياة السائد هناك والذي بات يشعر انه نظام مقيد لحرياته وكرامته في العيش، وكل ذلك ينتج عبر كتابات المفكرين والكتاب لتلك البلدان الذين كانوا دائما ما يسهمون بنقد تلك الأنظمة وما تسببه من أزمات، مثلا يرى تولستوي في روايته الشهيرة (الحرب والسلام) الصادرة عام 1869 والتي ((صور فيها ما مر على روسيا من أزمات وكوارث وماس خلال حملات نابليون بونابرت في الحرب الروسية الفرنسية بين عامي 1805-1812 ان سنة واحدة من الحروب تفسد المجتمع اكثر مما تفسده ملايين الجرائم لعشرات السنين))([2]) فكان ينتقد هذه الحرب ويدعو الى السلام بديلاً لهذه الحروب التي لم تشكل الى عبء على

[1] مكي سعد الله، دراسات مابعد الكولونيالية الفرنسية: قراءة في خلفيات الموقف والتصور، مجلة (تبيُّن)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا، (الدوحة)،المجلد 10، العدد 39،شتاء 2022،ص24.

[2] د.أبراهيم الحيدري، الشخصية العراقية: مرحلة ما بعد السقوط وتشوهات الشخصية، ط1، (بغداد: دار عدنان للطباعة والنشر والتوزيع،2019)،ص160.

المواطنين وازمات حقيقية أوقعت فيها المجتمع تحت طائلة المعاناة وشظف العيش والكوارث المستمرة على الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وفي المانيا جابهت الكتابة النظام الفاشتي الهتلري بقوة، وعرت هذا النظام بوصفه من الازمات الحقيقية التي مر بها المجتمع الألماني، مع هذا فقد فر ما يقارب ((مائتين وخمسين اديب من جحيم النازية 1933-1945ومحارق الكتب ويلجئون الى المنفى او المهجر او الصمت او الموت، ويظهر ادب الماني مختلف الاتجاهات والموضوعات ولم يعرفه القراء في وطنه الاصلي الا في الخمسينات ولكنه اتفق في شيء واحد هو مقاومته لهتلر وعصابة الجنون والطغيان على صفحات الصحف والجلات التي انشأها المنفيون في المهجر كالأرواق الالمانية الجديدة والكلمة والمجموعة وفي بعض الكتب التي تمكنوا من نشرها في طبعات محدود، كانت الكتابة بالنسبة اليهم هي الفعل وكان الفعل هو المقاومة بالكتابة))([1]) أي تحولت الكتابة لديهم الى مقاومة حقيقية لهذا النظام الاستبدادي الذي خلق للألمان حياة جديدة مدادها الموت والطغيان والتحكم بمظاهر الحياة بأسلوب التخويف ولغة السلاح، وهذا ما لم يألفه المفكر والكاتب الألماني الذين راح بعضهم يواجه النظام الفاشستي عبر أداة الكلمة بوصفها المقاومة الفكرية الانجع لفضح النظام وتثوير الجماهير ضده. ليس هذا وحسب بل ان الكتابة وتياراتها لم تقف مكتوفة الايدي حتى مع نتائج الازمات وما يتمخض عنها، بخاصة بعد الثورة الصناعية وتطوراتها والاثر السلبي الذي تركته على المجتمع الألماني بوجه خاص والمجتمع الأوربي بصورة عامة، اذ ان حركة التعبيريون بداية القرن التاسع عشر والتي أمن بها العديد من الشباب المنتمي الى الطبقة البرجوازية المثقفة استطاع هؤلاء المثقفون الشباب خلال مدة نهاية القرن حينما كانت ((الاحداث السياسية قد استقرت الى حد كبير- ان ينفذوا من خلف الواجهة الثابتة الى مجتمع تسوده اخلاق زائفة ورفاهية تعتمد على الاستغلال في الانتاج

[1] باربارا باومان، بريجيتا اوبرله،عصور الادب الالماني: تحولات الواقع ومسارات التجديد، ترجمة: هبة شريف، (الكويت: عالم المعرفة، 2002)،ص34.

الصناعي، ووقف هؤلاء الادباء ضد التقدم التكنولوجي وانتقدوا الوضعية في العلوم ونظروا بعين الشك الى تصاعد النزعة الوطنية والعسكرية واثارها الاجتماعية السلبية بسبب التحولات السياسية الخطيرة التي تحولت فيما بعد الى حقيقة مخيفة عندما نشبت الحرب العالمية الاولى 1914-1918 وراي التعبيريون ان الفرصة الاخيرة لإنقاذ البشرية والعالم من الانهيار هي تغيير الفرد نفسه فيتغير المجتمع بالضرورة))([1]) أي ان تيارات الكتابة أضحت ترتكز على فرصة التغيير (للأفراد/ ذاتهم) من اجل تغيير المجتمع، والخلاص من كل ازماته التي يعانيها والتي اصبح معضلة العصر آنذاك ولا يمكن الخلاص منها وادارتها الا عبر إدارة الفرد (لذاته) بصورة حكيمة، تخلصه من موارد الاستغلال البشع له كفرد من افراد المجتمع المتقدم صناعياً مع فورة التقدم الكبرى للتصنيع ومظاهره التقدمية التكنولوجية، وما سبب ذلك من ارهاصات مجتمعية واضحة على الافراد آنذاك، هذه الازمات التي كانت تسيطر على تفكير المواطن الغربي بالضرورة انعكست على مفاهيم الكتابة، بخاصة في منتصف القرن التاسع عشر فقد ((اصطبغ الفن والادب بمشاهد الحرب وانهيار العالم التي انعكست في الاعمال الفنية والادبية في ذلك الوقت، وكانت الموضوعات السائدة في الفن والادب هي رؤى نهاية العالم والطوفان ويوم القيامة، وتصاعد تصوير الموضوعات الى درجة كبيرة، ليصل الى درجة الحماسة الملتهبة، وسيطر على الاسلوب الفني البحث عن انسانية جديدة، فقد سادت الرغبة في التغلب على الاحباطات، ونادى الادباء في برامجهم ومنشوراتهم بالتحول والاقتصاد على التفكير المهم، واعلنوا رفضهم للحرب وكل مظاهر العنف واتجهوا الى تحسين العالم من خلال التفكير السلمي))([2]) أي ثمة محاولات جادة من الكتاب في أعمالهم الأدبية والفنية، للخلاص من هيمنة الإحباط والقلق ورفض الحرب وصناعها واشكالها كافة، والتخلص من كل مظاهر الاستبداد والعنف ومحاولة سيادة لغة التفكير السليم الجديد الذي

[1] المصدر نفسه، ص 282.

[2] المصدر نفسه،ص283.

يمكن ان يخلص الانسان الغربي من ازماته من دون تعقيد، مثلاً بعد 1945 في المانيا الحديثة الديمقراطية ((ارتبط الادب في المانيا الديمقراطية منذ بدايته بمعايير الدولة ففي الدولة الاشتراكية كان الادب يعد سلاحا يستخدم في الصراع الطبقي ومن هنا وقعت على جميع الفنانين مهمة اجتماعية هي المشاركة في دعم ومساندة هذا الصراع وفي المانيا الديمقراطية كانت مهمة الادب من وجهة نظر الحزب الحاكم هي كتابة ادب اشتراكي قومي))([1]) أي ان الادب هنا انخرط تحت طائلة الدولة الاشتراكية، لتوجيه النقد الى الصراع الطبقي المتمثل بهيمنة البرجوازية، بما فيها من مساوئ وتعزيز المفهوم الاشتراكي بوصفه من الحلول الأقرب للمواطن الألماني، ومن عام ((1956 بدأت مرة اخرى المناقشات حول الادب فقد كان الحزب الحاكم يطمح الى ارتباط اقوى بالأدباء وفي اجتماع للحزب بدأت المطالبة مرة اخرى بضرورة تصوير حياة وكفاح الطبقة العاملة في الفن، وفي عام 1959 جاء اقتراح بان تقدم الشركات والمصانع الفرصة للفنانين لكي يطوروا من تطبيق اسلوب الواقعية الاشتراكية فحصل العديد منهم على منح واطلع اخرون على سير العمل في المصانع وفي عام 1956 وفي مؤتمر الادباء وضع برنامج ثقافي شامل اطلق عليه برنامج "بيترفيلد " وكان هدف هذا البرنامج هو اعطاء الادب الاشتراكي اطارا اوسع))([2]) ان الحزب الشيوعي بات يخلق منظومة جديدة من الكتابة تقوم على توظيف الادب لدعم الايدولوجية الاشتراكية ومحاولة خلق وعي إزاء هذه الايدولوجية المتمثلة بنقضها التام والجوهري لكل ما جاءت به الرأسمالية والطبقة البرجوازية، وهو ما سعت لتنفيذه من خلال برامجها الثقافية والنتاجات الأدبية لكي تسلط الأضواء على حياة البروليتارية (الطبقات العمالية) وكسب هذه الطبقات باتجاه استخدامها كسلطة ثورية ضد الطبقة البرجوازية وما تنتجه من خطابات طبقية، فنتجت الكتابات التي ترتكز على ما يسمى بأدب البروليتارية او ادب الطبقة العمالية ومنها المسرح البروليتاري، ثم

[1] المصدر نفسه،ص378.

[2] المصدر نفسه، ص 383.

ستجيئ انتقالة نوعية جوهرية مهمة في هذا المضمار اذ بدأت ((المرحلة الثالثة في ادب المانيا الديمقراطية في عام 1960 تقريبا عندما بدأ دعم العمال الذين يكتبون الادب وساد في تلك الفترة مفهوم الي عن تأثير الثقافة الانعكاسي المباشر على الاقتصاد))([1]) أي اصبح من يسهم بإنتاج الفكر الادبي عبر ما يكتبه هم ذاتهم الطبقة العمالية، وقد اشتملت هذه الكتابات على قضايا العمال ومعاناتهم، كتابة تلتقط حياة العمال ونضالهم وكفاحم من اجل حقوقهم بتعبيرات ثقافية تعكس موقف هذه الطبقة العمالية، والادب العمالي يستند بخلفيته الايدولوجية الواضحة الى الفكر الطليعي التقدمي الاشتراكي معززين هذا الادب بالكلمة والموقف ضد الة الاستغلال الرأسمالي، في محاولة لتحسين ظروفهم الاقتصادية، وفي الوقت ذاته يطرحون ظروفهم القاسية مع العمل وهم بهذا يمارسون الوظيفة الاجتماعية في ادبهم هذا، وفي هذا انتجت بعض الاعمال والكتابات عن حياة عمال المصانع والمناجم.

وبانتقالة الى مجتمعات مابعد الحداثة، واسهام الكتابة في هذه المجتمعات عبر الوسيط المعرفي لإنتاج خصوصية جديدة قائمة على استشراف ماهو مستقبلي وعبور الازمات السابقة التي كانت الحائل دون دور هذا المجتمع مابعد الحداثي، اذ ان ما بعد الحداثة تمثل حالة المعرفة في الدول المتقدمة التي تسهم بتغير الفنون والآداب منذ نهاية القرن التاسع عشر، وتولي اهمية لقيمة الثقافة في توجيه المجتمعات، والتي تعتمد على التبادل بين المجالات الثقافية والاقتصادية وحتى الاجتماعية والسياسية، مما يسهم ببروز سمات ثقافية جديدة في الحياة الاجتماعية اذ تتجه مجتمعات مابعد الحداثة نحو ماهو مستقبلي ويمكن استشرافه، والمعرفة عنصر قوة في هذا المجتمع مابعد الحداثي، ناهيك عن سقوط الانساق المغلقة ومنها الماركسية الجامدة والرأسمالية المتعصبة لحرية السوق، ويتحول المجتمع مابعد الحداثة من مجتمع منتج للسلع الى مجتمع الخدمات، فهو مجتمع المعرفة ومن يملك هذه المعرفة بإمكانه ان يحكم العالم، واللغة في فلسفة

[1] المصدر نفسه، ص383.

مابعد الحداثة هي اداة انتاج للحقيقة والكشف عن الواقع([1]) فمن خلال هذه المعرفة وأدواتها يمكن ادراك الحقيقة في واقعنا بما فيه من أزمات جاثمة على هذا الواقع وممكن تخطيها عبر ما تنتجه هذه المعرفة من قوة، في توجيه وإدارة المجتمع نحو الجادة السليمة. وهذا ما يمكن ملاحظتها في العديد من المجتمعات اليوم بخاصة تلك التي تنتابها العديد من صور الازمات، لذا يجب على ((الادب ان يظل نقديا حتى يتحول النقد الاجتماعي الى نشيد للأمل، وربما سهل ذلك حقيقة ان الادب في امريكا اللاتينية كان باستمرار اداة مستقلة للمعرفة الاجتماعية، وكان الاداة الوحيدة في احيان عديدة))([2]) فمن خلال الادب في أمريكا اللاتينية يتم تنفيذ العديد من الحملات الإصلاحية والتنويرية وتسليط الضوء على العديد من السلبيات في هذه المجتمعات، وبخاصة المسكوت عنه في بنية تلك المجتمعات في محاولة تسليط الأضواء على تلك الازمات واثرها الإنساني على افراد هذه المجتمعات، فكانت البيئات المحلية لهذا الادب هي من اوصلته للعالمية لأنها سلطت الأضواء على قضايا إنسانية تتسم بحدة التأثير والتعاطف معها، ناهيك عن السيرورة الديموغرافية التي تحولت في تلك المناطق ففي منتصف القرن التاسع عشر في امريكا اللاتينية اصبح ((الأدب يحاول ان يضبط نفسه وفق العملية الاجتماعية لأمريكا اللاتينية التي تشهد نموا غير مناسب للعواصم وافراغا للريف من خلال عملية هجرة داخلية لم تنته بعد، تتحول المدن الى تركيبة درامية للبلد فالغنى الفاحش والفقر المدقع، الثقافة والامية، ناطحات السحاب والعشش الهامشية، وسائل الراحة الحديثة وكفاف اشكال البدائية، الخ تتعايش جميعها في مجالات متلاصقة وانية، وليس ثمة حاجة للذهاب الى الريف للعثور على موضوعات جديدة، فقد اتى الريف الى المدينة

[1] منى مصيلحي حبرك، اشكاليات وتحديات المسرح في مجتمع مابعد الحداثة، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، (القاهرة)، ج1، العدد الثامن، اكتوبر 2016، ص 276-279.

[2] سيزار فرناندث مورينو، ادب امريكا اللاتينية، القسم الثاني، ترجمة: احمد حسان عبدالواحد، (الكويت: عالم المعرفة، 1988)، ص250.

وطرح بخشونة مشكلات كانت تبدو بعيدة او تخيلية فانتازية))([1]) كل هذه الازمات شكلت عبء كبير وضغط فاعل على العملية الكتابية هناك، والتي راحت تصور كل تلك الماسي التي يمر بها الانسان في سبيل تسليط الضوء عليها ولفت انظار الحكومات الى ما تعانيه تلك المدن والبلدان من ماسي كبيرة تكاد تكون خافية على المجتمع الدولي.

ان اهتمام الكتابة الأدبية بأزمات الواقع ومشكلاته اليومية الحياتية،بخاصة في الحقب التي تجيء بعد الازمات الكبرى، انما انتج نوع جديدة ومفهوم جديدة من الكتابة التي تسمى بالكتابة الملتزمة، أي بمعنى ان الالتزام بعد نهاية الحرب العالمية الثانية تقريبا جعل الكلمة الإنكليزية تكتسب ((معنى يكاد يكون جديدا، والالتزام في الكتابة الدرامية، هو الالتصاق بمعالجة مشاكل الجماهير لا على أساس مجرد تصوير تلك المشاكل دراميا، ولكن على أساس المطالبة التغيير الى الأفضل وبتقديم الحلول المثلى))([2]) أي ان محاولة التغيير للأفضل عبر انهاء الازمات وتقديم الحلول انما يشكل معنى اخر من معاني إدارة الازمات التي تمارسها الكتابة الدرامية في معرض الفهم للكتابة الملتزمة.

وحينما لا تملك الأدوات المادية الضاغطة على الاخر (كالأدوات الاقتصادية او الآلات والمعدات العسكرية مثلاً) فما عليك الا الاتجاه الى السبيل المعرفي، فالكتابة بوصفها الوسيط التوعوي المثمر للمتلقي، كانت كذلك احدى اهم الوسائل في الحروب الباردة،وهذا ما يمكن استشفافه في التجربة الروسية وتعامله مع الثقافة كوسيلة إقناعية مهمة في تلك الحرب ((كخبراء في استخدام الثقافة كوسيلة للأقناع السياسي صنع الروس الكثير من تلك السنوات الاولى من الحرب الباردة لكي يجعلوا نموذجها الرئيسي نموذجا ثقافيا ولأنه لم يكن لديهم القوة الاقتصادية مثل الولايات المتحدة ولا القدرة النووية مثلها وهو الاهم كان نظام ستالين مصمما على كسب معركة الصراع على عقول البشر وبالرغم من التنظيم الجيد والرعاية الواسعة للفنون في مرحلة الخطة

[1] المصدر نفسه، ص311.

[2] د.ابراهيم حمادة، معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية،(القاهرة: دار الشعب،1971)، ص83.

الاقتصادية الجديدة الا ان امريكا كانت لاتزال حديثة العهد قليلة الخبرة في ميدان الصراع الثقافي الدولي))([1]) وفي ذات الامر كانت اهتمامات الحزب الشيوعي الروسي والذين كانوا يرون الحقيقة تكمن في جوهر مشكلات الافراد اليومية، ولا يمكن تقديم ادب من دون وظيفة اجتماعية تحاول ان تغير حياة الانسان نحو الأفضل، فقد كان يقول الشيوعيون السوفيت ((يلفت حزبنا في كل مقرراته المتعلقة بالأدب والفن انتباه الفنانين السوفييت الى ضرورة تطوير مهاراتهم الفنية ودفعها الى الكمال باستمرار،ونرى دائما في كل مقررات اللجنة المركزية الخاصة بالأدب والفن الفكرة القائلة انه بدون مضمون فكري سام وبدون عكس صادق للحياة لا يمكن ان يكون هناك عمل فني حقيقي، كما يؤكد فيها ان هذا العمل لا يمكنه بدون شكل فني كامل ان يؤدي بشكل كامل وظيفته الاجتماعية التغييرية))([2]) وذلك من خلال المناداة بتنوير العمال، والحديث عن مجتمع المستقبل وازالة التناقض بين المدينة والريف وتعزيز اجور الطبقة العاملة، والانسجام المجتمعي وتحويل الدولة الى مجرد ادارة للإنتاج، ولقد ((طرح لينين فكرة تقول بضرورة وعي رجل الفن المعاصر موقعه الطبقي ونفض الأوهام المخدرة،أوهام الحرية الزائفة عنه، وهذا سبب دعوته الفنانين الذين ربطوا مصيرهم بالبروليتاريا وبالثورة الاشتراكية الى الوقوف بصراحة الى جانب الشعب))([3]).

اما في أمريكا فقد استخدمت الثقافة احدى الأدوات المهمة في الحروب الباردة أيضا على غرار ما قامت به روسيا، ففي يوليه 1947 انشات الحكومة الامريكية جهاز المخابرات المعروف اصطلاحا cia ليتولى الجانب الثقافي في الحرب الباردة وقد كان اول اعمال هذا الجهاز ((تكوين واجهة ثقافية يعمل من خلالها لتحصين العالم ضد وباء الشيوعية وتمهيد الطريق امام مصالح السياسة الامريكية في الخارج، فكان الكونسورتيوم الذي

---

[1] فرانسيس ستونر سوندرز، الحرب الباردة الثقافية: من الذي دفع للزمار؟،ترجمة: طلعت الشايب، ط4، (القاهرة: المركز الثقافي للترجمة، 2009)،ص39.

[2] جماعة من الأساتذة السوفييت، أسس علم الجمال الماركسي اللينيني،مصدر سابق،ص48.

[3] المصدر نفسه، ص301.

يضم مجموعة من الراديكاليين ممن تحطم ايمانهم بالشيوعية واصابهم الاحباط بسبب سياسات ستالين القمعية وتتلخص الخطة في ان يقوم هؤلاء انفسهم بنقد الشيوعية من خلال مختلف الوسائط كتابة مقال او القاء محاضرة عامة او كتابة رواية ادبية او عمل مسرحي على ان يدور خطابهم جول ما الذي جعلهم يعتنقون الشيوعية ؟وما الذي جعلهم يتوبون عنها؟....وعندما افتتح السوفيت بيتا للثقافة في برلين لبناء ثقافة شيوعية هناك اسرع الأمريكيون بافتتاح المراكز الثقافية في مختلف بلاد العالم لتقديم الثقافة الامريكية من خلال عروض السينما وحفلات الموسيقى والمعارض الفنية والمحاضرات العامة وارسال فرق موسيقية من زنوج امريكا لتغيير المفهوم الشائع عن العنصرية الامريكية))([1]) أي انها حقبة تحولت فيها الحروب من عسكرتارية مواجهاتية مباشرة الى حروب قائمة على الفكر والوعي وما تنتجه المعرفة والكتابة من قوة تأثيرية على الجماهيرية والمجتمعات الدولية لكسب النزاع على القضايا المختلفة، ولذلك نرى العديد من البلدان والتوجهات تناولت قضاياها المصيرية ليس بلغة السلاح والقوة بل بلغة ناعمة تقف على قوة الكلمات وما ينتجه معناها المعرفي والتوعوي والتنويري في التأثير بالأخر وكسب هذا الصراع القائم بين تلك البلدان او التيارات والتوجهات المختلفة، ولهذا تشكل معنى جديد للحروب يقوم على استخدام الثقافة والكتابة بدلا من السلاح في مواجهة الاخر، فيرى (هنري غوبار) مؤلف كتاب (الحروب الثقافية) بان ((الحروب الثقافية اخطر من الحروب العسكرية التقليدية فالأخيرة تعبئ الجماهير بينما الحروب الثقافية تشل الارادات حيث تتسلل بمكر وبطريقة مغرية ومتدرجة فتخترق الاذهان والعقول والاذواق وتتمكن بالتالي من تعميم قيمها وثقافتها، وهو ما ادى الى استسلام الأوربيين امام طريقة الحياة الامريكية في اسلوب الاستهلاك))([2]) ان الحروب الثقافية اصبحت تمثل ثورة النزاع الثقافي بين المجموعات الاجتماعية وحتى البلدان من اجل

[1] فرانسيس ستونر سوندرز، مصدر سابق،ص13.

[2] عزيز الحاج، الغزو الثقافي ومقاومته، ط1،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1983)،ص20.

الهيمنة على معتقدات وافكار وممارسات الاخر، ومحاولة استقطابه او التأثير به، وفي امريكا بالذات شكلت هذه الحرب تفكيك الازمات ما بين التقليدية والمحافظة ما بين التقدمية والليبرالية، وصراع الحضرية والريفية ما بين المواطنين الاصليين والمهاجرين، وذلك نتيجة التحولات الثقافية الكبيرة التي باتت تشكل ازمة حقيقية للمجتمع الامريكي في تلك الحقبة، وصولا الى توسع نطاق هذه الحروب الثقافية مابعد 11 سبتمبر والتي باتت تشكل صناعة مجموعات المصالح السياسية والايدولوجية في امريكا، او حتى من صناعة المنظمات الاقتصادية الجديدة بهيئة الشركات الناشئة عبر صورها (الالكترونية/ مواقع التواصل وغيرها)

ولعل الكتابة بوصفها فعل مقاومة كانت الانموذج الأمثل في المجتمعات النامية الافريقية بوصفها مجتمعات مرت بسلطات امبريالية قاسية على المستوى العسكري والاقتصادي، بفعل ما تملك تلك المجتمعات من ثروات وبالوقت ذاته سيادة النزعة الرجعية البدائية في التعاطي مع قضاياهم وسهولة الهيمنة الكاملة على تلك المجتمعات، لذا نجد الكاتب الكيني (سايمون جيكاندى) يرى بان العديد من الممارسات المفككة للاستعمار ارتكزت على افتراض ان الثقافات والذوات الافريقية كانت كيانات طبيعية كلية قمعتها الكولونيالية وان مهمة الكاتب خلال فترة تفكيك الاستعمار تتمثل في استرجاع تلك الثقافات والذوات فان هناك حاجة ماسة لمساءلة الاسس الايدلوجية التي شيدت عليها سرديات تفكيك الاستعمار،فمهمة الكتاب في مجتمعات مابعد الكولونيالية هي التنظير بصورة ملائمة لإشكالية السلطة والدولة، وليس الاكتفاء بعرض المشكلات([1]) أي يبحث المواطن الافريقي عن حلحلة كاملة لأزماته، عبر تفكيك نفاذ هذه السلطة الامبريالية الى بنيته المجتمعية، عبر صوتها العسكرتاري وصوتها الاجتماعي وصوتها المعرفي

[1] ينظر: بيل اشكر وفت، جاريث جريفيث، هيلين تيفين، دراسات مابعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسية، ترجمة: احمد الروبى، ايمن حلمى، عاطف عثمان، ط1،(القاهرة: المركز القومي للترجمة،2010)،ص132-133.

الذي بات يكمن في وعيه المواطن الافريقي من خلال قوة وسطوة الهيمنات التي تجيء مع الاستعمار وفرضياته التسلطية التي تسعى للسيطرة على تلك الثقافات والتراث الافريقي، خالقة بذلك أجواء جديدة من الازمة التي لا يمكن معها للمواطن الافريقي ان يقاوم تلك الهيمنة الامبريالي الا عبر ما يمتلك من هوية ثقافية تسترجع عبر ما يكتب من ادب يعيد له ترسيخ الهوية الخاصة واصالتها التي تمكنه من تفعيل مسار المقاومة لازمات الامبريالية التي باتت تهيمن على كل مفاصل حياته. لذلك نرى ان بعض الادباء والكتاب الافارقة اتخذوا من ((الكتابة سلطة للمقاومة واثبات الذات وتفكيك ثقافة التماهي واسطورة الاستعمار الناعم المهموم بهمة تحضر الاخر واخراجه من غياهب البربرية والجهل وبراثن التخلف، فكانت الكلمة بمنزلة السلاح الذي فضح الصور الزائفة التي رسمها الاستعمار عبر وسائله))([1]) أي ان الكلمة كانت مجابهة لزيف الاستعمار الذي يرسم أحلام وردية لكل البلدان التي يدخلها بحجج التحرير او التغيير وإخراج الشعوب من أزمات حكامها، ولكن سرعان ما تتضح الحقيقية الاستعمارية لهذه العملية فتكون الكلمة السلاح الذي يدافع به المثقف الافريقي عن بلده وهويته، ونتج عن تلك الكلمة تشكل ادب قومي همه الوحيد الدفاع عن البلدان وهويتها إزاء الموجة الكبيرة التي تريد إزاحة هوية هذه البلدان بل وأزاحة وجودها من الخارطة كما يحصل من أزمات وصراعات ما بين البلدان الامبريالية التوسعية الاستعمارية والبلدان النامية التي يتم احتلالها تحت حجج واهنة ومنها وجود أسلحة الدمار الشامل، او لبسط السلاح وفرضه في ربوع تلك البلدان او لمحاولة تخليص الشعوب من ازمة سيطرة الأنظمة الدكتاتورية المستبدة، اذ ان حضور((المثالية والالتزام الأيدولوجي كان اكثر تغلغلا في الآداب القومية التي كانت تتناول الصراع المسلح مباشرة، وهو موضوع جوهري اخر، في ارجاء العالم الثالث الذي كانت تمزقه القلاقل والحروب الاهلية وعمليات الغزو، لعبت الآداب ادوارا اجتماعية وايدلوجية بكونه ملتزما بتثقيف وتسيس والهام جمهور قارئ الى جانب رسم خريطة

[1] مكي سعد الله، مصدر سابق، ص11.

لتجربة جمعية))([1]) أي في زمن الفوضى والأزمات في بلدان العالم الثالث التي غالبا ما تتسم بضعف بنيتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مما يولد العديد من الازمات في تلك البلدان، فتكون الآداب اللاعب المهم في رسم الأدوار الاجتماعية الجديدة للوقوف حائلاً إزاء هذه الحروب الداخلية وإزاء الازمات التي يمكن ان تفكك هذه المجتمعات الى مجتمعات فوضوية تعيش على الهامش ان لم يكن ثمة التزام حيال ما ينتجه فعل الثقافة من رسم خارطة طريق للمجتمع كافة.

ذلك لان الوضع المتأزم ((يستفز الفكر نحو ممارسة مهامه البديهية في التشخيص والتشريح بحثاً عن علل الامراض وعلامات الآفات، يفتش عن الاسباب البعيدة والعوامل العميقة والجذور المتأصلة ويصف الاحوال زمن الاهوال ويقلب الاوضاع ويرصد عمق التحولات ويسبر التغيرات ويكشف عن التداعيات ويفسر التجليات ويحمل المسؤوليات ويدافع عن القيم الكونية والحريات الشخصية والكرامة البشرية))([2]) وهذا هو دور الكتابة والثقافة لمعالجة كل الازمات التي قد تصيب المجتمعات، من خلال تشخيص مكامن الخلل والعمل على وضع الخطط الفكرية اللازمة لتجاوز هذه الازمات بصورها المختلفة، ذلك ان ثمة إشكالية ما بين أزمات الواقع والفكر، تكمن في التبادل والبناء وخلق حالة من الوعي بمشكلات الواقع، لذا فان مفهوم ((الازمة ينتج عن التصادم بين الفكر والواقع، ويبدو انه مفهوم ملازم للتطور الحضاري للإنسان، بل ربما كان علامة صحية تدل على يقظة الوعي الانساني ورهافة احساسه بالظروف المحيطة به))([3]) التي من خلالها يمكن ان يستشعر ارهاصاتها ويعمل على ادارتها بفكر عال ووعي تام ممكن من خلالها تجاوز هذه الازمة وعبورها وتصحيح المسار الإنساني في الواقع عبر سلطة المعرفة وما تنتجه من بناء، ويتصل ذلك على ارتكاز مهم يبنى على أساس وعي الجمهور في البحث

---

[1] اندرو هاموند، ادب الحرب الباردة: كتابة الصراع الكوني، ترجمة: طلعت الشايب، ط1،(القاهرة: المركز القومي للترجمة،2015)،ص24.

[2] د.زهير الخويلدي،مصدر سابق،ص9.

[3] فؤاد زكريا، خطاب الى العقل العربي، مصدر سابق،ص13.

عن أسلوب الحياة الأنجع والابتعاد عن كل ما يمكن ان يعتريهم من مشاكل وازمات اذ ان ((الأمم الحديثة لا تعنى بالإنتاج وحده، انما هي تعنى مع ذلك بعدالة التوزيع....وهنا يأتي دور الادب، اذ هو القادر على ايقاظ العقول وعلى قيادتها في سبيل العدالة المنشودة والذي نبتغيه من أدباءنا ان يفهموا هذه الحقيقة، وان يقوموا بما يجب عليهم تجاهها قبل فوات الأوان))([1])

[1] د.علي الوردي، اسطورة الادب الرفيع، ط2،(لندن: دار كوفان، 1994)،ص294.

التفكير والازمات:

ان مواقف الازمات تحتاج الى حلول إبداعية وابتكارية وغير تقليدية من اجل رسم سيناريوهات التعامل مع الازمة وحلها، وهذه الحلول توفر التكامل من بين التفكير التقليدي والابداعي، اذ ان التفكير الإبداعي يقوم على تحليل البيانات والمعلومات مع استثارة العقل والاحتمالات المتعددة من اجل اثراء الأفكار بهدف إيجاد الحلول والبدائل المتنوعة [1] لذا ان من خطوط مواجهة الازمة هي (استراتيجية اجهاض الفكر الصانع للازمة) أي بمعنى ((يمثل الفكر الذي يقف وراء الازمة بصورة اتجاهات معينة تأثير شديد على قوة الازمة، وتركز هذه الاستراتيجية على التأثير على هذا الفكر واضعاف الاسس التي يقوم عليها ويمكن هنا استخدام التشكيك في العناصر المكونة للفكر))[2] وهي مجابهة للفكر الصانع للازمة، وهو ما يتفق لما ذهبنا اليه من دور الفكر في صناعة الازمة وفي تفكيكها في الوقت ذاته فعند كل ازمة يمكن البحث عن الأفكار المكونة لهذه الازمات والعمل على تفكيكها ونسفها او تسخيفها بطريقة يمكن للمتلقي معها يدرك ان صناعة هذه الازمة مفتعلة ويمكن تجاوزها قبل ان تتحول حدودها الى افاق أوسع ويشمل ضررها رقعة اكبر في الواقع. ان المهارات الناعمة احد اهم عوامل نجاح الادارة الحديثة والتفاعل الجماعي وتقديم المساعدة، ومن ضمنها مهارة ادارة الازمات التي تتسم بالقدرة على الهدوء وحسن التصرف وحل المشكلات وتوقع مخاطرها والتعامل مع المواقف، ان ادارة الازمات من خلال التفكير الابداعي وتوليد الافكار تأتي للتحكم او التأثير بمسار احداث الازمة،ان من مهارات ادارة الازمة هو محاولة التحليل النوعي للازمة، وتحديد مخاطرها وتقديم رؤية تفضي لعملية التوتر والقلق في مواجهة اثار هذه الازمة او حدتها، ان التفكير الابداعي في معالجة الازمات يتميز صاحبه بمزايا وقدرات نفسية واجتماعية من حيث التلمس والاحساس بالأزمات وملاحظتها وتوليد الحلول والافكار التي تنبثق من

---

[1] ينظر: يوسف أبو فارة، مصدر سابق،ص79.

[2] السيد السعيد، استراتيجيات إدارة الازمات والكوارث،(القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع،2006)،ص188.

خلالها الحلول والقدر على التغيير في مواجهة الازمات والقدرة على استعمال الذكاء الجماعي في معالجة هذه الازمة، ان التفكير الابداعي يعمل على التنبؤ بالأزمات وايجاد الحلول للازمة فضلا عن القدرة على تعبئة وحشد الجماعة للوقوف إزاء هذه الازمة، فمن اساليب ادارة الازمات هو التعرف على اسباب الازمة والتنبؤ بها بطرق مباشرة غير تقليدية، وان اهم مبادئ التفكير الابداعي في مواجهة الازمة هو تحديد ما هو غير متوقع من النتائج على الازمات، ان التفكير الابداعي يكمن في كونه نشاط فكري عقلي هادف يكمن في رغبة البحث عن حلول والتوصل الى نتائج حول الازمة واثارها، ذلك ان التفكير الابداعي يتمثل في انتاج اكبر عدد ممكن من الافكار عن الازمة تتميز بالتنوع والاختلاف، ان القدرة على التحليل أهم مهارة في التفكير الأبداعي لمواجهة الازمات، فالتحليل رفيق الفهم العميق للازمة، اذ ان ثمة دروس مستفادة بعد حدوث الازمة، تتمثل في تقييم مواجهة الازمة وتشخيص نقاط قوتها وضعها والفرص التي تتيحها للإنسان، وامكانية احداث الاثر لتعديل مسارات المواجهة الازموية والمواقف الصعبة؛ فعادة ما تكون الازمة شاملة وفوضوية ومربكة لمن له علاقة بها او للكل، لذا يحاول الناس فهم ما يحصل في بداية الازمة مما يولد لدى المواطنين الشعور بعدم الأمان والكثير من التساؤلات ويمكن ان تتحول الى الشعور باليأس والفزع والغضب والإحباط[1] فيلجأ المواطنون الى المفكرين والمثقفين للإرشاد في هذه الأوقات لذا من الضروري الادلاء بآرائهم كاستجابة لشعور الناس بالإرباك، لذا يجب إعطاء معلومات من النخبة للمواطنين عن طبيعة الازمة واسبابها، وحجم تأثيراتها والموقف الذي يجب ان يتخذ من الازمة معززة برؤية منطقية وواقعية ان الكتابة هنا تمثل أدوات تشاركية مع المواطنين لتعريفهم بالأزمة وطرق حلها، عن طريق التواصل الفعال العملي مع الجماهير المتأثرة بهذه الازمة والتي ربما تشكل استجابة عكسية في عملية صنع القرار لمصلحتهم في تفكيك الازمة، فمن الأخطاء السياسية اثناء الازمة والتي يجب تجنبها في سبيل عدم تفاقم الازمة او إطالة امدها

[1] كوين بوستينز ،خطة التعامل مع الازمة،(واشنطن: المعهد الديمقراطي الوطني،2020)،ص4.

وتسيس الازمة في الوقت الذي يبحث فيه الناس عن حلول، وان يصبح القائد صامتا في وقت يحتاج الناس الى معلومات وتوجيه، وهو ما يحتم منطقية وجود رأي في هذه الازمة يقود الى تفكيكها والعمل على تقديم رؤية للتعامل معها، وهو ما يفعله النخبة الثقافية في مجال الكتابة قبل وخلال وبعد الازمات.

اذ ان ثمة ثلاث مراحل مهمة في الكتابة خلال الازمات اولهما مرحلة نشر المعلومات ببداية الازمة لتقديم المزيد من المعرفة للمتلقي عن طبيعة الازمة واثارها وابعادها، ثم مرحلة تفسير المعلومات للمتلقي من خلال تحليل عناصر الازمة والبحث عن جذورها واسبابها ومقارنتها بأزمات اخرى مماثلة، وهنا يتم توضيح الحقيقة للمتلقي، ثم المرحلة الوقائية هي مرحلة مابعد الازمة وانحسارها اذ لا يتوقف الدور هنا على مجرد تفسير الازمة والتعامل مع عناصرها، بل يتم هنا تقديم طرق الوقاية اللازمة والمناسبة والاسلوب الافضل للتعامل مع ازمات مشابهة [1] أي ان مرحلة نشر المعلومات يمكن ان يصحح (المعلومات الخاطئة التي نشبت بسببها الازمة) وهنا تناقض ارقام وبيانات (إدارة الازمة) مع ارقام وبيانات (صناعة الازمة) يمكن ان يكون حلا موضوعيا لإدارة مثل هذه الازمات،ناهيك عن تفسير هذه البيانات للمتلقي بطريقة يمكن من خلالها معرفة كيفية صناعتها وصياغتها لكي تتوضح له الحقيقة، مع أهمية طرح الأساليب الوقائية للمتلقي ليدرك بدقة اليات التعامل مع هذه الازمة وتبعاتها. لذا ان من ابرز وظائف الكتابة خلال الازمات محاولة التخفيف من حدتها هو ان يتم ((تزويد الجماهير بالحقائق للحد من انتشار الشائعات والاخبار الكاذبة حول الازمة، والحقائق الواضحة تعمل على تنوير افراد المجتمع مما يساعدهم على تكوين رأي عام صحيح وذلك عن طريق الاقتناع بالمعلومات والحقائق القائمة على الدقة والوضوح))[2] وهو ما يسهم فعلياً في الحد من الازمة واثارها، اما الصمت وعدم اتخاذ خطوات فاعلة إزاء المعلومات والبيانات المنتشرة

[1] ينظر: ا.د.عبدالرزاق محمد الدليمي، مصدر سابق، ص214.

[2] المصدر نفسه،ص312.

فهو ما يعزز مصداقيتها لدى المتلقي ويترك الازمة تمضي في نموها، واضرارها، فلا يمكن التعلم على التعاطي مع الازمات وادارتها بطريقة رشيدة الا عبر التعلم من الازمات وما تخلفه فطبيعة الحياة المعاصرة قائمة على هذه الازمات وكلما تقدم العصر وتطورت تقنياته وأسلوب حياة الافراد والمجتمعات كلما ازدادت الازمات وتنوعت موضوعاتها وما على الفرد سوى ان يحسن إدارة ازماته ولا يجعلها تطيح به اذ ان الحياة بصورها المختلفة ومساراتها المتنوعة هي ((عبور دائم وتخط مستمر للمراحل والعقبات والمطبات والعراقيل ومواجهة دائمة للعواصف والهزاهز والاعاصير والتقلبات الحيوية والجوية والارضية والنفسية، على قاعدة التحدي والاستجابة فليس بالعلم وحده يتقدم المجتمع او يعبر، ولا باجتياز "الازمات" التي تنشأ عن لحظة المواجهة مع المشكلات والمعضلات والتحديات والاختبارات والمعيقات انما عد اكتشاف الأخطاء واحداً من اهم شواهد العبور من وضع الى وضع ومن مستوى الى اخر))[1] فمن خلال الادراك الفعلي لطبيعة تلك الازمات وتنوعها ومسبباتها يمكن ان يعبر الفرد أي أزمات مستقبلية قد تواجهه، وهو الامر الذي يقلل من رقعة اتساع الازمات وتأثيراتها والعكس صحيح كلما فشل الانسان في تعامله مع ازماته وازمات مجتمعه كلما ازدادت عليه الازمات وتنوعت واشعرته بالإحباط في ظل كل التعقيدات الي يعيشها عالم اليوم.

كما لابد من الإشارة الى الناطق الاعلامي الشخص المخول بالكلام باسم المؤسسة او الجهاز الحاكم في وقت الازدهار والازمات والذي يعد ثاني شخص بعد الشخص المسؤول عن حل الازمة، ومن حيث الفكرة فهو يقابل الكاتب المسرحي الذي يعد الناطق الاعلامي باسم المجتمع خلال حقبة الازمات وما قبلها وما بعدها، وتقييم الازمة لمعرفة اوجه النجاح والفشل في ادارة الازمة بعد انتهاءها واستخلاص العبر منها ومحاسبة المقصر واجراء التغيرات المطلوبة والتخطيط للخطوات المستقبلية هي الرؤى التي يقدمها الكاتب

[1] ا.د.علي حسين الجابري، فلسفة بريغوجين الكايوسية: النشأة والتطور، ط1،(بيروت: دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر، 2014)، ص14-15.

المسرحي بعد وقوع الازمات وادانة المقصرين وتأشير مكامن الخلل فان ثمة خطة اعلامية في الازمة تستخدم كوسائل واساليب اتصال مع الجماهير من اجل رفع مستوى الوعي وتوضيح الاجراءات التي يجب ان تتخذ في مواجهة الازمة، ذلك لان للخطاب الاتصالي الاعلامي اهمية كبرى في ادارة الازمات ويعد من اهم مقومات ادارة الازمة ويحتم وجودة قبل واثناء وبعد الازمة، وهو ما يتمثل في الخطاب المسرحي الاتصالي مع الجماهير، ولهذا المفصل دورين في ادارة الازمات اولهما اخباري عن طريق التعريف بالأزمة ونتائجها ومحاولات التصدي لها وتحجمها والاخر توجيهي وهو الاهم يأتي على رأسه التنبؤ بالأزمات المحتملة ووضع الخطط للتعامل مع تلك الازمات ومحاولة الخروج منها باقل الخسائر فهي وظيفة من وظائف الخطاب الاتصالي مع المتلقي، اذ ان المصطلح الشائع والمعروف ((بإعلام الازمات يراد به تفعيل دور وسائل الاتصال والاعلام في التحذير من الازمات المتوقع حدوثها واحتواء الاثار السلبية للازمات التي وقعت مع المحافظة على توفير البيانات والمعلومات للجمهور بالقدر الكافي))[1] والكاتب المسرحي يحمل في طيات خطابه المسرحي خطاباً أتصالياً اعلامياً يبتغي من خلاله الاتصال مع المتلقي لإيصال أزمات الإنسانية برمتها والعمل على معالجتها من خلال ما ينتجه من أفكار، بوصف الادب المسرحي احد أوجه الخطاب الإعلامي.

ان نظام الاتصال في إدارة الازمات يتكون من عناصر رئيسة هي اطراف الاتصال خلال الازمة او بعدها اذ يوجد مرسل ومستقبل ورسالة او بيانات ومعلومات يتطلب ارسالها للمتلقي، وكذلك عنصر "الوسائل" التي يتم من خلالها تقديم البيانات والمعلومات للمتلقي، لذا ان الناطق الإعلامي والكاتب المسرحي عن طريقهما يتم صياغة الهدف الذي تتضمنه الرسالة الاتصالية وتحدد الهدف والوسيلة وتوضيح المواقف ونقل المعلومات

[1] ا.د.عبدالرزاق محمد الدليمي،مصدر سابق،ص222-223.

الى وحدة اتخاذ القرار بين اطراف الازمة للمساهمة بتجميد او تسوية الازمة [1] وهنا يتأكد تقارب الخطابين من حيث الوظيفة وصياغة الرسائل وتقديم المعلومات خلال الازمات.

ولابد من الإشارة ايضاً الى أركان بناء الرأي العام التي يرى الباحث انها تسهم في عملية التأثير على إدارة الازمات، أولها الدعاية وهي محاولة التأثير في الافراد والجماهير والسيطرة على سلوكهم لأغراض معينة، والدعاية نشاط عادة ما يبدأ من قاعدة فكرية وهي تسهم ببناء الراي العام، وكذلك الاحلال وهي بالحض على تحطيم فكرة او رأي باتخاذ موقف منها مناقض لها مع إحلال فكرة أخرى بديلة لها، وكذلك التهوين والتهويل فبالتهوين تقليل أهمية الفكرة او الازمة والتهويل تصويرها تصويرا مبالغ فيه اذ يؤدي هذا الى خلق حالة من الاهتمام لدى الجمهور، وكذلك المبالغة العكسية، اذ يتركز الخطاب بالإلحاح على شيء معين وبالمبالغة في تصويره، ثم الاخفاء والنشر وهي محاولة اظهار القادة ورجال الفكر السياسي او رجالات الازمة بصورة تغير نظرة الجماهير اليهم عن طريق المعلومات حرصاً على أستقرار الأمور او تأليب الجمهور ضدهم، وكذلك التبرير وهو تعليل السلوك بأسباب منطقية [2] لذا فمن الممكن بناء رأي عام عبر مهارات الكتابة بوسيط مسرحي ممكن من خلاله إدارة الازمة التي تفشت في أوساط الرأي العام، وبالتالي استحواذ فكرة البناء والإدارة على الرأي العام في سبيل الاسهام الفعلي بحل هذه الازمة او وضع الحلول العملية للتعامل معها.

---

[1] ينظر: عبدالكريم جاسم السوداني،الناطق الإعلامي في إدارة الازمات،ط1،(عمان: دار امجد للنشر والتوزيع،2021)،ص 118-119.

[2] د.ابو الحسن سلام،الإرهاب في وسائل اعلام والمسرح،ط1،ج2،(القاهرة: دار الوفاء لدنيا الطباعة، 2005)،ص224-227.

كلمة الختام:

في الختام يرى المؤلف ان الازمات بتنوع مفاصلها وانواعها كانت حاضرة على امتداد الحقب التاريخية وقد تعاطى معها الفلاسفة والمفكرين ومنظومة الادب والفن بمنتهى الحرص والجدية وذلك بخلق مساحات من الوعي احياناً وأخرى التصدي المباشر والمناهض لتلك الازمات ومحاولة كشف الأسباب الحقيقية وراء اشتعال تلك الازمات وهو ما جعل الفلاسفة يقتربون كثيراً من معاناة مجتمعاتهم حتى وان جنح بعضهم الى الاصطفاف وراء الأنظمة والسلطات الا ان حضور الازمات يبدو واضحاً في اغلب اراء وأفكار الفلاسفة في العالم وبخاصة من عايش تلك الازمات على المستوى الشخصي وهو ما يرجح إمكانية دمج المعارف والعلوم بغية الخلاص من تلك الازمات ففي علم الإدارة يبرز لنا مفهوم إدارة الازمات مع إمكانية توظيفه في الأفكار التي يقدمها الكتاب لتنصهر مع أفكارهم الفلسفية تلك الرؤى والسمات الراكزة في ابجديات التعاطي مع الازمات على المستوى الإداري للتحول من واقعها التخصصي الى الجوانب الفكرية التي توسع من افاق الجمهور (شعوب العالم) وتجعلهم اقرب للحقيقة وإمكانية الخلاص او الحد من تلك الازمات على اقل التقادير وهنا يقع دور الباحثين والمؤلفين للعمل على هذا الامر والتنظير له برؤى جمالية وفكرية واعية هدفها تقرب الفكر والفلسفة من الواقع الحياتي اليومي.

المؤلف في سطور:

حيدر علي الاسدي

كاتب واكاديمي عراقي

هاتف: 07716475023

-تدريسي في كلية الادارة الصناعية للنفط والغاز في جامعة البصرة للنفط والغاز.

-عمل محاضراً في قسم التربية الفنية في جامعة البصرة.

-عضو اتحاد الادباء والكتاب في البصرة.

-عضو نقابة الأكاديميين العراقيين.

- عضو نقابة الصحفيين العراقيين -فرع البصرة.

-عضو نقابة الفنانين-فرع البصرة.

- يعمل محرر الصفحة الثقافية في صحيفة الأضواء المستقلة

-عضو الاتحاد الدولي للغة العربية.

الجوائز والتكريمات:

- حاصل على قلادة عام 2009 وشهادة تقديرية عن موضوعه الصحفي الفائز في المسابقة التي أقامها بيت الصحافة في ذكرى تأسيسه السنوي.

- حاصل على جائزة المركز الثاني بمجال المقال في مسابقة النور للإبداع (دورة المفكر عبد الإله الصائغ) 2009

- اختير من قبل بيت الصحافة من أفضل ثلاث صحفيين مبدعين لعام 2009

- حاصل على جائزة المركز الثاني في مسابقة قناة الكوثر الفضائية (رحمة للعالمين) من بين ثلاث فائزين وكان النص المشارك قصة قصيرة جدا عن النبي(صلى الله عليه واله وسلم).

- من ضمن الفائزين والمكرمين عن مسابقة القصة القصيرة (العراق بين زمنين) والتي اقامتها شبكة انباء العراق.

- حاصل على جائزة المركز الثاني في مسابقة القصة القصيرة التي نظمتها جمعية الفينيق الأدبي بصفاقس في تونس.

-حاصل على جائزة المركز الثالث للرواية في مصر عن روايته (الكومبارس) والمسابقة منظمة من قبل مجلة همسة المصرية.

- حاصل على تكريم وزارة الثقافة العراقية لعام 2012 كأحد المبدعين الحاصلين على جائزة دولية.

-تأهلت قصته (امراة ممسوسة بالعشق) للقائمة القصيرة لمسابقة القصة القصيرة التي نظمها مجلة شجون عربية في بيروت عام 2019 ونالت القصة جائزة المركز السادس.

-حاصل على جائزة المركز الثاني في مجال القصة القصيرة في مصر لعام 2019 عن قصته (نساء من ورق).

-حاصل على جائزة افضل كتاب نقدي لعام 2019 في مصر عن كتابه (تداخل الاجناس الادبية واثرها الجمالي في النص المسرحي العربي).

-فازت مجموعته القصصية (ليلة في الجحيم) بجائزة المركز الخامس عربي في مسابقة دار الياسمين للنشر والتوزيع (مصر).

-فازت مقالته النقدية (تداخل الاجناس الادبية وتفكيك الجنس والنوع) بجائزة المركز الثاني ضمن حقل المقال النقدي في المسابقة الادبية السنوية الثالثة التي نظمها اتحاد الادباء الدولي 2019.

- اختير عام 2020 كأحد افضل 100 شخصية في البصرة.

-نال جائزة افضل اصدار بحثي في ثقافة الطفل عن جائزة محترف ميسان لثقافة وفنون الاطفال 2021

-نال جائزة افضل ناقد شاب لعام 2021 في البصرة خلال المهرجان الذي نظمته اللجنة الأدبية في محافظة البصرة وبالتعاون مع منظمة قيادات للتنمية والتطوير.

-نال عام 2023 جائزة افضل بحث علمي في المؤتمر العلمي الذي اقامته كلية الفنون الجميلة في جامعة البصرة وحاز على المرتبة الأولى عن بحثه (الازمات الاقتصادية في النص المسرحي العالمي).

صدر للباحث مؤلفات ودراسات وهي:

1-كتاب (الاعلام الاقتصادي ودوره في تنشيط اقتصاديات البلدان) عام 2019 عن دار امجد للنشر والتوزيع في الاردن وبرقم اعتماد دولي.

2-كتاب نقدي (دراسات في نقد القصة والرواية والمسرح والشعر)

3-كتاب دراسات (تداخل الاجناس الادبية واثرها الجمالي في النص المسرحي العربي) عام 2019 عن دار امجد للنشر والتوزيع في الاردن وبرقم اعتماد دولي.

4-أريج: وهي قصة شبابية هادفة

5-بكائيات المطر: مجموعة قصص قصيرة جداً

6-الكومبارس: رواية قصيرة –الرواية الفائزة في مصر

7-كتاب (قراءة مغايرة في السيرة العطرة: قراءة مختارة عن صورة النبي في الخطاب الفلسفي- الشعري- الفني).

8-كتاب (خصوصية التأليف لمسرح الطفل في الوطن العربي).

9-طرق ابواب الازمة (دراسات نقدية في المسرح) طبع في دار النيل والفرات للنشر في مصر.

10- كتاب نقدي بعنوان (البصرة ايقونة الجمال السرمدي: قراءات في المسرح والسرد والشعر) الصادر عن دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع في سوريا ضمن إصدارات اتحاد الادباء والكتاب في البصرة.

11- صخب الموت ومسرح ما بعد الكارثة: قراءات في نصوص وعروض علي العبادي المسرحية (عن دار كفاءة المعرفة 2024).

يتمثل في التاريخ الانساني العديد من مشاهد الصراعات والتكالبات على مصادر السيادة والثروة ، او من اجل تحقيق العديد من النزعات والرغبات الفردية ، مما ولد العديد من الازمات على امتداد الوجود الإنساني منذ خلق البشرية وحتى عصرنا الحالي ، ذلك ان الانسان ميال الى الاختلاف ، وربما هذا الاختلاف في بعض الأحيان يتطور الى مشكلات تصبح حالات عامة في المجتمعات البشرية ، ولعل الصورة الأهم في تاريخ الانسان هو قدرته الفائقة على التكيف والتحولات الكبرى التي أحدثها عبر مراحل التاريخ بتعاطيه مع الازمات التي تحيط به ذلك يمثل حالة السيرورة للبقاء والديمومة في معتركه الحياتي ، فنشأت العديد من الازمات جراء تطور الفكر البشري وأزدياد احتياجاته وتطلعاته وتضخم موارد الثروة الطبيعية والصناعية، فبعد ان كانت الازمات تتسم بضرورة بقائه حياً، اصبحت الازمات تتعلق بمنظومة علاقته مع الاخر، مما يستدعي قراءة الخطاب الذي يفكك علاقة هذا الانسان بالأزمات عبر التاريخ وما قدمه النتاج الفلسفي والدراسات الثقافية بهذا الخصوص اذ كان للفلسفة دورها المهم عبر الفكر والكلمات بإدارة أزمات المجتمعات وتغيير حالهم الى الأفضل فان أعظم ما يمكن ان يخدم به الفيلسوف والمفكر نهضة مجتمعه هي الكلمات والفكر الذي يعطيهم جرعات الكفاح والحركة والوقوف إزاء المعضلات والمشكلات التي تواجه الانسان منفرداً وضمن بنية مجتمعه.

المؤلف

دار امجد للنشر والتوزيع
طباعة ◆ نشر ◆ توزيع
damjadbooks amjadbooksdp damjadbooks
dar.amjad2014dp@yahoo.com damjadbooks@gmail.com
للتواصل و الاستفسار: +962796914632 +962799291702 +962796803670
إبصار للمكفوفين وضعاف البصر
ابصار ناشرون و موزعون
المختصون الأردنيون لطباعة برايل
ibsarBraillejo ibsarbraillejordan@gmail.com